

الأعمال الخاطلة

خيري شلبي



Amly

أولاد

الأم علي

لأبي علي حسن : ولد خالي
سيرة ذاتية شعبية في ثلاث أجزاء



الأعمال الكاملة..

خيرى شلبى

(٤)

الأمالى

لأبى على حسن : ولد خالى
سيرة ذاتية شعبية فى ثلاث اجزاء.

١ - اولنا ولىد

٢ - وثانىنا الكومى

٣ - وثالثنا السورق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

أولنا ولد

تصميم الغلاف:

الإخراج الفني: هاشم الأشموني

البسملة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا
ونبينا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين. أما بعد
فهذه أمالي الحاج «حسن أبو علي» ولد خالي «عبد الباسط
عواد»، الشهير بأبي ضب. أملاها علي في بضع ليال ونحن
جلوس على مصطبة من الحشيشات الثمينة المبطنة بالفرو،
ومن خلفنا المساند القطيفة الملونة، في شرفة شقته المقامة في
الدور السابع فوق سطح عمارته المهيبة الواقعة كالعروسة
البحورية فوق أعلى قمة من جبل المقطم الأغر، حيث يتربع
«حسن أبو علي» ولد خالي في غاية من الأطمئنان بعد أن لم
يعد مطلوبا منه أي شيء على الإطلاق، وبعد أن تغفل في كل
شيء في البلاد، وبات حاكما بأمره يخطب الجميع وده
ويتملقونه ويمسحون له الجوخ في كل مكان، وبعد أن زهد
في كل شيء منذ أن توفرت له كافة السلطات، ولم يعد يطلب
من الله غير الستر ومغادرة هذه الحياة الفانية في سر هادئ
يمكنه من النظر في أمر الحياة الباقية، تلك التي لم يعطها من
قبل نظرا على الإطلاق إلا في أواخر أيامه.

القاهرة الكبرى تبدو امامنا كاطلال مدينة خرافية تهدمت ولم يبق منها سوى اورام كالحة فى النهار كخيبة فى الليل رغم بريق الاضواء المنبعث من خلال الهديم. وقد ضمن ولد خالى لاولاده كل شيء وامسان إلى أن مستقبل البلاد كله سيقال فى ايديهم لقرون طويلة من الزمن قادمة.

وكنت مشغوقا بالفرجة على التليفزيون الملون المفتوح دائما فى صدر البهو الكبير يعرض اذرا وسيقانا وخصورا ورقصا وغناء وتهريجا ونواحا. ولكن ولد خالى كان يسخر منى دائما وينهاني عن الفرجة.

قلت له: يا ولد الخال لماذا لا تتركنى أفرج على ما فيه من افلام وتصاوير؟

قال: ولماذا الافلام والتصاوير يا ولدى؟ أنا عندى لك من الافلام والتصاوير ما هو احسن من هذه وانفع

قلت له: يا ولد الخال ولكن الحكاوى التى ستحكىها لى ليس فيها تصاوير اللحم الابيض المخروط فى قوالب زبدة وقشطة؟

قال بعفوية دون أن يدرى: عندى من هذا اللحم أكثر مما يشتهى الخلق كله! ستشبع لحما وزبدا وقشطة؟

ثم بان الغضب اللطيف على وجهه فجاء، وبرق فى عينيه ذلك البريق اللاهب. ولو لم اكن اعرف طبع ولد خالى لظننت

من هذه الغضب الصامتة انه سيفتك بى لا محالة. نفس الخديعة التى يقع فيها كل من يرى هذه النظرة فى عينيه وهذه الشدة على وجهه لأول مرة.

فوجهه مثلث الشكل منحوت يشبه مبخرة فخارية، يشبه الجوافية المتقيحة الناشقة، عيناه ثقبان عميقان يندفع منهما بريق حاد كعمودين من الضوء مفتوحين على الشمس. فى عينيه ألف قتيل وقتيل دفنهم ومشى فى جنازاتهم باكيا بحرقة بدهاء ملفوف فى براءة تصل إلى حد البلاهة أحيانا. لا يستطيع مخلوق - مهما كان اريباً ذكياً ابن حرام - أن يفصل بين المجرم العتيد فى ولد خالى وبين يلامه الصعيدي القحف. العشرة الطويلة وحدها هى التى تستطيع أن تريك الرجل الطيب فى ولد خالى. شيئاً فشيئاً سيقبل رعبك من شخبطته ذات الرنين الخشن القاسي، ويخف انزعاجك من التواء الشر فى ملامحه ولهيب النار فى عينيه. ستجاوز عن تشويحة ذراعه فى وجهك بيد وأصابع سرحة وذراع تتختر وسط فتحة كم عريضة. لن يفرك طوله الشامخ حين ينتفض واقفا ليؤنب فى غضب جريح أو يصرخ فى رداء الأدب والأخلاق والرجال واهل زمان.. لسوف تعرف أن هذه الفرقة الجبارة هى آخر ما تبقى له من سلطاته القديمة التى نبذها غير آسف عليها، وآخر ذبالة من ضوء سيادته التى اطفأها بنفسه زهدا واحتقارا منه لسانها.

أشد حالات هيساجه وعراكه ينهيهها اذان الصلاة، حيث يضطر هو إلى الاستجابة الفورية بالرد على صوت المؤذن صائحا: الله اعظم والعزة لله.. ثم يصلح عمامته الصعيدية الصغيرة كأنها البرام الأبيض، ويولى هامته العالية نحو المسجد رافعا حاجبيه عن نظرة ثاقبة تتلصص بتدبر هي نظرة ولد خالي «حسن عبد الباسط» الشهير بابي ضب، نظرة تريد أن تخترق النفوس لتعرف ما بداخلها على وجه الدقة واليقين، فإذا رأى كوب ماء في يد أحد ساعة الاذان انقضت يده عليه فرشف منه وتمضمض ثم واصل الاندفاع نحو المسجد. وعند خروجه من الصلاة يترك مسجد السلطان برقوق ويدخل المقهى الذي تعود أن يلتقى فيه بصحابه الحجاج عصر كل يوم ليدخنوا لهم ما يربو على خمسمائة حجر من الحشيش على قارعة الطريق، وربما وجد من كانوا يتعاركون معه قبل الصلاة جالسين، فإذا هو يجلس بينهم يبادلهم الحديث بود عميق كأن شيئا لم يكن.

وأما أنا فلست أستطيع بل لست املك ان أرفض لولد خالي طلبا، لقد كان هو الحافز الأكبر لأبى وأمى بأن يرياني على التعليم لعلنى اعيد إلى الوجود شهرة اخواني الفقهاء، فالحقنى أبى بالكتاب فى بلدتنا «كوم سعيد»، فحفظت القرآن وجودته ثم التحقت بالمعهد الدينى فى اسيوط ثم جئت أخيرا لاتعلم فى الأزهر الشريف مثل رفاعه الطهطاوى ومحمد

عبدہ وطہ حسین واخوالی. وهكذا قدر لى ان انتقل من «كوم سعيد» بالغنايم قبلى إلى الأزهر الشريف طالب علم، اسكن فى دار ولد خالى ولا غرو. وقد رحب بى ايماء ترحيب، فأفرد لى شقة خاصة ارتع فيها وحدى كاولاد الياشوات، وتكفل بمصاريفى وكسوتى حتى بات اهلى لا يعرفون عنى أى شىء وإن رأونى فقد لا يعرفوننى من لمرط ما طرا على من نعيم مقيم، يكفى اننى اذهب إلى الأزهر كل يوم فى سيارته المرسيدس وسائقه يوصلنى بحقيبة الكتب حتى محل الدرس، ويمود ليحملنى إلى الدار، أقصد القصر المنيف.

ولقد بات ولد خالى يجد لذة عظمى فى توجيهى والاشراف على واستحقائى على الجد والاجتهاد باخلاص عميق لا أظنه يتوفر فى أبى نفسه، ثم اننى درست ولد خالى عجنته وخبزته، عرفت عنه الكثير مما تقشعر منه الأبدان لكننى مع ذلك أحببته. وكلما ضقت به وبأشراقه ولثرتته تذكرت أن الواقع دائما فى صفه. والغريب اننى كلما دقت فى الاستماع إليه وجدت حكما خطيرة وجنيت فوائد جمعة لا تحصي. بصراحة وجدته على حق، إذ أطلت المكوث امام الشاشة الملونة فاصابنى التكرار بالكآبة والرغبات السفلية، ونظرت فى كتب الدراسة فما وجدت إلا علوما تتقعر فى الفراغ بعيدا عن مجريات الحياة، علوم هذه الكتب كلها تسير فى واد وتسير حياتنا فى واد آخر، وليس ثمة من صلة بينهما على

الصفاء والتجرد والجرأة على الاعتراف والمكاشفة بما يشيب له الولدان. لقد أدلى بشهادته كاملة غير منقوصة لما رأى أن الجميع في هذه الأيام يهتمون بكتابة شهاداتهم، كل من هب ودب يتطوع بالادلء بشهادته. فأراد ولد خالى أن يلقتهم درسا في نوع الشهادات التي يجب أن تكتب اليوم، فإذا هو يكشف عن الجانب الدقيق المخفى من حياتنا المتعنتة فيعترف بكل مدهش ومثير، وإذا هي شهادة جديدة بأن يحملها ضعير الأمة كما قال.

وبعد فليس لي أى فضل سوى تسطير أماليه هذه على الورق، لعل من يهتمهم معرفة جوهر الحقيقة - كما قال - أن يفتحوا أعينهم ذات يوم. فإذا كانوا قد ظلوا طول عمرهم يقرأون شهادات المثقفين، فلعله قد آن الأوان لأن يستمعوا إلى شهادات العامة من أهواء المواطنين، أو كما قال «طبق الأصل».

الإطلاق فكل يمضى في فلكه بعيدا عن الآخر، والناس في بلادنا يتخرجون في الجامعات والمعاهد والأكاديميات ليصبحوا في النهاية مجرد موظفين يتفق عليهم أمثال ولد خالى. وقد تبين لي خلال سنوات التحاقى بالتعليم العالى واحتكاكى بالقاهرة أم الأعاجيب أمثال ولد خالى «حسن أبو على»، أن أمثال ولد خالى هؤلاء هم دائما وجوه المجتمع الحقيقيين بل هم أصلا به اصحاب رأس ماله وعماثره السكنية ومحلاته التجارية الكبرى وأعضاء مجلس شعبه وتاجرو مخدراته. أمثال ولد خالى «حسن أبو على» هؤلاء هم الفائزون على الدوام، وليس يصيبنا من التعليم سوى النفقات والعناء الشديدين، ولا اظن أن احدا يمارى في أن مجتمعنا لا يطلب منك شروطا على الإطلاق لكى تصبح احد اثريائه في شهور قليلة، أو احد ملوكه أو رؤسائه في قفزة واحدة يصبح من حقلك أن تتحدى كل شيء وتحصل على كل شيء وتشتري بنقودك بقوتك ما تشاء وتهوى.

لكل هذا فانا استمع - وادون - كل حكاوى ولد خالى «حسن أبو على»، التي طلت في مخه فجأة فطلع في دماغه أن يملها على كصفحات من بطولاته الخارقة. وقد املأها على في استمتاع شديد، ودونتها في استمتاع أشد. ولم اضبطه متلبسا بالكذب في كلمة واحدة، حتى لقد أعطاني درسا في

الفاتحة

الله لا يعيدها من أيام. الفقر وحش ياولدى وأكل العيش من،
والبطن لا ترحم. وهى ليست بطنا واحدة، خذ عندك أمى، وأربع
بنات كبار، وطفل ملامحه كنت أشاهدهما الخالق التاطق على وجوه
أعمامى الفقهاء المحترمين، وأتمعجب: كيف يصير هؤلاء محترمين
هكذا؟ وأبى على باب الله يعيش على ذراعه يشتغل يوما ويبطل
عشرة، حتى ليمشى يمرض الخدمة على الناس يتطوع بالمساعدة
دون أن يدعوه أحد، أحيانا دون لزوم، أنت وغيرك تتصور أن
المسألة مجرد شهامة من رجل يبدو محترما غير أجير، فنكتفى
برفع ذراعك فى الهواء بالشكر والتحية مثلما تشكر أعيان الناس
بينما تمطيه ظهرك متكلا على الله. واقعتك سوداء لو فعلتها ربما
مشى خلفك فى هدوء شديد ليجذبك من أى مكان فى متناول يده
الغليظة الخشنة، ذراعك أو خناقك أو رقبتك نفسها لا يهم: تعال
هنا.. حمار أنا يعنى أشتغل لله من غير أجر؟ حتى الحمار يملفونه
وينفقون عليه!..

الكل ياولدى كان يتقى شره، يتركونه يساعدهم راغبين. لم
تكن المصادمات تحدث بينه وبين أحد إلا أيام السوق، حيث ينخدع

فى شكله الغرباء، يرون فى وجهه صلاح أعمامى وطيبة قلوبهم ورجولتهم، بعدها هو وبخته، حسب نوع الناس الذين يرمى بجثته عليهم، مع أنه أزرق الناب، عليه رحمة الله كان يعرف الناس من أفقيتهم، ومنها يتوسم فيهم الخير أو كلالحة الوجه. العبد منا ليس معصوما من الخطأ، ويرحمه الله كان يضرب فى قلب السوق ينظر حواليه وعينه لائذة بكل شيء، يرى جماعة ينزلون أجولة الحبوب عن الركائب يعدون الفرش، يراهم فى حاجة حقيقية لمساعدته لكنه يعطيهم ظهره وينصرف، ليساعد بائع العجوة فى نصب خيمته واعداد موازينه وبعدها يقف يتلکأ فيفهم البائع هذه الإشارة يطبق يده على الواحد بأربعة أو القرش على سبيل الهدية أو الحسنة التى يسره أن يقبلها ذلك الرجل الطيب المحترم لعله يكون بركة، أما تجار الحبوب فأنهم كانوا سيسفرونه فى تفريغ وتكميل وتحميل طول نهار السوق وفى النهاية لن يأخذ سوى القرشين..

أنتمت فى الشهر الثامن أربعة وخمسين حولا بالتمام والكمال ومازالت أيام كان يتركنى أشببط فى ذيله فأمضى معه يوم السوق كله، كان يعرق يحق، يصعب على، من فرش إلى فرش يحمل يعثق يفرغ يجسر العربات يتعارك فى اليوم مائة عركة، فى كل عركة يضرب وينضرب حتى يقع مغمسياً عليه وولد خالك يصرخ لله ما يغيثه من كثرة الخوف على أبى الذى أراه يموت أمام عيني فى اليوم الواحد عشرين ثلاثين مرة على الأقل! أتعجب فى كل عركة كيف كان يستطيع النهوض بعدها متجها إلى فرش آخر يبحث فيه

من مساعدة يقدمها لأصحابه، إن لم تكن موجودة اختلقها، لربما فوجئت به يكس أمام دكانك ويرش، ما يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجا لمن يكس لك المكان ويرشه ليصير نظيفا هكذا، أو تراه قد تسلل إلى فرشك وراح يرتب أجولته وموازينه من الفوضى التى أهدتها معاينات الزبائن وفركساتهم للبضائع، مما يجعلك تنتبه إلى أنك بالفعل كنت محتاجا لمن يقوم لك بهذه المهمة، ولربما فوجئت به واقفا أمامك مائلا رهن الإشارة فى أن تكلفه بشيء أو تطلب منه طلبا أو تأمره بأمر، ومن هنا كانت تكثر خناقاته يا ولدى، وكان رأس ولد خالك الصغير أيامها لا يمكن أن يظهر له أن أبى هو الذى يسمى إلى العركة سمعا. كنت أستمع باله ويدب الرعب فى كلما بدأ صوته يعلو فى الكلام وترتفع شفاته وتبرق عيناه، أروح أقول لنفسى ياسايل الستر استر يارب، رمشة عين والأخرى تكون الخناقة قامت والضربة دوت على وجه أبى، تتبعها الشلايت والبونيات وأبى يلفظ بين جمع من الناس يلتم عليه فجأة ليخلصه ولكن بمزيد من الضرب، بعدها يقف بعيدا ويأخذ فى الصباح والاحتجاج على ضربه وهو ابن الناس الطيبين وأخوة له فقهاء مشهورون، فيتخرج الذين ضربوه، يبعثون له من يصالحه، يراضيه بقرش يزيد عما كان سيأخذه بدون عراك..

ولد خالك لم يعد يخاف، فهمت أن أبى يفعل ذلك من أجل زيادة الرزق قرشا أو قرشين. فى يوم السوق لابد أن تطبخ كافة الدور، الدار التى لا يتصاعد منها الدخان ليلة السوق هى دار اليتامى، ولا بد أن يوقد الكانون فى دارنا ويرسل دخانه ولهذا كان

أبى - بعد كل هذه البهذلة والضرب المميت - يبدأ فى الابتسام منذ انصرافه من أمام «سيبة» الجزار، حيث يكون قد تأكد من أن اللحم صار أخيراً فى يديه تمام اللفة الوردية الصمراء التخزية المبقعة بالدم على صدره وهو يركض مترنحاً ذات اليمين وذات اليسار كالسكران النشوان يلقى السلام على الناس بكل ود، فيردون عليه بكل احترام للورقة النائمة على صدره يقولون: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت عشت، وتزداد الابتسامة نورا على وجهه كلما اقترب من حارتنا، فإذا يبدأ فى دخول حارتنا يأخذ شكل الرجل المحترم يبدو بالفعل نسخة من وقار أعمامى الفقهاء فى مشيتهم لا فرق سوى الجبة والقفطان والعمامة والمعصا. ولم أكن أعرف لماذا يفعل هذا فى هذه الحارة بالذات مع أننى أعرف أن أناسا كثيرين من أهل حارتنا هذه شاهدوه فى السوق وهو ينضرب بالصمرة القديمة، هم أيضا كانوا يردون عليه السلام بكل احترام قائلين: تفضل يا أبو عواد، فيقول: عشت، ويدلف إلى دارنا، من خلفه أنا، متفاخرا، محشو الجيوب بالمعجوة والبرتقال واليوسفندى والفول السوداني. ينشرح وجه أمى وأخوتى من منظر الورقة، أمى تسمى بالله قبل أن تفتحها، تقلب فيها قائلة لأبى وهى تشوح بيدها فى وجهه بحب: ان شاء الله ما اشتبهيك، تذهب إلى الكانون المشتعل تكاد ترخرد من الفرح. أنسى فى الحال كل ما أصابنى من بكاء وصسراخ ونكد، أوزع على اخواتى وأمى وأبى كل واحد بلحة عجوة وقص برتقال. يكون

وبقنا قد بدأ يجرى والفرح يعمنا كلما طلعت زائحة اللحم المسلوق من تحت غطاء الحلة مع الدخان.

خالك، يرحمه الله، اشتغل فى أشغال كثيرة. الشفلة الوحيدة التى كنا نحبها ونتمنى لو دامت هى شفلة الخفارة، حيث خفرتنا ما كينة مياه كبيرة كانت لرجل من الأعيان طيب القلب مثل حالاتك وحالاتى، كان له ثلاثمائة فدان تسهر عليها ما كينة المياه ونحن وأبى تسهر عليها وعلى الأرض طول الليل. أقمنا دارا لنا بجوار الماكينة وأقمنا فيها، فبقيت دارنا تقطع المسافة بين البلدة والجبل، إلى الجبل كانت أقرب، وكل العصابات التى تخبىء فى مغارات داهل الجبل كانوا أصحاب والذى وكانوا يستريحون عندنا أثناء تسللهم من الجبل ليلا إلى البلد أو تسللهم من البلد إلى الجبل. «على السايح» نفسه، الذى هرب من السجن والقيد الحديدى فى يديه، كان يستريح عندنا، ولقد سحرنى هذا الرجل مثلما سحرنى الجبل، هو الوحيد الذى بهرنى بعد الجبل وأوقف شعر رأسى من الرعب والحب لهؤلاء الذين يدوخن البر كله يحتضنهم هذا الجبل المهيب الخفيف الملئ بالمغارات.

اتعلمون كيف هرب «على السايح»؟ تراك أنت وجيك لم تسمع به. وهل رأيتم أنتم شيئا؟ انكم جيل الفقر والحروب وعسكر الاحتلال واحتلال العسكر، فمن أين تجيئكم المرجلة عدم المؤاخذه؟ من السمن الهولندى والقمح الأمريكى الذى دفع فيه شرفكم؟ أم من الفراخ الفاسدة ولحوم الكلاب المفرومة التى يوردها عبد الحى وعبد الميت؟ أم من الماء العكر المختلط بماء المجارى والهواء المختلط

بعدم المكن والمواقف؟ عليه العوض ومنه العوض فيكم يا ولدي! في هذه السلاسل شيء كبير عبط لا أحد يدرى ما هو لكننى أقول أنه ندرة الرجال!

«على السايخ» كان محكوما عليه في أربع تأبيدات كلها اعتداء على الحكومة وقتل أعيان من رجالها، مع أن الحكومة هي التي كانت تبدأ دائما بالدعوى، من هناك من يتعدى على الحكومة من الباب للطاقي؟ أساس تعتدى على الناس، وهيهدت أن تحرق الحكومة في الوقت المناسب، أميت يبقى في مكانه ثلاثة أيام ربما عشرة في انتظار تشريف وكيل النيابة إلى أن تتمتعن جثته ولا يستطيع مخلوق في أن يقترب منها وحتى لو جاءت الديبة فماذا ستفعل؟ محاضرات وأقوال؟ طبيب شرعى يبيع التقارير بتسمية كبيرة؟^{١٢} وحقوق نصيبها الحاكم بن قصبة يعرجون انطربوش على ناحية ويحكمون بأربع وعشر ومؤيد وهم لا يعرفون أصل الحكاية من فصلها ولا ظالم من مظلوم^{١٣} ومهامون متكلمون يحتلقون الأوراق ويولدون الكلام كلاما ومجارج وأواما تصفى دم الغلبة^{١٤}.

يا ولدي الناس طول عمرها تعرف أن الحكومة لا ترد لأحد حقوقه ولا تقنص من أحد لصالح أحد! أنها لا تدخل إلا لعض الممارك والفك بالجميع ولهذا تعودنا في الصعبد أن نجيب الحكومة، فما تبدأ معركة إلا وتكون أول خطوة فيها هي قطع أسلاك التليفون حتى لا تأخذ الحكومة علماء لكي تتسع الفرصة

١٢ واحد الناس حقوقهم بأيديهم يا ولدي، يقتصرون لأنفسهم بأنفسهم يا ولدي، أمان يا ولدي! اتظنون أنفسكم رجالا؟ ..

«على السايخ» يرحمه الله كان يتعارك عراكا بريئا مع مهر من «ثقلته» رنادات المعركة اشتعالا بعض الشيء، تطوع أبناء الحلال عسافروا إلى بلدة مجاورة لبلدتنا وأبلغوا الحكومة من تليفون مدمها، فسيطرت عليها العسكر والهجانة من كل مكان واشتغل احمر ب فينا عمال على نهار. دخلوا دوريا يدوى كما كان يفعل افرسناوية والمغول الذين يحكون عنهم في الراديو والتليفزيون ساعات صاروا يعرفون اشياء عن انساء بحجة أنهم ربما يكن «حولا» من «لها ريس متكرين»، ويفتحون حواصص المعيشة فيدلفون انفسهم وانفس واللبن على الارض يدفسونه بالأحذية الميري، و «أفهم» نحين وحواصص الجمال وعجلات «لوكس» فوردد يدفسون «حواصص» والأطفال والعجوز فمن يرى هذا يا ولدي ولا يغنى و «١٤»

كتب طفلا صغيرا أيامها وكان ذلك حوالي سنة ألف و «معمامة» وخمسين أو قلها سنين قليلة، ولارلت حتى هذه «المنطقة» اسمع الصراخ والصويوت الساكن في أدنى من يومها «هاتين» - قادر أن يخرسني لو كذبت - شهدت اندفاع «الحكومة» المندفع الرشاشة يجمدون كل من في طريقهم «عميان» الدار المجاورة لدار «على السايخ» ليس لها دعوى «شيء»، لكن العسكر أخذوا يصوبون نحوها مدافعهم

ويضربون. خرج بهم من شباكيها حتى وقفا من عائلة «الجانية».
 افنتي اسمه «جبة» وعمره حوالي خمسة عشر ربيعا، والفتاة اسمها
 «جبية» وعمرها حوالي خمسة وعشرين عاما. أخذ كل منهما
 يدافع عن داره وأهله مطلقا رصاص المدفع الرشاش على العسكر
 والهاجة فقتلوا منهم جملة، وكلما وقع منهم واحد زغرقت الأم في
 الداخل، إلى أن اندفعت رصاصا من مدفع أحد الهاجة في رأس
 الفتى «جبة»، كانت عبيقة حتى نثرته من الشباك وألقت به خارج
 الدار في الأرض، فمأ كان من أخته «جبية» إلا برلت من الشبان
 ولقت من الحوش تفتتح باب اشمار كي تجيء بجثة أخيها وكان
 العسكري الهاجان الذي ضرب أخاها قد برل عن جملة وجاء نحو
 الفتى ليأخذ منه مدفعه الذي كان لا يزال يحتضنه، فعاجلته الفتاة
 «جبية» مفرعة فيه كل حشو خزينة مدفعها، وجرحته حتى عنة
 الدار. وبحد الفأس قطعت رأسه ودراعيه وقدميه وصارت تفتت
 لحمه كأنه الردم!!

كل هذا وعلى السايح طامح في الهاجة والعسكر بفرسه
 ومدفعه الرشاش وسيفه وحجره وسوته حتى قتل منهم جملة
 وأصاب مجملهم إصابات خطيرة، وحين هوجمنا مجيء الجيش
 المصري بهزات المصلحة ومدافعه وخيوله ليخمد المعركة وجدها
 قد أحمدت تماما ولم يبق منها سوى «على السايح» وهذه، انذى
 صعب عنه أن يهرب والجل على بعد رمحين بالفارس الأشهب
 وجثأ أهله وحيرانه وأمهارة مرمية على الأرض في كل ناحية

مع الحكومة وحده محرج مكيلا بالحديد في يديه وقدميه
 ، شيعه ابرع اريد لتي طعت على اصوات انكالي وحمبر
 لهاها

رحاله إلى النيابة ثم محكمة جنايات أسبوط فحكمت عليه
 الرأفة الرابعة فقط لأن محاميه وعند الفتح باشا الطويل أشت
 له عند المشتع المعركة كان هو مقلأ من عند أحواله في نجع
 حمادي مجاور للندة «أولاد إبياس» وأسه وصل بعد انتهاء المعركة
 وبهذا لم يشارت فيها ولوشارك لكان أممه مقسع لهرب كما أنه
 ليس لدى الحكومة شهود لا من رجاها ولا من أهل البدة لأن
 الجميع كانوا قد ماتوا في المعركة وعددهم جميعا حوالي
 مائة وستين فردا من الطرفين حكومة وأهالي.

بعد انتقال «على السايح» من المحكمة إلى السجن تكف منقله
 أربعة عساكر أشداء وضعوه في «البوكس فور» مقيدا بالحديد
 من يديه وقدميه ولجما «البوكس فور» يمتطي الطريق الررمي
 أشير «على السايح» نحو نجع أخوابه وهمس في آذانهم بجسدية
 وحديق كبيرين - (الله يرحمه كان مهيبا) - قتل أنه يدفن في هذه
 اباحية التي جنية في الأرض، وهو الآن ذاهب إلى السجن المؤبد
 وحسارة طلعا أن تاكل الأرض هذا الملع، هرام، ليكن لهم ألف
 وله ألف يصرفه في سجنه إذا هم مروا به على هذا المكان حيث
 يشير لهم من قعدته هذه على موضع النقود فيفتحون بأنفسهم
 وستخرجونها صنف عسكر الشرطة أدبياء وأن تظاهروا بالعة

الشديدة بل هم كذلك لأنهم كذلك وهكذا بدا عليهم أنهم استحسنوا الفكرة ووافقوا عليها، فالتف جنه على أربعتهم ليست ملفا بسيطا بالنسبة للقط الذي يعيش فيه خدم الميرى ومن يتمرغون في تراه أعلنوا موافقتهم بجسارة خاصة أنهم مسلحون وهو أعزل مقيد فضلا عن أنه بعيد عن بلده وأعوانه. وبعد أن انحرف «البوكس فورده» عن الطريق وانتهى بالمنعطف الواصل إلى الغيمة همس لهم «على السايح» بأن منظر «البوكس فورده» سوف يلفت النظر ويثير الشبهة فيلتم الناس ويعطلونهم عن كشف الدفينة وربما ادعى البعض أنه صاحبها، واقترح عليهم أن يركبوا «البوكس فورده» في دروة آمنة في سفلح الطريق ثم يركبوا سيارة أخرى على حسابه توصلهم إلى مكان الدفينة تعود بهم إلى مركز أخرى على حسابه توصلهم إلى مكان الدفينة ثم تعود بهم إلى مركز «البوكس فورده» بعد انتهاء مهمتهم

ركب هو بجوار السائق ليرشده على الطريق سائق الأجرة عرفة في الحال وسلم عليه لكنه قفل ملامح وجهه أثر غمرة قوية من أصابع «على السايح» المقصود. ظلت السيارة الأجرة ترمح بين الحقول في طرق ضيقة حتى توقفت أمام دار تظلم - وحيدة - وسط قطع من النخيل والجرورين والكافور وتحدها من جميع الجهات مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية التي هي ملك أخوان «على السايح» وهذه دارهم. خرج منها ثلاث رجال يهتزون وقع خطواتهم المهيبة جيبس الأرض لتقول هزاته لهؤلاء الذين درلوا من السيارة: الأجرة أن احضروا فانتهم أمام أسياد هذه

الأرض لكل منهم شارب يؤكد لك أن العيب كل العيب يكون عليه لو لم يصدق صاحبه في كلامه، وعصا من الشوم تؤكد لك أن الويل ملائيك لا معالة أن أدبت لاجاة أو غباوة، ووجه يشوش باسم عن سعة يؤكد لك أنك بالكرم الغزير موعود، وأنتك، محسن انتصرف والبقاة - من ها هنا - مولودا..

وهكذا وحجى العسكر الأربعة أنهم قد أحيطوا بالكرم والاحترام على أكمل وجه غداء سريع شهى أعقته شائ ثقيل وقيل الغداء بتقريب استأذن «على السايح» من أخوته في عأس فحجى له به فاصطحب اثنين من العسكر ومضى بهما خلف الدار مسافة طويلة حيث توقف عند بقعة معينة طلب الفحج فيها فمحت العسكريان حتى عثرا على الدفينة بأبعد مسوفة في قماط من جسد حواء قديم، فلما عد ورأى العسكريان الآخرين لبشاشة وارصا في عيني زميليهما شملهم الاطمئنان وجلسوا بغداء في قديم من التردد والترقب، لكن كوبة الشاي اشقية تكفلت بعدن أرمعتهم على الصهولة الراحقة والانشراح المجلج يروقان الأفيون المروع حنفهم مباشرة على مساحات لا يحدها البصر. لهذا سمحوا لعلى السايح - عن أريحية وطيب خاطر - أن يدخل لبسلم على زوجة خاله خلف باب الدار مباشرة..

روحة حاله كانت في ابتساره داخل حوش امدار ابواسع البعيد، عأس الصغيرة كسرت أفعال قيوده، سمته الحصان ومدفع ارتشش وصاحت فيه انطلق فاندفع من الباب الخلفي لا ينظر

حلقة قاصداً الجبل، ولو رفع العسكر رؤوسهم وتلفتوا حولهم
دروا فارساً متكوراً فوق حصان يشق الريح مدهماً نحو ركن
بعيد من السماء، لكن للعسكر لم يرفهوا رؤوسهم لأن محذر
الأنبياء القوي الذي شربوه مداً في الشئ بكمية كبيرة كسر
رقابهم فأرتمت رؤوسهم على صدورهم كرهوس العصفائر
الذبيحة فلم يشعروا بأنفسهم إلا وسائق لأجرة يجز جثثهم
واحداً وراء الآخر عبد البوكس هورده ويزركهم واقفين متهدنين
يتطوحون، ليصنق هو إلى سيلة مثيراً سحب العبار جفنه

إن حلفت لك بالله العظيم أننى جلست مع «على السايح» هذا
تقول عني كذاباً الوكيل رسا، لقد رمت بيديه على رأسى وكنتى
فيما هو يستريح في درنا مع رجائه كانت أمى تحمر عيشا
ليكلها حمرة حلها فيأكل رجائه الحبرة كلها وتضطر أمى
للخبر ثدية من صبيحة ربه وهى في عية الانسلاط لأن الذى
أكل خبرتها هو «على السايح» ورجائه غير أن سعادة أمى كانت
تجىء من ناحية أخرى، إذا كانت تعرف أن «على السايح» يتلکأ
في الطريق حتى يغرق ستر النيل ليذهب إلى داره كي يجامع
زوجته ويستحم ويغير ثيابه ليعود إلى الجبل، وكانت تعرف أن
رجاله اببالع عددهم عشرين والذين يأكل بعضهم حيزتها الآن
سوف يحوطونه طول الطريق أن هناك مثلهم أكثر منهم عدداً
يتراشقون بالارض في طول الطريق من أجل إلى الدار يؤمنون
له الطريق يصنعون من أنفسهم ستاراً فوق ستر الليل ولا

سدهون في معدرة مواقعهم إلا بعد أن يروه ماراً عليهم في طريق
العودة!

«عمدة كان ابن عم «على السايح» وكس يبوب عنه في رعاية
مصالحه في غيبته في يوم من الأيام ذهب أولاد «على السايح»
إلى عمهم العمدة يطلبون قمحا لعدائهم، فقال لهم في حياء

«هل خفيتمكم وتسيتمكم؟ روحوا لانيكم»

ذهب الأولاد إلى أبيهم في الجبل فقاوا له من الكلام، حمل
«عنى» رششه ونزل من الجبل إلى دار ابن عمه فرآه واقفاً
فأسرع العمدة بأغلاق الباب ولكن انصرب استمر فادا بفقل الباب
يحلج من مكانه ويدخل في صدر العمدة، مع ذلك تمكن العمدة
من شد التليفون للمديرية، فلمحق به العسكر وهو خارج من البلدة
في طريق الجبل بين رهط من أعوانه، هجموا عليه فراح ينادلهم
أحلاق الرصاص حتى كوفهم جميعاً ماعداً اثنين حصصاه من
انحلف وهوبا عليه حتى جعلاً جسده كالفربال!

موتنه تسوح أبى، خاف من الضغارة، أصيب بالتمعية والرطوبة،
حاده والعياذ بالله «فكر» في رأسه جفف عوده وكسر شوكته،
فدشتمل مع عمال الكهرباء في معسكر ستة وعشرين الأسبيليرى،
فلم يمض حول واحد حتى وقع عليه المقص الكبير الذى يركون
من موقه النواسير، فمات في الحال مات يابوى وتركنا بالحسرة لا
وراءنا ولا قدامنا

الله واحد أمى هى المبتدأ والخبر

شهور طوبى ونحن جوعى أى والله يابوى أن قلت لك ثلاثة
شهور تقول كذابا الحق أنها كانت ستة، مدتلى ليلة ويوم إلا
سنتين، الذى نبيت فيه نصبح فيه كل فتلة حيط كل قطعة حشب
ل شىء فى حورثنا يصلح للبيع بعداء بغدوة بعشوة محرم
البطون بعدها أياما وليالى

تدول أعمامى الفقهاء؟ لقد فعلوا الواجب طيما كثر حيرهم، اكنا
ماى حسابهم أياما لكنهم هم أنفسهم كنوا محتاجين لمساعدة
لدى عنى باب الله العبد وسيدى معاً، لم يكن بقى منهم سوى عم
و حد صرير، بعد أن كانت حسينية انشأى وانقهوة ثمر على
مسبوقة أكثر من مرة أصبح لا يقدم لهم حتى جرعة ماء، بل كان
«نهم يحلسون كيما اتفق، بن كن ينتظر منهم غمرة يد دافئة
احسنة عند انصرافهم وكان يوحى لهم بحركات يديه أن
ملوف فاذا معلوها بحسن نية عصب وافتاح هياجا عاصفا
...هى بأن يعطيهم درسا فى احترام العلم ومن يحملوه، فلعلم

رسالة سماوية وليس هو إلا مكلفا بها والأجر على الله يقضيه
منه سبحانه عاجلا أو آجلا وكما تأجل الأجر عند الله رادت
قيمته " نفس الكلام الذي كان يقوله للنعامة أيام كان الحجير يجري
في يديه!

المقصود، تكوينا في الدار لا يعرف بلوإا إلا ذو الحيمة الزرقاء
التي تظلل كل عباده. امرأة حالك ياولدي قلبها سخن دائما،
ودماغها ناشف لا يستطيع الرمز كسره ولو كان حديدا تذهب
تسدع بعض الجارات في بعض الأشغال، في الحجير لقاء بصمة
أربعة، في الطحين لقاء حفنة من الدقيق، في الدنع والصبغ لقاء
طبق من الطعام، كله ينفق، ولكن لوقتته فحسب، فما العمل
يا بوي؟ المئات عمدا لا تشتغل، نموت جوعا ولا يعرضهن
لشبهة ساعة واحدة عند الناس. أهى الوحيد طفل رهيب ياكسي
الدور والساقى كله على أم، هذا ما كنت أقوله لنفسى وأما أنكور
على نفسى منحشرا في القاعة بين أخوتي.

أشأ عشر عاما كان عمري وقتها، طويلا كنت كما ترى واسس
فوق رأسى لندة مقصوعة للوراء وأندو رجلا لا يقصصنى من
صفات الرجل شئ لكى اشتغل مثلهم وأشقى مثلهم، ولكن ميم
أشقى وأتعب؟ لقد كان أبى رحمه الله يملك القوة ويلف يبحث
عن يستأجرها لقاء سحارة ها أبدا - أبصا - أملك الشدايق ولا
أعرف كيف أملا بطنى وحدها فمن ياترى يملأ هذه البطون التي
صمرت فينا وسحبت البصر والصوى من هيونا؟

أمرأه حالك تدعنى في كتمى قائلة في عيط أروح، وليس من
مناير أروح أبية، لكنى أعرف سر عصبها فأقول حاصر، ثم أهب
وأف عاراف تشوح في وجهى قائلة ألا تتحرك ياولد؟ ألا تدع
من بفعله الرجال؟ متفديب حشرك الآلى بيينا؟ يا أحمى اسرح على
ب لكه فكل الرجال يسرحون كل يوم ويعودون بحير كثير
اسمع ياولد! أرض البصارى قريبة من هنا وفيها ررع كثير! أذهب
إسها وهات منها شيئا مأكله، إنها مرروعة قمف حد القفة وأملأها
عن حرف ساسلات وتعال! وأحذر أن يراك أحد وأنت تدع هذا
و بهم أن يراك وأنت مقبى بها أهمم ألا يراك وأنت تشرقى فأنكل
على الله يا جديع! أنكل على الله.

هل أعشت؟ أنكلت على الله، حملت القفة وخرجت، قصدت بلدة
أبو حجره القريبة من بلدنا قرب الأب من العم، كل أهلها من
البصارى زرعهم واسع، لا تهدد حدود، يستأجر الأبقار للزراعة
ويديم ماكينات المياه تروى الجفراء معدودون لا يستطيعون
حصر هذه المساحات الشاسعة في عين حتى ولو كانت بمظارة
معصية أحتوت منطقة مقطوعة مبروية عن الطريق، أحدث أحصد
السيارات وأعمى القفة حتى ملأتها لتسها، حرمت عائدا إلى داره،
أفرع القفة فصعدت كومة كبيرة شكلها مفرح قالت أمى مشيرة
إلى القفة أملأها مرة أخرى قلت حاصر بالأم، واسطقت متأنطا
أهههه، ومن منطقة أخرى ملأتها وعدت، فلما أفرغتها استدرت من
أ. ح عائدا لأملا القفة مرة ثالثة بعد المرة الرابعة صار لدينا
مستسا يصلح ضحيا بحير عائلة، مع ذلك قالت أمى أذهب مرة

خامسة وكنت قد تعبت، فقلت لها كفى يأم. فجعلت تتحايل على وتقبلنى وتستحلفنى برجمة أبى وأنا أقول من الضيق كفى يأم. لكن انذى طلع عليها هو مرة خامسة ففقت أمرى لله، وحملت القفة وخرجت الدار المجاورة لنا مباشرة لدى أهلها كلفة شرسة مخيفة ولذا يلقون عليها باب الدار باستمرار ولا أحد يستطيع دخول الدار إلا إن امسك أحد أهلها بأكفها من جزيرها وضعتنى الخطوة اثباتية آدم بيت الجيران الذى كان مفتوح الباب فى هذه اللحظة ما أدرى إلا والكلفة قد هجمت على الفم وأطلقت أسنانها على يدى اليسرى وأخذت تجرجرنى وأنا أصرخ حتى حصصوى منها دلعافية وخرجت أمى تاحم وجهها قاتلة أما السبب، أب السبب، أه من فراغة العين! ولم تقل أمى أن السبب هو الحرام الذى شجعتنى اليوم على ارتكابه!.

رقدت بهذه العصة شهرين كاملين يابوى لا حفة ولا برشامة ولا أى شيء سوى النصلة فوقها حتى طادت ولكن أثارها لاتزال فى يدى محفلة عانة مسنديمة..

طاب الجرح يكن جرحا فى داخل النفس لم يسطب، خرجت إلى الحفول من جديد أطلب الرزق فى غلس الطلام وألقى به فى حجر أمى أقول لها كفى يأم أنت وأخوتى فالهم عندى رهائك يأم لكن أمى بدأت تضاف على، وأنا أيضا بدأت أهاف على نفسى صحيح أن ربك يكرمى ويعيذنى إلى أمى وأخوتى سالما ولكن ما كل مرة تسلم الجرة على رأى عمى العيقه الضمير..

فى يوم كنت أرتب بسرقة مخزون علال فى دابر اساحية بجواره مدرة حوبها صاحبها لقعدة تبيع الشاي واسكر والدحن والحلاوة الطحينية والحيط والابر، يجلس فيها الرجال يشتركون فى ردة شاي ثقيلة، ابواحد بقرش تعريفة، لكن لا يجس فى هذه البقعدة يابوى الا من لديه قرش تعريفة، القرش لا يوجد إلا فى حيك سبع ممن عندهم اراض أو من قطاع الطرق

عيل مثل حالتي لو يجلس معهم يخدمهم طول القعدة اذا نبيت شفعة شى من الدور الثالث تبقى مركة هدى لم يكن شفعة الشاي هذه ولا قعدة ارجال، أما كنت أشوط حبار المحر من صاحبه ابنى يحس فى هذه القعدة على ايدى يوم كنت ريد أن اعرف أن كان يقبى سيحى على شوبه حج أم بضاعة شوبه يمكن بيعها أو أكلها، ولقد عرفت أن فى المحر بنشر دابوى وأنى أن ائل الدبوى والشهد لو وقبى اسمه والمقالة بسطة هذه القعدة جزء من مدرة بقطوع عبنى ورقه أسره من المحر ومنه وبين القعدة باب حششى لو دقرب عنه كفى مدرة واحدة يومه جيبش أذن فأحسن تليسا من الفصحى الرسم ليس فى يعرف ركنية مصنوعة من صوكة ماعر سبع ثمانى كيلار، كل الناس عندها ثلاثيس، وليس يعرف أحد بنفسه من نبيس الا ابر ساحمله وأخرج من باب هذه القعدة عصى أسرار بعد حة من الداحن حيث أمى بوبوع اشتدك د حبة لا تسقط الدخوة بين بسن القفص ومنه فى صفة بعد فيصبح اصاب هومر (إن هى أن ألقى جاسسا هكذا حتى يهده لسهرة و بسن

قبل الاعلاق لأنام بين الأجولة في ظل التلاليس داخل المحزن،
يفلقون الباب على ويصرفون، وقبل أدان الفجر بقليل أفل
تعلتي، ومن يدري؟ ربما تمكنت من العودة إلى المخرن مرتين
أو ثلاثا قبل أن ينتبه أحد لاي شيء!.

تذكرت يابوي أن الرجل صاحب المحزن مسيحي، وكل
مسيحي في بلاد الصعيد لابد له من «بدوي» يحميه، حتى لو كان
المسيحي رجلا أمة من ذوى الأملاك الواسعة و «البدوي» جربوع
شجاع حامي اقدمين ظلمت على الدنيا وأنا أرى هذا اسظام في
كل بلد من بلادنا، وكنت أهتم أن أكون ذات يوم «بدويا» لواحد
من المسيحيين الأعياء، فهو العمل الوحيد الذي ليس عليك أن
تعلمه يكفي أن تكون ولدا بلطجيا قتال قتلى ولك سمعة واسعة
في السفالة وقلة الأدب أو في الشهامة والجدعة والرجولة، ففي
العاتنين ستجد من يسمى إليك لتكون بدويه بطعمك ويكسيك
ويعطيك مصروف يد وجعلا مبعيا من الماحصيل، وليس المطلوب
منك أن تفعل يابوي، يكفي أن يعرف الناس أنك بدوي فلان
الفلاني لكي يتجنسوه ويتركوه في حالة، أو يكون المعتدون أقوى
منك فيفعلوا ما يشاهون تحديا لك وللمسيحي الذي يتحامي بك!
المسيحيون عصمة رزق يابوي فهذه الطريقة امتنعت حفاظتهم
مع الناس المسلمين من أهالي البلدا الحناقشات تحدث بسببهم
فحسب ولكن بين المسلمين وبعضهم فحينما تكون أنت بدويا لأحد
المسيحيين وأجى أنا فاسرق داره أو زرعه أو ماشيته أو أتعرض

له في الطريق ماى سوء فإن هذا لن يحصلك بالطبع وسوف
تأخر أن العسوان موجه إليك وحدك ولسوف تنتقم من شر
انقام ما في ذلك شك خصوصا عندنا في الصعيد!..

دورت في دماغى فسمعت أن «بدوي» هذا الرجل صاحب
المحرن هو أعرب رجل في «كوم سعيد» بل في القبايم كلها عم
«عسران زهران» الذي لا شغلة له ولا مشغلة هو في طول عرق
الحشب يابوي، وفي تهن تليس مأل، يقول الكبار والمعائز عنه
أن عدد قتلاه في عدد شعر رأسه الغزير المهوش تحت تلغية
هراء حيث لا لبدة ولا طقية تستطيع أن تلمه تهتها، غير أنه
إهدى في أواخر أيامه ممد أن احتاره المعلم «مضائين بطرس»
«دويا» له، اد بسطه وخصص له جلابين في الحام واحدة للضيف
وأخرى للششاء كما خصص له دحان سجاثر يشربه وتلاليس
فصح ورة يأكلها هو وأمه وشقيقته العاجزة. شغلته طول النهار
أن يجلس تحت قرص الشمس فيفلى ثيابه من القمل والنق
واسرعيت المحتنة في خياطة الثياب ورقعها عم «عسران زهران»
هو سلية كل عيال البلدة، يجيئون له من أقصاهم إلى أقصاهم
تفرجوا على.. أيدها!

أى نعم يابوي، فقد كان لعم «عسران زهران» أير عجيب
«كوم كحلة صغيرة وكان عم «عسران» يضطر للمشى مفرشا
«عسران زهران» مرميا على الأرض وأیره مرمى بجواره
«سهار عاطلين» ذلك أن عم «عسران زهران» لم يثروج قط،

لأن فتاة من فتيات البلدة لم ترص به يا بوى جرب حظه فى بلاد
أخرى، لكن دخلته على الناس فى دورهم على هذا المنظر كنت
تثير فرح الرجال وتذهب عقول السيدات، ليس بمعقول أن يرصى
به رجل زوجا لاسنه، فحير للرجال أن يطل هذا الأير انعجب حيرا
يتناقله الناس من أن يكون حقيقة قريبة منه يمكن لحريمه رؤيته
فى أى لحظة، أن أى رجل يابوى لابد أن يضل من أيره اذا رأى
اير عم «عسران زهران» وبهد طارده انرحا فى كل رجة حاولها
حتى عدوا نفسيته، غيرت عليه بحثا شديدا قاتلا. «معيش لك
رب يسمى الكريم»، وتبدو الدموع فى عينييه حقيقة تكاد تطفوا.
أى والده يابوى قادر رينا يفرستى لو كنت أكذب.

كما تذكر يابوى أن نصف ذئلاه من اسبب هوجى لناس
بجيشهن مرسية على «طرقات وهى شعور عاريات مرفعات
فترتد ويكاد نفع من طوبى تذكر أصد أن عم «عسران زهران»
اشتمل فى كافى الانجيز سموت طوبى بديره ثم يكر بعض اى
عمر بما عليه أن يحس فى مكان ما على لكاب مغرب سابقه
ليظهر أيره مخصصا، وكبوا - يسألوه اسئلة كثيرة ويجاوب
عليها ويأخذ بقوا فى نهاية الأمر تلك كانت حسن أباه أشدها
رولحا ولا يراى الناس يتكلمون عنده على أنه حال هون عم «عسر
زهران» كان دائم ينهى كلامه ما حسى من كافى الانجيز
وحريمهم ويكل بهم إذ هو لم يقتلهم محسب بل هرا مرحوتهم

عم «عسران زهران» يابوى ليس له فى الحناق ولا المراك رعم
صحة حسمه، كل الناس فى العبايم قلى يعرف أن عم «عسران
زهران» أقوى ما فيه أيره رعم أنه لم يستد منه فى الناحية التى
حق لها أصلا والمعلم «مichaيل بطرس» حين اختاره بدويا له
كان ذلك لحوفه من أيره أن يفكر عم «عسران» فى استخدامه
صده خاصة أن المعلم «مichaيل» واسع الدرية معظمها فتيات يقلن
لستا «مريم» العدراء قومي لبقعد مطررك ليس المعلم «مichaيل
بطرس» وحده من كان يعمن حسابا لاير عم «عسران زهران»،
إما للذة كله والساد المجاورة كانت تهشاه، ليس لعدم ثقتهم
خميها فى حريمهم بل بعدم ثقتهم فى أنفسهم، فلو أراد عم
«عسران زهران» أن يكيدهم من الكيد فانه - فقط - يعيش مشوارا
فى شارع داير الناحية وما يتدفع عنها من حارات، يعيش فتراه
وهو مقبل حيث يعمر انبواه بحديه بين ساقية مجسدا ساقه
الثالثة المنورة عند الركنين فيصبيك دالجنون أن كنت شايبا حرا.
سوف يكون أول شعور يدعك بحظتها أن هذا الفصل الجاموس
جاء يتحدى أنوثة هريمكم وذكرورة رجالكم على السواء

صدقى يابوى أن بعضهم فكر فى قتله، لكن اعلية كبيرة
امعت - جميع أن قتله حسرة - فهو شى يستحق العرجة ولكن
فى مكان منعزل

صراحة يابوى كنت معجبا بهذا اعم «عسران زهران» اعجابا
شديدا - كنت ثانى رجل بعد «على السايح» يخطب لبي ويستولى

على كل جوارحى وحياىى، الاول لانه قوم الحكومة وقتلها،
وانشأى لاه قاوم الاجليز بايزه لكن لما تذكرت انه ابداوى
اشخاص بالمعلم «ميكائيل بطرس» صاحب هذا المحرن حقت منه، إذ
هو لايد أن يعرف يابوى، لأن «عسران زهران» يسهر فى قعدته
بين الخمر ودانبا، يعنى لايد أن أمر عليه من هنا ومن ههنا
داهبا أو آيبا، وهو رجل عكروت وضرس، لو كان فى عر الشخير
ومن بجوارزه من يحمل شيئا أى شىء فإنه يصحو فى الحال
ويطر فيه، ولايد أن يعرف من هو وما الذى يحمله ومن أى مكان
هو قادم وإلى أى مكان هو ذاهب، وإن كان غريبا عرفه فى انتر
واستوقفه بشقطة واحدة ويسألون عم «عسران زهران» كيف
يتأتى به الصبحو المفاجيء عند مرور من يحمل شيئا ؟ فإذا هو
يقول أعرفه من وقع خطواته على الأرض! فمن يحمل شيئا تكون
خطواته أثقل ودنبا على الأرض أشد وقعا وصوتها أكثر ربيبا فى
أدى التى أصعبها فوق الأرض بدور محدة ١٠ فكيف أنجو من هذا
الرجل يا بوى إذا وفقنى الله وسرقت المحرن ١٢ من اقتله وهو
بائم ١٣ لا أريد بل لا أستطيع!

دماغى أخذ يذهب ويحيى يا بوى، وإذا برجل قادم من عند
سوان لعمدة يقول أنه سمع الراديو يقول أن ملك فروق الاول ملك
مص واسبوان قتل من العرش لولى عهده «أحمد مؤاده الطفل
والد» مصرى حكم عليه بمعاقبة العتاد قبل الساعة السادسة
وهذا كلام فت عليه أكثر من جمعة وحسن لا يعرف يابوى

بقينا أياما طويلة نجري على الراديو هلا سمع إلا غثوة «ع
الدوار ع الدوار .. راديو بلدنا فيه أخبار.

وأخيرا وصلت الأحبار يابوى، عرفت أنها من يفهمون كلام
الراديو أحبار مفرحة يابوى وفيها أشياء لا يصدقها المرء، حيث
أن البلد انقلبت جمهورية وجاء العصر الذى يبيع الفقراء، لم يعد
هناك باشا ولا ملك ولا اقتطاع، فلما سألتهم «اقتطاع يعنى أية
بالدينا؟» قالوا لى يعنى أرض البصارى وأمثالهم من المسبيين
ولسوف توزع على الفلاحين الذين يررعونها " وقدلوا كذلك أن
التعليم صار بالجان وأن كل الدس مثل بمعصم أمام مراكز
الدوبيس واحاكم والحكومة " قنت يا أسيايد قولوا كلاما غير هذا
يصدق المرء ١٤ قالوا كنت بهيما وأذن الله أن تصبح آدميا فأفهم
يا نجم. القصد أنى بقيت شهورا طويلة لا أصدق هذا، فى كل يوم
أرداد جراءة فى الهجوم على الحقوق ودرائب المواشى وقطعان
«نعم فلا أجد من يردنى، بل كان يصادفنى من يردى عائدوا
بالسرقة مضطرب النملوات مبهرل النظر فلا يهتم سى قد يطر لى
بطرة دات معسى ثم يحول وجهه عنى ويمضى فى حال سببيه

وسمعت أن ملاك الأراضي يوزعون أراضيهم على أولادهم
وأقربهم كتابة على الورقة فحسب حتى لا يزيد ما يملكه الفرد
عن مائة فدان. قلت حلو ثم لاحظت أن أولاد الأعيه وانباشوات
واسكوات اكسرت شوكتهم وانتوت وحوشهم وهجر الانسسام
فدهم فعلت يظهر أن كلام الناس صحيح وأن انه قد أس بقيام
من على هذه الدنيا على أيدي هؤلاء الذين يسموهم بالثورة

إلى أن جاء يوم رأيت فيه بعض الخدم يصمون أديهم عن
 ذنابات أسياهم! وبعض الفلاحين يتبحرون في موالهم! وبعض
 العلابة يرفمون وجوههم وربما السستهم في وجه عسكري
 البوليس بعد أن كانوا يلعبون له أررار سترته! وبعض التلاميذ
 الفقراء يتعاطون بحراة مع أولاد الدوات ويشتمونهم ببساطة
 فقلت في نفسي الأمر ان صحیح يا ولد ومن يومها شعرت أن
 الدنيا قد اتسعت أمامي والدار التي يسكنها غير سقف صارت
 قصيرا صرت أفس مثليا بفعل الخلق من أمثالي، أتباهي بأنني
 فلاح ابن فلاح وأنتي صعيدى، ليس عبد الناصر كله من بلدنا؟

اندى جاء في دمعى أيامها أنى يجب أن أسافر إلى مصر، ولم
 أكن أعرف يدري أن اسمها القاهرة، لكنى منذ حملت أهتم سماع
 الراديو كلما تواجدت مجواره، كنت أسمع الديع وليس في اسمه
 سوى كلمة «ها القاهرة» «ها القاهرة» «ها القاهرة» قلت وما
 القاهرة هذه يا جندعا؟ قالوا إنها مصر يا بهيم! التي فيها سيد
 الجسيمين والهرم والسيدة ربيب والإمام الشافعى والأهر
 الشريف صحت قائلا الذي تخرج فيه أعمامى وأحدوا شهادة
 العالمية؟ قالوا نعم قلت. والله لاسافرن، قالوا: تسافرن أنت إلى
 مصر يا حسن يا ولد حميدة؟ قلت أعمامى من قبلى سافروها، قال
 «دعنى» ولد الفرطوس مصر لو رأته أبراحت عن مكانها ورحلت
 وقتن «هائى» ولد «محيمر العيان» والله لتعرق عصبكوا حتى
 مرحوا على الحق قلت لنفسى «هل هذه مشكلة» وتركتهم

و«بصرفت، ولكن صوت انديع حتى فى أذى ليل نهار يصيح في
 بحر كبير» «ها القاهرة» فأكد أصح دليل حساسى من أسانى
 وألع عليها نكن ذلك أحد منى وقت، دين جلسانى موضوع بين
 أسانى على الدوام وكنا فى موسم انطق، أجم على مفارش
 لجمع فادحرج ركبى إلى محنا آمن ثم أحملها وأطبق أو أملا
 حجرى مرات عديدة أكرمنى الله وحوشى مبريد عن قطرين
 وفى احدى الليالى جئت بتاجر من بلدة بعيدة عابى القطن
 وشراء بمنع حلوا أعرائى بشره، محفظة سلسلة مشموكة فى
 عروة الصديرى، هزحت به أعظم لفرح وقلت له: ان شاء الله
 تطلبى عامرة، وقلت لنفسى شيء ممتع أن يكون فى جيب الواحد
 محفظة والأمتع أن يكون فى لمحفظه بقسود وكل «باس فى
 جيبهم محافظ ولكن ما كل لحافظ فيها بقود، بما البقود فى
 أكيس التحار، ومفروطة فى حيوب ملاك الاطيس، ومكومة فى
 حراش تحت الأرض!

حائس انها تف أن لى نعمة عيش مقسومة فى مصر القاهرة
 الذى فيها الثورة ولحيش وفيها الحير كله وانعيم كله دخلت على
 امر قنت بها كم يكذب يالم إلى أن يحبر به لى عيشا فى مصر
 «يكفيا ما يرفع به به قرأو كثر أخرجت محفظة عدت
 أسمى كعها وسحبت زغرودة امزغتنى وفرحتنى أخرجت من
 لدعته جيبها مده بهوها وثقا بها بشره عرض مرجا به وحده
 معشرة أنه فصل وعدل. نظرت فى عينيها فرأيت هذا ففسحت

الجنية الآخر وشرعته نحوها. مالوش تانى قالت باسمه
الجنية قلت صاحك بل الله ياويله ورحت أعد حتى حمسة كنى
هذا يالأم؟ بسطت ذراعيها راعمة كفيها نحو السماء صائحة ان
شاه الله ما اشتيك! الالهى يكتب لك فى كل خطوة سلامة يا حسن
يا أبى بى! الالهى ما يشعت فيك عدو ولا حبيب! الالهى يبرقك
برق اليتامى ويوقف لك ولاد الحلال! خد من قلبى وهرا!

شعرت يابوى كان بدنى كله يرتعش ودهش يفور صاعدا نحو
السماء برأسى أحتوى اسأت تملق حولى حزن يظن لى فى
فروح وبهجة وفى عيوبه رغم ذلك حزن كبير يابوى. أمى
الرضيع يتسلق أكتافى بهشى ماصا به الطرية ذات الرائحة
اللبنية الحلوة فأحدث أقبله فى همه فصار يعصص فى أنفى
بمراضيره فشعرت كأنى الأب وهم جميعا أبائى ففاصت
الدموع من عيني فمسحتها صاحكا بصوت عاى وقلت لأمى حدى
يالأم ليس خسارة هيت ولا فى أحتوى! صرت أعد حتى أكملت
العشرة جنيهاً، وشركت المحفظة تتدلى من سلسلتها كراس
دبيجة دليقة، ورجعت ذراعى وقلت لها ما كنت أسمع دأما من
عمى الأكثر الشيخ «عجلان» أبيد العليا حير من أليد السفلى يالأم
هد كل ما موى من بقود وهى لك لقد رزقك الله بها وكنت أنا
مجرد وسيط وهأبدا قد سمعت الأمانة وما عليك الآن يالأم سوى
ان «عجلان» أجرة النسكة «الحديد» لأتوكل على الله من عد إلى مصر
«...» انكريم و«عطاب عمر» فتحت أمى فمها وصارت

تعدى ومن مرحتها لم تدر ما نقول وكانت أحتى الكرى «سلمى»
حاسة نسية نفسها من جزء كبير من وركها فرجعت عيسى عنها
«منفصا فسقط بصرى على جذعها الممتد وصدره العريض
ممتلىء فوق بدنى مارد من الحواف بطرت برعى إلى أحتى
الذبية «مدوكة» فرأيتها فى الأخرى عروسا تكاد تتفوق على
«سلمى» وإلى الثالثة «سعدية» فرأيتها تملأ القفل واقعة وتميل
بالكور لتفرغه من الرير فتبدو وكأنها تشاعب حراط البدن
أحيث البدن يشكل مؤخرتها فى كل ميللة باستدارة جديدة
ويبحث حصره فى كل استدارة بسجنة تفرق المسافة بين
حصره وصدرها اسافر ويطل من رقبته السرجة المنرومة
ويدهر وجهها البيصارى كما ندهس وجه الفطير بالبريد والقشدة
ويوسع من عينيها السوداوين تحت العصبة المشغوبة بالحل
ولترتر ويحدث عن أختى الرابعة «هدية» فوجدتها قائمة قرب
اسباب منهكة فى صنع عرائس الطيرى وكانت الدموع تريد أن
تصطف على عيسى يابوى، لكن ولدحالك سيد من يكتم اندموع
عتلت أحتى الكبيرة «سلمى» وقالت لأمى اعطه خمس حنفيات
بحلها يالأم! فسوف يتعرب وليس له من سيد غير الله والقرش
لا يبيع يافع فى اليوم «الأسود» وليس أسود من أيام الغربة يالأم!
ردلت أحتى «مدوكة» بصوتها الناعم اندامع إلى الكاء باستقرار
دون أن يبكى ليس خسارة فيه يالأم انه انرحل وهو الذى يأتى
بها وقبالت أحتى «سعدية» بصوتها الزحوالى الحويل ومن بين
شفتيها اللطيفتين: ربما يخليه! لسا نطلب من الله غير صحته

ونفسه في الدنيا أما أختي «هدية» فقد استدارت نحونا عدة
تسمح يديها في ثوبها ووجهها كله عبارة عن سمة لاهية كأن
شيئا لا يدور حولها ولكن في عيبيها طريق الانتظار لأي خدمة
يطلبها

يومها أكلنا ذكرا من الأور المرغط من شهر مضى ومن
صبيحة ربا صررت هدومي كلها في حبة من الورق مكتوب
على وجهها شاي روري ولها مسافة من الطرفين من حيط مبروم
ملون يمر حلال كسولات كنت قد اشتريتها من مود القناني
بقرشين من خمسة وعشرين قرشا بثلثها من فلاح شارو داهل
راجل الملاهي عمرتني أمي بجيبين مطويين أربع طيات وقالت
لي ربا معاك يا ولدي، ثم احتضنتني وقبلتني قالت أختي
«سلمي» وهي تداري الذموع في عيبيها وتتمحط في ديل جنبها
حين بالك من نفسك يا حوى لا تحتلظ بأولاد الحرام وأهل السوء
فقت لها كله على انه يا أختي، ثم احتضنتها وقبلتها وقالت أختي
«سعدية» بالسلامة يا حوى ترجع لدا عاما ثم احتضنتني
وقبلتني وقالت أختي «مدودة» وهي تعمل مسوتها وكلامها
خوف الانعراط في النكاه مع السلامة يا حوى، وأعصت عيبيها
وتركتني أفلها على جيبها وحميت أختي «هدية» جعة الحلقات
وذلكت وهي لا تزال تبشتم سابقاك على امحطة يا حوى فبرعت
لحمة من يديها قائلا والله ما يكون أبدا ان محطة السكة الحديد
بعده في بلدة أخرى ولست آمن عليك الرجوع وحدك، ثم

احتضنتها وقبلتها، ووليت وجهي نحو اباب وخرجت، وبقيت
مستصتين على الهواء في الطريق لا ترمشان خوف انهما
مكتسى كلما صادفت أحدا في الطريق رفعت دراعي بالتحية
وإذا نظر اليه صائح أشوف وشك بحير، فيقول لي مع
السلامة رينا وياك

أهنت نفسي على كرسي الفطار بجوار الشباك وحبة الهدوم
مكتسى، فلم صغر القطار ورجف، ورجعت إلى ابواب كل
ثم بعدة بومر الدمع عصفا على فأعصت عيني وبركته
يسمع كيف يشاء، حتى بعت، وكلما فتحت عيني ورأيت الأرض
وعدة النور والشجر يتراجع حتى «حبح وعصت» هي انوم
مجدد خسي صحن واحد من «صعيدة» فألا أيد صررت في
«أحد» قلت وما باب أحد هذا ناولك لذي «أ» بومة
الحواس إلى مصر من أمخضه عيب من وصلف من بي مصر
«أ» حب الله على السلامة صحت فثلا «أ» فرحي هذا «أ» هرة
«أ» كل من هي عربة القطار ورجوا مساقصون سو «أ» صعب
ويدهموني بينهم وسط زليط هائل وأربعة عذده وسعف من
«أ» الصلحون «أ» مسارية وشبابين و«أ» حرائد ومو
«أ» وحلويات وشاي وكدروره وماسدو أحدية وربطة
«أ» فف صررت في الحلاء كاتب بدي عدا أمسكت ب«أ» فقه
«أ» فف اسم رجل بديتي يمس مغاولا للأفكار هذا ومقر
«أ» جين المقطم

ماله من ثان

الأولة - مقابلة شخصية مع الدنيا

دنى أولاد الحلال على جبل أمقطم ولكن أحدا لم يستطع أن يدلى على بديانتي. أنسى وأنا أسأل عنه بين المعلمين عثرت على بدايات آخرين كثيرين، منهم رجل من بلدة «أولاد أبياس» شعلته تكسير الجبل بالديناميت قال لي «تريد تشتمل؟» قلت «نعم» قال «كم تطلب أمرا؟» قلت «لا أعرف» قال «أعطيك عشرة قروش بحالها» قلت «تشكر» قال «تصرف هذه اشفلة؟» قلت «أعلم» قال «شفلتك معي أن تحمل قطع الحجارة في قفة وتقلها إلى بعيدا» قلت: «ماشي! ريتا يعني!».

دور فالتاسي فالثالث فالرابع عشر، جاءت انظهيره وتلدن ساسي من العطش، وصرت أجزر قدمي وأتألم من ورم يتيق على سطح دماعي، والرجل يظفر لي صاحكا هات يدك يا ولد معتي، تمسح هذه القمعة في رأسي، هذه صبح أصيبتك مكان أصمعي هذا فوق قمة رأسي بالصبيد، هذا هذا الذي تلمسه يدك؟ أها من مامن متجمدة فوق رأسي اليس كديت؟ أنها من أثر الشيل

في يوم واحد هو ذلك اليوم الذي أنهيته بالصلين، ورحلت أشرب
جرعة ماء من عند رجن آخر مجاور، شققت نفس شغلة صاحب
قال لي أنت مدين باشاظر؟ قلت، من البغايا يا أبا قال أحسن
بس' تجش تشعل عندي؟ قلت، وهذا الرجل الذي اشتغل عنده؟
قال لا يهكم منه' ساعطيتك ثني عشر قرش في اليوم ولي تحمل
دينشا' سمعك لي القليل أثناء ما أشتعل. قلت أن كنت تحميلي
من لرجل الآخر أهلا وسهلا قال حليها على الله المقصود، نعم
في محجرة رب النساء في الصباح اشتعلت معه سوم سوم
خمسة شهيرة أسير، أرى بين يدي مائة وخمسين قرش
أرخص من الفرخ إلى مكتب البريد أرسل المبلغ لأي..

عبر أن ارجح بمجر بائو وساق سوم عني، سأ يشيلني قف
دش هو اوند الذي صاحب رأسي ارجح كسك في حتى
امسك عندي بعد أن استسلم عني خط امسك من لصديق
أرى عني وقت ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح
بصحة بعد ذلك عني ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح ارجح
لدي قال تسكن في اسطبل هتشر؟ قلت، أسكن في أمي زيد
انهلاي نفسه قال، اليوم تذهب معي إلى البيت.

في حارة تبعد عن الحارة التي يسكن فيها بحوالي خمس
حارات حتى على عشة مدفوعة بين صف من العيش مليئة
بالترحم والشرخ ايجارها خمسون قرشا في الشهر، قلت بركة
ويعبر بها خمسة درهم وفي انصاح اشتريت حصيرا

ومعدة وبطانية جيش قديمة وقلت بنفسى هألت قد أصححت دا
بب في مدينة الحسين والأهر والسيدة

كل يوم أهوت على عربة من عربات الفول «أشعط» ثلاث أربع
ارعة مع طبق الفول أبو ريت حار وجرمتي النصل فيخيل لي
أني قد صوت أنا ريد الهالائي سلامة، وأنكل عني الله صاعدا
احسن لأنفس مع الشمس في فتحة الحجر وفي طريقي كل يوم
أمر على انكوريش نكي أفرج عليه فاري اسماكين في مصر
اندرية يفرشون باسمالكهم صابمين سواقا كثيرة منظرها
يعرجني وكانوا كلهم يبيعون ويكت في الأساس أفكر في شراء
سمنت أكله، لكنني صرت أدمي الفرجة ولا أشتري أدا، إلى أن
ومعت ذات صبيحة أفرج على رجن وهو يقبل رسيل السمك إلى
عربة يق وكان يحمل وجده فلما رأني قال بأيدك معاية واسي
بالدينا فشمريت ثوبى وحملت معه الرصيل، ثم ساعدته في غيره
وبعده حتى انسلط مني وقال لي تشتن معي؟ قلت تعطيني كم؟
قل أعطيك ريال في اليوم، قلت قليل قال خمسة وعشرين قرشا
ولا مليم بعدها قلت على بركة الله قال فاركب فركبت بجوار
السانق وانطلقت بنا السيارة إلى المعادي، حيث يوجد لهذا الرجل
محل كبير يبيت فيه الاسماك.

نص أنا قيراط، أما هو فاربعة وعشرين قيراطا في اللصوصية
أي والده يا جان. تعلمت منه الكت يا جان. مهمتي كانت الجلوس
أمام حوض السمك الذي يشبه قديما من الالمريوم أتخصص على

الربائش وهم ينتقون الأسماك ويضعونها في القراطيس قبل الذهاب إلى الميزان الذي يقف المعلم تصاده وكنت أظن أن واجبي بهر الربائش ومعهم حين أراهم ينتقون السمكات الصالحة كلها هي قراطيسهم، حيث أصبح فيهم قاتلاً ومن الذي سيشتري هذا السمك الصغير بعد نقاشته البيع عندما كله في رقاب بعضه الكبير يزن الصغير بعض الربائش يصبح في محتجا، وبعضهم لا يسأل في وينتظر مهضة الصباح فيملا قوطاسه بأطيب ما في الحوص من سمك، فأصرخ فيه منها أسي لست نائما على عيني، وألف مسرعا سأخذ القوطاس منه وأدلقه في الحوص. حاجت طريفة ومسلية كاشت تمهيني فأفعلها بلدة كبيرة هنا يشحط المعلم في - لزوم الصنعة وأتقان العلمة - يأمرني بأن أترك كل واحد ينتقى على كييفه، صحيح أننا سبيع السمك المتبقى بانحساراً ولكن الربائش في النهاية هم رائئنا والمحل لمعلم

شيئا فشيئا بدأت أعمل عن الربائش وأتبعه إليه هو، أراه ينتقى للربون بنفسه ما يختاره الربون، ويأخذ القوطاس ويستدير معطيا لنا ظهره العريض وأصم القوطاس على الميزان، فإدا به رغم امتلائه يحتاج لسمكة صغيرة حتى يكتمل الرطل، أو معها أخرى كبيرة معرية ليصير الوزن رطلين ونصفا في حين أن الربون طلب رطلين فقط، لكنه أكراما للسمكة الكبيرة يقبل الزيادة يعطيني المعلم القوطاس لأضع عليه ورقة أخرى وأطوى عليه حوافه أظفر في القوطاس فلا أحد اسمكات الكبيرة الكثيرات

١ رأت اربون يحشره في القوطاس حشرا، فأتحول وبروح
٥٥٠ يصرب بقلبي

المعلم لم يجد مهرا من تعلیمی سر المهنة لكي أتصرف انا ذهب هو إلى السوق وقصص المشاوير تعلمت منه أن أول شيء أفعله «مجرد دحون الربون، أن أسارع بمرم قوطاس كبير واسع ثم أضع أمام الميزان موضوع على سلك عريض وحوله الصبح، أترك الربون ينتقى بيديه ما يشاء من الأسماك الكبيرة وبحفة يد الحوى أكنش جاسا كثيرا من الأسماك الصغيرة الميتة وأملا بها مع القوطاس جاعلا رؤوسها في القاع وذيلها في الأعلى، وأد فقول اربون كفى، أستدير نحو الميزان معطي لربائش ظهري فاردا كوعی قدر ما أستطيع، وفي لح البصر تكون يدي قد سحبت السمكات الكبيرة من رؤوسها وتركنتها تنسرب إلى برميل كبير موضوع تحت البنك أعرف طمعا أن الربون عندما يصل إلى دارة ويرى السمك سيرتاع لأنه لن يجد سمكة واحدة مما انتقاه فإدا فكر في الرجوع لي فنن يخلص مني، حدودهم بالصوت لثلا يعلبوكم، أصرخ فيه الهية وأدهيه أفرح عليه أمة محمد، مدكرا إياه بأسي ورت ما أعطاه لي بنفسه هو في الغالب لا يرجع، وبعضهم قد لا يلحظ وأن تكشف لي أن الرجل الذي استكردته مهم ويمك قدرة الاضرار من فائس بصمة لطيفة أبيعه واشترته، أعسله وأكويه، ولكن بالادب كله بالادب بالآيا، أمال. تقول لي كيف أشتره وأطويه أعسسه وأكويه أبيعه واشترته»

الأمر بسيط يا بوى، سر التجاح هو الأدب حتى لو كان أدبا مزيفا
لا أصل له ولا فصل، نعم بإسعاد البية، أما متأسف خالص
بالقدم! لعله قرطاسك تاه فى قرطاس آخر فصل طريقته إلى هارح
عين رضى به على عياله، وفى هذه المرة أرى له ما يختاره
بالفعل وأعيد فحوصه عليه واحدة فواحدة ومع السلامة بإسعادة
البيه ألف ألف سلامة يا أهدم دا محلك وأنت تأمر والخالى يطلع
لك! سواء لى أن فهم سيادته أسى أكل يحق له خلوة أو لم يفهم
فإنه فى النهاية يؤكلى عقله نارادته بمزاجه ويكون على قلبه
أحلى من المعسل، البرابر والشلطات تتدافع نحوى بغير حساب فى
كل مرة يجىء فيها وأنا مارل فيه أكلا مالتول والمعصر
وبالتاكوسى قبة ومساحة" إن أعطيتة ثمينتين اثنتين شيلته على
شرعها خمسة ستة أرتال سمك لا يمكن بيعه وحده ولو بالبحار
مع أننى بعته له بسعر الثمين العالى بدمعه صاعرا وهو يقول
سبحان الله والحمد لله! الدنيا يا بوى تحب الشطارة والأوطنة
وهذا ما بان لى فى القاهرة فأه منها ومن أهلها أه..

تعرف؟! هذا الدرس - صدقنى يا حال - هو الذى حبسنى فى
هذه البلدة وكتب لى عيشا فيها أنه درس غويط يا حال، غويط من
هنا لحد الصحاح، مهمته وحدى، نالقهولة قل بالبركة والتكال على
اله يجوز، إنما وجدنى ذات ليلة مكعبة بالصبايا الأسود القطيس،
وأنا داخل فى عشة فى اسطل عتير على مرسى النيل تبصع
اشأى والدخان المعسل، وكنت أشد النفس من الجورة بعمق حين

.. فى الدرس فى دعائى كأنه المعنى كأنه الآية المزنة، وصوت كأنه
صوى يعمرى فى جيسى قائلا احية لم تنعير يائما على! لا تظن
فسب انتقلت من حياة انتشر واللصوصية إلى حياة انتحضر
وعدية والثورة الاشتراكية المازكة لا! لا يا حسن وألف لا! ان
الحياة فى الحياة فى الصعيد أو فى القاهرة، بن أنها فى القاهرة
أهدم، السرفة فى الصعيد تتم فى ستر وتكتم وبقسوة تهدر فيها
لدماء وتطير الرقاب! أما فى القاهرة فالسرفة تتم فى وصح
اسهر عيايا بياما على عيبك ياتاجر - أقصد يا بوىيس! غير أن
السرفة هنا فى القاهرة بإحال سلاحها الأوطنة والعمومة والميوعة
الحشوية لا تنفعك هنا! سوف تجرح الآخرين وأنت تنفذ بينهم
إلى اعراضك فليعطونك أو يصطفون عليك يفتسونك! نعمتهم
كعمرة جذران المعدة قوية تهضمك تحولك إلى خراء ينزرونه فى
البحارى والطرفات وهب آهر مثلك يطف براههم..

ولد خالك يا لوى ابن دس طيبين كما تعرف، لا يفرتك أبه
طول يده على متاع الناس وسرق من غيطان الصعيد الطافحة بما
يستحق أن يسرق، أما فى النهاية ابن أعصى الفقهاء وهى عروقتى
وقلبى الكثير منهم، أعرف الله مثلهم وكبت هيبا أسرق وأنا
صائم فى عز الحر، وأصون الأمانة والله يا حال، المعلم السمك
يترك لى محله اليوم بطوله وحين يحى يفرغ الحصالة فى جيوبه
وبيصرف واع حصرتة، يعمل على واعيا! إن كان واعيا قيراطا

فأنا اسمها وهي طابرة والأمر على هذا النحو يا حيا. ما الذي يدعو رجلا كهذا لأن يثق في كل هذه الثقة مع أنه لم يعرف أي شيء عن حياتي؟ إنما هو يضرب عصافيرين بحجر واحد كما يقول عمي الكبير، يوهمني أنه يعطيني الأمر لأكون محل ثقة ويوهمني من ناحية ثانية أنه لا يعد ورائي فعريني أن أستعفه حضوره لم يكن يعرف أنني موقن من أنه يبروي هي ركن قصي ويعرف حيوانه ويعد اللمة بالمليم، مثلما أنا موقن من أنه سيجدها بالمليم كما حسنها

بات يوم حاروا الله وشطبا في بحر ثلاث ساعات جاءت اللمة بعلاب وفيراب وبقي من اسمك حوصا صغيرا اعتبره المعلم رائد عن الحاجة بيع أم لم بيع فأنصرف المعلم إلى بعض شابه وأوصاني بأن أنصرف في هذه الأسماك وكيف اتفق باني ثم، فإن ثم لي ذلك أغلقت ادكان وأبصرته قلت إنه معنى جلست هب للنس هجمت ابراشن هجمة ثانية، عبي ثلاثا! عبيه أربعة! عبي خمسا! أخذت أربع بنفس الطريقة التي علمنيها صاحب الدكان، بنفس السعر الذي بعنا به الثمين في مطلع النهار، حتى ادحرت في النهاية حوالي عشرة أرطال من سمك متقى جاءت من نصيب امرأة غندورة سحرته بعينيها فأبرزت لها ما أخفيه تحت ورق الشجر الأخضر، تحاقت يدها الملاءة فافرطت عن قوام كالفرس لهنسي فكشفت الورق الأخضر فبانت طبقات الأسماك

• • • • • وصحة نصاية كائنات الملاحق قالت لكم؟ قلت بالصلاة على
 ١٠ قالت: اللهم صل وبارك عليه وكطفل يحشى من لمس لوحه
 ٢٠ وصحة في معرض مدت اصبعها حلقة ولمست إحدى السمكات
 ٣٠ لة سويعة وقالت زن.. فوزنته وأعطيني ما طلبت وتركت
 الفروش المتبقية إلا وصاحب الدكان قد أهل داحلا، كانت نقود
 ٤٠ أراه لا مر في يدى حين دحر صاحبنا إلى الحصاة، ادا به
 ٥٠ بها في حبه ويمصمى قاذلا بلا شطب بقى واقول على الدم
 ٦٠ في برومي وصعت نقود الولية في جيبى وقلت استنى عشال
 ٧٠ حد مفاح دكانك قال دهشا مش حقتك بكرة؟ قلت ان أحيانا
 ٨٠ رب ورائي مشوار لحد الصعيد وأغلقت الدكان وسلمت له الفتح
 ٩٠ وصيت

في المساء جاءني في المقهى التي يعرف أنني بدأت أجلس عليها
 في اسطنبول عتير صاحبها من بلدة مجاورة لسنينا ويعرف
 أعمامى مند صغره، وكانت حطانات أمي تجيش على هذه المقهى،
 وهي مقررئ الذي يسأل فيه الناس عني ويستدلون منه على أصلي
 وفصلي أول ما شفت المعلم اسمك مقلتا قمت إليه وطلبت له
 الشاي والذي منه ثم قلت له «شوف باهاج» واجبك تاحده لكن
 شعل عندك تاني لا.. لماذا ما السحب؟ قنت «هكذا» أما الآن حاصع
 للشيطان الأمر بعدم الشغل وأي كلام في أمر الشغل لن يفيد،
 وسلم على وأنصرف.

جلست ممعصا يابوي وأنا في أتم سمدة وضعت رجلا على
رجل أحدث أطرحها في وجه الرمس سرح دماغى لطشبه الهواء
نمنشه شعر= بلدة كبيرة تخلصت من هذا الرجل اذ هو لص
وحلوف لكن ماذا سأفعل عده؟ هذا ما لا يريد دماغى أن يكلمنى
فيه الآن عابده، فمت من لحظتى إلى محن شكله خواجائى فى
حارة قصية من حوارى مصر عتيقة، أشتري منه زجاجة صغيرة
يسمون بها الحمسية وفيها حمرة يقد لها الكونياك، وعدت بها إلى
بلديتى حيث لرمعت الطلام المكتوم فى أقصى الزميف فى دورة
كشك اسجائر، جلست ممعصا وكل حين أفتح الزجاجاة وأرشف
مبها رشعة وأقرقر الفول السوداء مادريت كم الساعة حين
انتهيت إلى أن الزجاجاة الفارغة قد أحدث نكر على الأرض رائحة
جائية حسب اتجاه الريح، كنت سكرانا محق ولكسى منته إلى كل
شئ، أردت أن أؤكد انشغافى ويقظتى فنهضت واقفا ومضيت
بصع خطوات وأمسكت بالزجاجة فوجدتني أفد بها حائرا فى
وسط الطريق، هالقت بها إلى بعيد وهدفى أن تسقط مباشرة
باحكام النشاز فى قلب صفيحة قمامة معلقة فى عمود نور من
خلف هديم، ألا انها اصطدمت بالعمود وهوت على الأرض هشما
فجلست ارتعش ككفل صغير أتى ذبا عظيما لحظتها رأيت المعلم
«شندويلى» صاحب المقهى يرش كراسيه فوق بعضها استعدادا
للتشطب وكنت قد رأيت السماك أثناء انصرافه قد انتحى به ركبا
وراح يحدثه فى أمرى وهو يهز رأسه فلما لم يعد سوى الكرسي

أدى اجلس عليه سحب هو كراسيا وجلس مجوارى ومد يده لى
... حارة- تقلمتها شاكرا وأشعلت له ولى. شعشع النفس فى
«أى عاجلت المعلم «شندويلى» بقولى: «الست بلدياتى يا معلم
«وبلى؟» قال، «نعم»، «هل فى هذا شك يا أما على؟» قلت، «حبيب
الخير؟» «تعرف أبى اس ناس طيبين أم لا؟» قال وهو
«ممرى بعدساية أميوس» ربما لا تعرف أهله أكثر منى اسالى
«عهم» قلت «يعنى اذا ميلت عليك ذات لحظة وقلت لك يا معلم
شندويلى سلفنى عشرة جنيهات فهل تأتمنى وتعم؟» قال
«شوح» فى وجهى «لو عيل من عيالى يابو العم» قلت - ولولا
شعشعة الحمر ماجرؤت - «أا يا أبو العم محتاج لسبوية» دب يده
الحشنة فى جيب المريلة - التى لم تترك تليق على شكله وقوامه
الصميدى أبدا - فأخرج ورقة بعشرة جنيهات للكرسي بها صانعا
«صوت جهورى» على بركة الله لعلك تسكر بها فلما أنت سكران
ال... «ماقت فى الحال يابوي واعتدلت، قلت له «من على يابو
«أى لكن أطمش على» قال «أنت حرة ثم أرفع» «كل انسان فى
«الحياة معلق من عرقوبه» قلت «نعم كالديحة» قال، «بزاوة
«أى مدمت تعهم هذه وحدها عرقوب البنى آدم هو آخر عصمة
«شعب القدم» وأنت تكعب قدمك تصل إلى مكان الخطاف
«أى حيدا يابو العم وبعدها توكل على الله» وكنت قد مهمتها
وأفعل حق الفهم

في المحركت واعفا في وكالة السمك بعمرة. تسوقت تشكيلة
ثمينة من البلطي والبورى والياض والغراميط ملات سلتين
وصعتهما فوق بعضهما، استأجرت ميزانا بصلبة وصعته فوق
السمك حملت ذلك فوق رأسى مصيت أبحث عن مركبة توصلنى
إلى الصواحي والمناطق البعيدة مثل المصادى وحلوان ومصر
الجديدة وجاردى سبتى والهرم، أجتاز الشوارع المظيفة ذات
النبوت المهيبة «هناك ياسمك.. هكذا أروح أنادى. يطل على هذا
ويتوقف ذاك أوزن ياعم أوزن ياعم جبرما وإهمد
لله..

أحلو الحال ياخال أخذ المعلم «شندويلي» جيبهائه
اعشرة عرقني معلم في الوكالة يدعى «الحباك»، صار يمدى كل
يوم بما أشاء، على أن أعود إليه عصر كل يوم لأحاسسه مختصرا
عرقى وورقى كل شيء نصيب يابوى، كنت ماشيا في شارع من
شوارع المعادى المتشابهة لا اسم له بل له كالمساجين رقم معلق
على صدره بقلعة زرقاء أيضا وكان الله قد جبرنى ولم يبق معى
سوى حوالى عشرة أطلال صمعت عل ببيها بالسعر الذى أبيع به
للسكان الفيللات والمساكنات، السعر «القرسطقراطى» للحى
«القرسطقراطى» هكذا أفهمى المعلم يابوى. طازج ياسمك. هكذا
كنت أوصل الصباح بصوت عال متحمس لا يغلطى فيه غير أنه
صوت صعيدي لا يزن كاصوات العيال البنايين أولاد البلد، المهم،
مادريت الا وبواب أسود مهيب يتكفى مالا يبيض الشعاب الناصع

و يشاهد البياض بين شفثيه وفي عينيه صاح بي وهو يقبل
دهوى «تعال يأولده» ظمئته يبقى الشراء فهولت نضوه ثم أقعيت
أنا بها العطاء عن السمك، فابا هو ينهصنى بيد عليظة ويسلمنى
«هوى أحمد الشعر أشيب أصفر الوجه وانميين دى شارب
شيف متعحره قصص على كتنفى وراح بطوحى فى الهراء
«أيه اللي جيتك هدا يا ابن اللى واللى واللى»، شتيمه
«هده يابوى من بشر ابوساحة البتة لا اتوقع أن أسممها فى
«ألفر اسقطرطلى» هذا صمرت خرقه فى يديه يعض بها ما
«أبا أصعق كما على كف وأقول «ماده ملعت بحق الله يارب
«أيه ياسعادة البيه أد عنمان ياسعادة اسيه هضك على
«سعادة اسيه» وسعادة اسيه البتر رأسه وألف سيف أن يسلمنى
إلى اسوليس المغيريت الذى طلع عليه الوليس أبكى أنا بحرقه
وهو يصيح فى البواب بفلفلة «أطلب البوليس قلت لك»

به وكيل يابوس. ماكدت أنهما إلا وانفتح شباك مواحه أطلت
 سيدة جميلة نطل من عينيها شخصية قوية ذات سطوة
 .. احنت هي الأفسدى والبواب «سيو الرجل فى حاله»، فكانما
 .. به أمر حاسم مجاب، أبفكت قصة الأفسدى عن كفتى، وكسكس
 .. اب متواريا عن الأنظر رحت أعدد ثيابى وألم بضاعتى، إلا
 .. اسندة تصيح بى «تعال هدا راحل انت لف وتعال»، فطرت
 .. حيث أشارت فتعين على أب أدخل من باب القبلا وألف
 .. اسعد السلم البعيد على الميمى صرت على باب كبير مفتوح

والمرأة واقفة في فتحته تبارك الحلاق فيما خلق، جعلت أنظر إليها
 في ملاءة النهيمة تفاجأ أمامها بوليمة تبدو مباحة، نظرت هي في
 عيني فكسرت نظرتي قالت «أدبل» فأدبلت حمولتي وكشفت
 الطعام عن السمك. زامت في رقة ثم قالت «كم؟» قلت «بكدا
 ولأجل خاطرك بكدا» قالت «وز» فوربت كل ما معي فأخذته
 وعابت في الداح، ورحت أرقب طهرها يا حال وهي تمشي، الفتنة
 تمصى على قدمين يا حال فقلت لنفسى عساها تكون البداة التي
 أسمع عنها في الحوادث تبادل أساس بأسمائهم في الليالي
 الحابكة متبكرة في شخصيات معروفة بهم لكي توردهم موارد
 إهلاك» ثم قلت لعلها الدنيا العذبة تزعج أن تريني نفسها بعد مر
 الشقاء ثم زهرت قلبي ورقص عاليا لكه حلق واهتر مع خاطر
 يقول لعلها العاهرة التي تطلع للصمعايدة في المدينة لتشتري
 دكورهم العتية بكسور الدنيا كلها أي وحق الله يا بوى ما ظلت
 أن امرأة فائنة كهده تطلع لى من تحت طفاطيق الارض لتنجيني
 من خطر قابض على فوق ذلك تشتري كل ما معي بأسعر الذي
 طلبته ظلت أتوقع معجاة عظيمة وهي تقبل من الداخل حاملة
 ورقة مالية كبيرة، فلما رفعت عيني عنها تأديا اصطدم بصبرى
 على الحائط المواجه بصورة كبيرة في بروار كبير لجمال عبد
 اسامر وأحرى مثلها لعبد الحكيم عامر وتحتهما صورة لصانط
 بالملاس العسكرية لم أتعرف عليه ولكن على صدره وكتفيه
 بحاليق وتراويق وضيابير وبحوم كثيرة مزهرت قلبي من جديد

«الطائر يستمد لهبوط على عشه الأمن، تناولت الورقة المثالية
 «شعر» عبر مننه إلى أن المرأة تقول لى «خذ ياراح ولا تحى»
 «نابية» قلت «حاضر يا ست هاتم» وكان يداخلنى شعور
 «ما» ما هذه امرأة تتكلم لمصلحتي أخرجت كيسنى القدرة
 «ال» «وعددت» وجعلت أبحث عن فكرة، يكن المرأة مدت يدها
 «ال» «المتحفة الحافلة بالأساور والحوائم بحوى قاتلة» «مش
 «هم» «مش مهم» رفعت بصري إليها محاولا استلئ، قلت «كيف
 «ال» «هاتم» الحق حق وحضرتك تستحقين ثلاثة أربعة جديبات
 شويحت قاتلة «مش مهم» حلبيهم عشاياك بشرط ألا تحى» هب مرة
 حذى «حارت نظرتي والسلة يا حال تحول احتراق عين امرأة
 «معرفة القصد الحقيقي من هذا الحادث انهوى ولابد أن مطرى
 احطها كان مصحكا، حيث اشتعلت البسمة على شفيتها فاصوات
 «استلوت على وجهها الجاد الحاد الماعم المنعصر لمعت بنفسى
 «رعة» وهربت أحطو حطوة وأطر ورائى منتظرا أن تعبر المرأة
 «ال» «رأيتها أو يحقص على شرطى صررت والله أجر خطواتى
 «الى» «سلم كأن قوة تشدنى بالأوناش إلى الوراء» فلما سمعت
 «ال» «عنق من ورائى صررت حينئذ مقصنى وأيقنت أنها الدنيا
 «ال» «أقبلت على مانع ملقا للحم لكها فرقت مطا واحداً انحرف
 «ش» «فى الزم فى الأمر لا أدري باحان» لماذا عبرت الدنيا عاتقه
 «أدبا» فى آخر لحظة بعد أن نادتنى بنفسها علو حسب طاردة
 «سى» «بوحوش المؤدية فتحت لى ناسها على وسعه أرتنى لجمها

المقدس عاريا تحت عطاء شقيف أى على أهله اتحد الحطوة
 الأخيرة التى كان يتعين على وحدى أن أحطوف برفع هذا إعطاه
 الشقيف والدخول إلى المذائق المسحورة لكسى من عبوتى وتجانة
 محى لم أفع ! ألهذا صغر شأنى فى نظرها فحققتنى وردتى
 عن نابها بلطف وأكتفت بجسر خاطري مصحوبا بتحديري من
 الحواما حول سورها ثانية " محى تبرجل يابوى لاند أنها كانت
 تنتظر منى أن أدخل وراعاها بجراة أربها حقيقة نفسى اننى تحت
 هذه الحرق الزفرة، لم لا يكون لا ؟ لم لا يكون نعم ؟ " فنديب
 فائمة، وكل فائمة ثانية، وكل فائمة دواؤها قوة الدراعين
 والشكيمتين والعيين، أن توفر ذلك فى رجب مثلى استطاع أن
 يلوى حرامها يركبها الدي مهرة شرسة أن لم يكسر شراستها
 ركبى حقيقى فارس حقيقى سابت واطلقت تبحت عن يلوى
 منها الهرام يدفعها لا يتركها الا مصاصة قصيب.

هصدقى يا حال أسى حتى هذه اللحظة لارت بكل نفسيتى
 وكياسى وربا جسدى واقفا على بوابة الغيلا معطيا ظهري للسلم
 الصاعد إلى شردت النعيم أخاير ذهنى ويحاربى سيما يجب أن
 أفعه، ولكن أفعل مدنا يابوى ؟ إن صوتها الأمر اسامى يمنعى من
 أى فعل.

اجتوت جانب الامان بالطبع، حرمت على نفسى السير فى مثل
 هذا البشارع ثانية

الثانية - كيف شردتني التسعيرة ؟!

فى صبيحة يوم بعد انصداد نفسى عن العمل أياما يمت شطر
 " وان بحمولة كبيرة بسفر أقمت فرشاً على تحوم سوق محاورة
 أحلة امقرو فدرت موازينى، فحصرت الرباثن وبدأت وفودها
 " لثا عدى وبدأت أزن وأقبص والعال آخر سهلة، المعروف أن
 آدم - حسب التسعيرة - الرطل بثلاثة عشر قرشا ونصف للبلطى
 المنبر، وتسمع قروش للفتوسط، لكسى كت أربع بخمسة عشر
 قرشا، فى رقاب بعضه الكبير يستد الصقيف.

ون انك على مقربة منى فارتعب قلبى، عرفت من صوت
 " ردى انه سقط على قفا واحد من بسى عمومى، فمثل هذه الزرة
 لا يصدرها الا قفا من اقفيتهم ' سبحان الله ! اللهم اجعله خيرا'
 " فمضى عسى إلى جوارى خلسة، رأيت معاون الشرطة والتحريين
 " ردى فمضى سائح العاكهة المجاور لى والمعاون لا يحد لغة للتفاهم مع
 " ردى فمضى سبوى الضرب على القفا بكل هذه القوة لو كنا فى
 " ردى فمضى ورن هذا الكف على قفا أى مخلوق لطارت فيه رقاب
 " ردى فمضى فباصات أما هنا فاندنيا كلها تنقلب عليك فى لحظة

وتحاصررك الدبابات لو حشرت في وجه الحكومة نظرت للرباش
الواقفين أمام مرشى ورجوتهم بحق الديانة والأمانة أن يقولوا
للمعاور إذا سألهم أنهم اشتروا بثلاثة عشر قرشا وبصفا حسب
التسعيرة فهزوا جميعا رؤوسهم وقالوا في ثقة واطمئنان «دع
عنت لا يهمنا» إلا والمعاور راحف نحوى بموكه الشغبور «نكم
تبيع يا ولده؟ قلت: «بثلاثة عشرة قرشا» يا سماعة البية حسب
التسعيرة» من الكف من حديد على قدى هذه امرأة ساحدا لأهنا
تعايرت به شارات النار من عيسى صحت دافع الميبيين «كيف
نصبر سي هكذا يا سماعة البية» رعدى رجله «صاح هو قائلنا
«يع بسمع قروش يأبى الكلب» قلت: «ها صبر يا بيه» ماكدت أتم
كلمتى حتى كان الرباش قد هجموا على السمك معاود في
قراطين صمغوها لأنفسهم بأنفسهم ووربوا على هواهم وراح
معظمهم يرمى لى بصع قروش وبصع شلدت مقابل خمسة
أرطال! في لمح البصر كان «بتاع اسام» قد انتهى، صرت أصرح
وأصمت في حناق المعاور والخبيرين «بتاع انداس يا ولاد نيل
الكلب هتوبى بتاع الناس» خربتو بيتى ياكفره .. وهم جميع
يصربونى يا بعضى والأحرمة والشلاليت حتى سوبوى على
الجبين وتركوبى جثة تعشع حينكها ذكية وأمامها نقايا «بتاع
وبصع قروش وأطال فرش وصنح بعثرته الأقدام في رحام
السوق!!»

لدت إلى مسكنى في أسطبل عنتر، حصرت خساثرى فوجدتها
أفدح مما تصورت، لقد أخذت من المعلم «الحصاك» بضاعة بسنة
«أين جيبها والعلة التى معى كلها تسعة عشر جيبها إلا قروش
«أين لى بالساقي؟ ومن ذا الذى سيسبب طبع أقناع أعلم
«أنا» بأن الحكومة هى التى بعثت رسعانه على الرصيف
«أنا» سلمة عنى وجه أقنانه» لا بد أن احتفى عن أسطره نهدي
«أنا» و يراى إلا وفى جيبى حسانه بالمتم أما متى يتوفر لى
«أنا» هذا المبلغ الكبير فأمر يعلمه الله وحده

العصا يا بوى، جودت على محل كان قنما على الكوريش في
«أنا» راعتيقة فيه بار وشرب حمر وأكل قنت لنفسى صرب
الأمر على عيه قال حسرانه حسرانه وتوكلت على الله هدحلت
«أنا» المحل طببت دجاجة وطق من الأرز وأحر من الحصار مع
«أنا» السماء بالخمسية أتقنت بطى ورجت أعطيها وأدق فيها
«أنا» دلب حتى قمت في النهاية مدووشا أمشى كالطاورس مع أن
«أنا» كان قد جفف عيى ودماغى، والصرب فخص عظامى
«أنا» دفعت ثلاثة جيبها في سمعت وهزعت إلى مقهى المعلم
«أنا» «دوس» فطلبت قهوة وجلست أدرج في ركن الظلام إلا وكاتب
«أنا» «الحصاك» يهبط على كأنما سقط من السماء، «أنا» كنت سارحا
«أنا» ملكوت الله متعمدا على كرسيين وعملت لأرمى عقب السجاجة
«أنا» «أنا» قد جلس بجوارى» مند متى جلس والله ما أدري» لكنى
«أنا» «طرت في عينيه حلل الظلام المترق بعيسى احسسه بانفرح

لأنه استطاع أن يخلص على أحرار صرت مجرما وهناك من يتعقبي للإيقاع بي اعتدلت على كرسي واحد وقلت «أهلا وسهلا» قال فاشحاذك «ما جيتش تحاسب المعلم ليه» حير؟ أنت سكران ولا إيه؟ قلت باحثا عن هورني «سكران نعم سكران من فعل الصرب والشتم ولسهلة» قال وقد ظهر من هورته أنه لن يصدقني في أي كلام أقوله «ليه كفى الله أشتر حصل إيه؟» انتفضت وألقا ونزعت الجلاب كشفت عن جسدي قائلا «شوب يا حي الحكومة كسرت عصامي يابوي بعثرت النصاعة يابوي سببت الناس نهجم عليها وتقيها بالتسميرة الجبرية» أخذ يتفكر ثم زام وقال «يعني ضاع بقاع الناس؟» قلت «أنا وكيل» الدب ليس بدبي» فمد يديه وتحسس جيوب صديري أخرج محفظتي وفتحتها أخرج كل ما في جيوبها، عده فإذ به ثلاث خمسمات وصمغ قروش وصمغها في جيبه وصار يلوح لي بإصبعه في تهديد شرس «أعمل حسابك» رجلي ماتخبطش ناحية السوق بحاله «المعلم ممكن يضربك بالرهانص ويتاوى جثتك ولا من شاف ولا من درى» ثم انصرف.

أروح فين يا ولدي؟ أعمل كيف؟ جاءت صورة أمي وهي تودعني عند السفر قائلة «إلّهي ربما يحب فيك المحالبق ورماق الطريق»، فاقشعر جسمي، وهتف صوت في دماغي لسوف يحبها الحلال. والمعلم حمل المعلم «شندويلي» همي أهدني إلى مقهى كبير في مصر القديمة عليه وارد يحتاج لأكثر من صبايعي قال

المعلم «شندويلي» لصاحب المقهى الكبير «هذا الولد يصلح مسحيا نظيفا وهو من بلداتي وعلى ضمانتي». قال صاحب المقهى الكبير في هدوء: «وماله» رزقه ورزقا على الله.. خش ولد وريبا شطارتك. وكانت رأسه علية منتفحة كراس ثعبان انتع بصيحة، إلا أن العيبة كانت بادية على ملامح وجهه شمعت برأعي وفردت المرية التي أعارها المعلم «شندويلي». ليستها مسدوت كأنني أقوم بتسميع الحركات التي يفعلها المعلم «شندويلي» في شعله والتي يطر من يراها أنه آدم صبايعي فرأى شريط مفتح، لكن المعلم استسم ابتسامة لم أوق لها وقال «وماله برهه كل شيء ييحي بانتمرين أن شاء الله» يوم بعد يوم تعلمت الصعنة. عرفت أن كل شيء بالفص هسعة لها أهل ورجال نجحت كعامل بصنة أصبح في الساعة ألف كروب شأى ولف ككة قهوة بدون عمام لكن القروش التي يدفعها لي صاحب المقهى أحر النهار لا تساوي العرق الذي يشان مني طول النهار، أعش على النقشيش وأجعد اليومية في الحوالة البريدية كل شهر لأسي شحط في المعلم مرة مشخطت فيه بالمثل هشتسمي جعلت المرية رصيت بها واتكلت على الله إلى أسطبل عتتر.

قال المعلم «شندويلي» وهو يغمزني بمعدساية أفيون. «اسمع يا بو العم» أنت ابن هلال مصفى. وهذا هو بركة دعاء النواذير وبركة أعصامك الفقهاء الطيبين. قلت «صدقت والله ولكن بحثي» ما ترى غير موات! قال وهو يندر بأصابعه الطويلة الحشنة

هوق ساعدى «اندكان المجاور لمحللاتى على الكوريش يريد صاحبه تأجيله وهو دكان يصعب أن يستمتع به شخص غريب»
 مارأيب مو أحرماه لك وفتحته قعدة شاي محتصره على قفء»
 قلت «بوفيه تقصده؟» قال «عليك بور إيه رأيك؟» قلت «باندان مادلحك شره» قال «معك كثير؟» قلت «سبع جنيهات وستين قرشا سأرسل منها حوالة بست وأصرف على احوالة من الستين قرشا» قال «لا حوالة ولا غيره هات مامعك» جوزه على أناه
 هدمعت إليه بالمبلغ

الحق له تعب الرجل معى آخر تعب، استأجر لى الدكان وافترق مع البناء الذى أقام النصة دلأسمعت ولقبشدى، وخطفد أرجلنا إلى السوق فاشترينا ثلاث أربع دست من الاكواب والجراريس والعلايات والكك. وأعرسى ثلاث تراويرات وعشر كراسى على سبيل الايجار مائة وعشرين قرشا فى اليوم. هب للبنى متحدا من صبيحة ربما حتى ما بعد منتصف الليل لا أفرع من صنع اطلببات وتوريعها ككننى كنت أتعب يابوى، يجىء الليل على هاتكنى من الاعياء مستندا على النصة لساعات طويلة

الا وحدهنى ذات ليلة أربع رجال أفندية آخر وجاهة تحلقوا تراييزة رجامية وقالوا: «عندك كوتشيه ياهاج؟ قلت «عندى» قالوا: «هاتهاء» وكانت جديدة فقالوا فى نفس واحد «فل ومار أحدهم على قائلنا فى بساطة «شوف يدعم الحاج جلعب عشرين ثلاثة - وعمر بعينه عمرة دات معنى - ولك ياعم على كل

دور عشرين قرشا أجر قراييرة عندك مانع؟» قلت «لا»، فاستوى بعط الورق فى حماس ويطلب المشاريب

أخلوت اللعة يابوى، ساعتان أو ثلاث فى أواخر الليل بمقام شغل جمعية بحالها، حتى صرت يابوى من فضل الله بكرمه أرسل لأمى كل اسبوع حوالة وأدحر حوالة أهملت أمر القهوة «سنى وطان استعاضى عن جعيم النصة دلاند أن أكون جالس»
 «نور انعب أراقب الأدوار وأقصصها هات واحد شاي يدعم»
 «سنى قم انت عدم المؤادة وأعمل لنفسك شايا ذقلا كيفما يابوى»
 «اشعب المصرى شعب مهود يابوى، كلبوصة الجيران»
 «لو بها دائرة فى أصبعيك فتحنى أنه - أقصد أنها - ملك بديك»
 «دا ما عمن أصعبك برهة وجيرة» دفع الطرف وارتدت البوصة «سنى مسقية كان شيئا لم يكن هكذا كان يقول عمن الصرير»
 «الأسه فى مدرتنا، وكلما دعكنى الحياة فى مدينة القاهرة»
 «سنى كنت أسمى يجب أن أكون مثل البوصة الميزران لكى أعيش»
 «فى هذه البقرة دون مشاكل ووجع دماغ وكراهية طب مافولك»
 «سنى كنت أرسل هذه الكلمة كلمة» قم اعمن لنفسك» إلى «سنى»
 «محترمين جدا وامفروض أن أقف أمامهم حاشعا مكسور»
 «سنى كنت أقولها فى تهيب شديد أول الأمر، ثم على هيئة مزاح»
 «سنى» أطلقها لهجة أمر عليط قم إعمل نفسك ميقوم سعادة»
 «سنى» يعمل نفسه دون عصاصة على رأى عمتك الصرير، أى والله يا أبو العم

تفرغت لقصص الريالات المنهالة على كل مساء من التاسعة مساء حتى الرابعة صباحا لم يعد يعينى راحة أى ربون، بل أصبحت أحد لذة في إهانتهم تزداد نشوئى معها كلما رأيتهم جميعا يقابلون إهانتى لهم كأنها أمر طبيعى! أصبحت أعمل على طرد حمائهم ابتداء من بعد صلاة العشاء..

غير أن الطوبة ليست تقع في المعطوبة كما يقول امثل بل تقع دائما في السليمة. وهى طوبة تصيبني دائما كلما حرت انعمت بين يدي دجل الصابط عليا هجاة وحلفه رحله، كان أمدنيا وهم كدكت بكدي عرفت الصابط من دخلته ذات البذعة الكدابة ومن التفاهة حولى في ثقة ثم إحاطة رحاله بنا ليلتنا حملت استرايرة فوق رأسي والكوتشينة في يدي وبفقد انقمار في حيسى تقلنا عربة الشرطة الزرقاء إلى قسم مصر القديمة حيث أشبعونا ضربا وتلطيشا مما يجب قنك عدم امواحدة، هزروا لما محصروا، وبعد أربعة أيام أفرجت النيابة عنا بكافة عشرة جبهات لكل واحد، في اليوم ادى حرجا فيه اتجهت من فورى إلى المحر ففتحتة وكستته ورششته بأماه وبحرته ثم أشعلت امار تحت الرماة وحلعت أعسل الاكواب أقصد الكريم مستفتحا بواحد شائ لى مع حلول المساء ررقى اليه بالعشاء في الموعد ايسوى المعتاد جاء الصحاب الاربع لا يبدو على وجوههم اثر لما حدث بل لا يبدو عليهم أنهم يعرفونى أصلا، كأننا لم نكن سويا في الححر مند

ساعات قليلة سلام عليكم ياهاج، قلت عليكم السلام، أردت أن مثل «مصرة» منهم بأن أرد عليهم فعلهم، قلت بمحرر خلوسهم ذابهم أعزب عسى «تشربدو» أيه» قابوا كوتشينة طعنا استأنفنا اللعب من جديد ما كانت البعثة تسرى بين أصابعى حتى كدست عند ابشرطة مرة أخرى، في هذه المرة شععوا الدكان بالشمع الاحمر. أما نحن فقد دفعنا كل ما كان معنا لأمداء الشرطة ومع ذلك لم نرجع من ركوب الصيحية التى يعررون فوقها من يتحرون عنه معرفة إن كان من أرباب السوابق أم لا، الحمد لله كشفت الصيحية أننا جميعا بلا سوابق وأهزجت النيابة عنا على ذمة أن نطلبها المحكمة بعد حين

قلبي شال من المنطقة كلها ياهاج، أصبحت لا أطيقها واسودت السبب في وجهي فقلت في نفسى ليس لك عيش في هذه المنطقة يا اى على! إن الشمع الاحمر الذى ربط باب دكاسى في الأرض هو «إسار الإلهى» الذى يقول لى «احتك بك عن باب أحمر في جهة أخرى

هوالة ما كدنت حبرا، كان اعلم شندويلي يفتح مفهاه عقب صلاة العجر مباشرة ويبدأ في رص الكراسي ورش الأرض دهوجي» بي أتيا من مسكني أحمل جمعة الورق التى فيها خلقاتي لها، وكانت مثقلة صماح الحبر يامعم شندويلي صماح اللور «... مسامح ياترى؟ قلت «حاجة رى كده» قال «كيف» قلت

«سأقلب عيشي في عنة أخرى في منطقة أخرى غير هذه» قلت «من ورائي يا أبا العم؟» قلت «يمين الله ما أعرف حتى هذه اللحظة أين ترسو في المركب ولا في أي مكان توجد لقمة عيشي قذال والحوائم الفصية تنماوج في كفيه «عيك بحى الزيتون لا تذهب شمالاً أو يمين» قلت «حير إن شاء الله ما الذى في حى الزيتون يا معلم شمدولى؟» قال «تركب أتوبيس مرة كذا يوصلك إلى محطة باب الحديد تسأل عن قطار كوبرى الليمون بدلونك على محطته تقطع تذكرة من اشباك تركب انقطار توصى انكسارى أن يترك في محطة «زيتون» تزل في المحطة تنزل لترصيف عائداً إلى الورا حتى المزلقار تجد قهوة المعلم ظريف أسأل فيها عن المعلم أبو القاسم شعيب تجد ألف من يوصلك إليه» إنه مقال قد الدنيا وكل بنياتك يتوجهون إليه مباشرة وإن شاء الله سيكتب لك الله مقمة عيش عدة» فعنده أنواع شعب من الفواغية إلى كل ما تريد وما تحيل» يعنى لاد أن يجد لك شعلا على قدك بالصمص، قلت «اس أصل صمصح والله يامعلم شمدولى من الآن أى حواب يحى باسمى أحفظه عندك حتى أعود» قال مشوخي «ولما أحفظه؟» سأسميه في مطروف حديد وأرسله ليت طرف المعلم أبو القاسم شعيب» قلت «على بركة الله» غابته وبكى فبكى هو الآخر ومد يده في جيبه فأسرعت ممسكا بها قائلا «مستورة والحمد لله» ثم تركته ومضيت.

العدد ثلاثة

الأولة. عرسان وعرايس

ما أن وقع مصرى على باب الحديد حتى هاج صدرى من سبعة أركان ما أدري الا وأنا أقطع تذكرة إلى الصعيد فسبحان الله إنها إرادته.

القطار يدب ساعات طويلة يابوى ومعنى يصرب بقلب ما الذى ساعله في الصعيد؟ ما الذى أقوله لأمى؟ أمى إجازة أنا أم أن هذه هي الأولة الأجيعة؟ استفرح أمى بذلك أم ستقع من طولها؟ «طلى الهواء فمت من التميم» وقد هيا الله لى من يصحى عند محطة لينهنى

«و و و و و على الفرحة التي النقانى بها الأهل من الحارة حتى دارنا لم أفرع من السلامات والأحسان» «باب حتى صنعت مهورجاً ورائي أو شيء مفرح التقيته» «أنا صر لما دار مسقوفة كلها ذات أبواب وشبابيك جديدة» «سست بكل الأمان» وقلت في نفسى رعاك الله يالأم فما هي» «أدى ابنتى أرسلها لك بالحالة الجيدة قد مفعت الآن وصار

لما ثبت بحق وحقيق استطيع الحنوس فيه واستقبال الرجال ملا
خرج

ها هي دي العاتلة تربطة للمعلم تطل حارجة من باب امدار، أمي
تجرى بحوى مهرولة ومن خلفها «سلمى» و«مدووه» و«سعدية»
و«هندية» التي أصبحت عروسا الرابعة في رص غيتي جاءت في
الأخرى بعزم المشوار بحوى لترشي في حضبي، خلفها أخى
«محموده» الذي كان رصيفا خرج يحسو على قدميه يحاول أن
يصب حنيه ينكى مرعجا من هذا الانقلاب المفاجئ، فكدت والله
أتركهم جميعا وأجرى اليه لولا أنسى لم أتمكن من نقل خطواتي،
حيث تعلقت أمي بعضني وهات يابوس وخم وبكاه، في حين
تشعلقت «سلمى» برقتى و«مدووه» بكتفى أما «سعدية» فوقعت
متدلة في انتظار أن أذهب اليها وأحصيها بالسلام والتقبيل وأما
«هندية» فتعلقت بديل جلسابي، وصوت بكاء «محموده» يتصاعد
ويطمى على ضجبيهما ولولا لبقينا في الشارع هكذا وقتنا طويلا

اللقاء بعد الغيبة حلو يا حال، لا مثيل لجلالته، ولو ثوقل هذا
اللقاء في كفة لمليون جنيه أكسبها من العربية في كفة مقابلة
لاحترت اللقاء اد أنسى واللقاء في كفة واحدة صار الرجال يأتون
للسلام على وصرت أحسن ماكني محترم في وسطهم فشمعت
محلولة الصعد وكسرت القاهرة كره العمى، وقال هاتك لعله من
طرف الملاك المودع تتسحيل الحسبات على أحد كتهى، أنا هذا
دخل بحق وحقيق رب أسرة وصاحب بيت يؤمه الروار أما في

مربة فأب ريشة شديدة في مهب الريح، قبت هذا الصوت في
دماغى فحصته وقلت لأبطن في هذا الأمر

بكنى بظرت ذات لحظة بعد جعوت دوشة مقدمي، وكأنت
صينية الطعام الكبيرة مفروشة على الطلية وبحر بتحسها في
حوش الدار ومن حول بط وأور ودجاج ومغيز وخير كثير،
فراحت أحتى «سلمى» و«مدووه» و«سعدية» و«هندية» قد صرن
حزبا بمعنى الكلمة أى قد صرن في حاجة إلى ظل رح يحميهن
من طمع دوى البفوس الوسحة، ارتعد قلبي والله يا حال
وأنصت للمعقة في يدى وتناقلت الشورية على ثوبى، أجرد
، بحيلى لرح من المطاير معدوم التربية يقتحم دارنا هذه لفلوها
من الرجل ويستنيج كل هذه الكور الغالية أيجيئك قلب يا حسن
بتترك هذه الاحواض اسعطت ثوبها أمك وجدها^{١٤} «سلمى»
و«مدووه» و«سعدية» و«هندية» يهون عليك فتتركهن شهورا
أخرى وربما سموت^{١٥} كيف ياولد فكرت في هذا من الأول^{١٦} ألا
فائل الله انفسر استحلطت اللقاء لمصلحة رجوليئى فقل
مصححتهم، استقرحت لهذا فأكلت بهم حتى شبعنا وانجصت
سكنا على مسند صلب وجعلت أحسن «سيحارة» باستمتاع شديد
رأى مترعة جوارى، أحتى «سلمى» تسوى الشاى على ركية نار
«سعدية» من الكابون، جاءت «سعدية» نصيبة الشاى عليها ابراص
و «لاواب» لركت عرضتها أمامى فأجدت أمى نصب لى الشاى
انفس في الكوية قاتلة «دلهنا» والشعا يا حويه، جعلت أرضف

ميلت أمي على أبي وهمسست: «أرايت بورك كيف صلا الدار؟
 قلت مداريا دمعى الوشيك: «أنت صاحبة كل فصل يا أم». قالت
 فلماذا لم تحدثني عن أحوالك يا ولدي؟» قلت: «بحير والله يا أم».
 الولية لم تصدقني هي هذه الكلمة! لم تصدق أن هالي بحير. قالت
 وهي تربت على كتفي: «أعرف أنك تتعب يا قلب أمك». قلت محاولا
 اعتقال دموعي: «كله يهون من أهلك أنت وأخوتي يا أم. من كم
 غير الله وغيري؟ من أجلكم أقطع من لحمي وأرمي في حنة
 الطبخ، ربتك على كتفي مرة أخرى وموات ثم بدأت تتأهب
 وامحطت ترقيني وتلمس على جسدي بورقة: «رتيتك من عين
 السمود يتذب فيها عود ومن عين المرة تنقل بشرشرة ومن عين
 الرجل تنقل بمساحل ومن عين كل اللي شاموك وبصروك
 وماصلوش على الحبيب النسي». وجاءت أختي «سلمي» بمقد فيه
 انبحور يتصاعد دحانه ذو الرائحة البركية وصارت تلف يديها
 بالمقد حول رأسي حتى صيرت أما الأحر أنشاء ووصعت أمي
 الورقة التي كانت تلمس بها على جسدي في بار المنقد وتركنتها
 تحترق على مهل ثم قالت لي: «شف يا ولدي أن كان القرش
 يحبك في الغربة من حلال فالغربة محتملة إلى حين أما إن كان
 القرش فيها من: «فقاطعتها مرتشعا» أقول لك الحق يا أم: إن
 الحلال في الغربة غير مباح يا أم لا تدهشي! أن البلد التي كنت
 فيها يسمحوا بالقاهرة أي أنها تظهر الناس من سكانها وكل من
 يلجئون إليها في طلب: «تقهرهم على فعل الحرام عيني عنك وفي

٢. خطوة: ومن لم يقدر على فعل الحرام تفرغ أنفه هي الطريق
 ونصيح حرمته: صدقيسي يأم أن الحرام الذي كنت تدفعيني
 بكانه هنا أحف بكثير من انحراف الذي يعرق أهل ذلك اسلا! أن
 «رامب بسط من يجاسنا الله عليه يأم» سوف يغفره له سبحانه
 على أساس أنه لعب عيال! نحن هنا بفعل الحرام الصغير فتشعر
 أن: «ما خوف من الله من عذاب يوم القيامة أما أهل القاهرة فإنهم
 «مبور لحرام الكبير دون أن يشعروا أنهم يرتكبون الحرام» لو
 «... لك أنهم يتفاحرون ويتفخحرون بفعل احرام تقولين
 كذا»

أخذت أمي تفك انطرحة وتعيد لفها حول رأسها عديد من
 لرات فتحيكت كأنها ترمم دمعها حواف الانهيار. قالت كأنها
 بحتم الصلاة: «على كل حال جنت في وقتك» اندار هذا محتاجة لك
 بسمر دخلتك يديهما الله عبيدا. وراحت تصب في الشاي الدور
 لثاني عينا أرشفت الشاي كانت هي شاردة سارحة في اسكوت
 وش طهر على وجهها أنها تدحر لي حبرا أشعر أنه شعلها من أنه
 هو الذي جعل مسألة سفرى أو نقاشي في المرتبة الثانية من
 اهتمامها بعد درفة ميلت رأسها صائحة «أذهبي يا سلمى وبيني
 البعد والفراريج» وأنت يا مدهونة تومي تربي لمعير وأحبسها
 «... سعية أذهبي فديعي هندية ومحمود» إذ اطمأنت إلى أن
 هربنا وحدنا ميلت على قائلة في عطة «صاير ولد صفوان أبو

عندس تعرفه؟ قلت: «طبعاً» قالت في نبوة مرعوشة بالنبهية «ما
قولك فيه؟» قلت: «لي عشر سنوات لم أراه يالأم» قلت «إيه معك
في مصر» هذه البلد التي كنت تحكي عنها الآن يسرح في
الشوارع يبيع الفعالات والنسراويل والملاياي ومعه قرش وميسوط
وكل يصع سنوات يجيء ليستشترى قاراريط الأرض! قلت
«ماحسره يالأم» قالت: «يدور على أحبتك سلمى» يرسل بسوا
دارهم ليحطبوها مني» سيميشها في مصر ويستتها» سيشتري
لها قرطاً وكرداناً ومشطلة وحلجلاً ويعمها في العراء» سرح
حيالي برهة في اللاشيء وما لبثت حتى ارتعش قلبي من العرح
ياحال أو من الخوف لا أعرف، لكنني قلت «ما رأيك أبت يالأم»
قالت «الذي أراه أن الولد شارى» بحث لنا ثلاث مرات وجاء
بنفسه مرة» وطلب مني أن أبحث لك حوايا لتحضر أو أعطيه
عنوانك في مصر ليقابلك فحصلت ألا يزال في بلاد القفرة وكنت
ساكتب لك جواباً بالجوى» ولكن الله أرسلك» أنه سبحانه يعرف
بحد النبوة ولنسوف يعجل مسترها» فن «على بركة الله يالأم
على بركة الله! أنه طول عمره ولد طيب ابن حلال وجدع». قالت
أمي كأنها تملن موافقتها النهائية «ربما يكتبها من نصيبه».

المسألة جاءت سهلة يابوى ومثل العسل، لم تستغرق والله
شهوراً قراماً فيه الفاتحة وعقدنا القراء وسافرت أحتي «سلمى»
إلى مصر في ربطة ورمليطة كبيرة، وكنت معها وأنا وأمي

وأحواتي حيث أطلعات نفوسا وتأكدت أن لايتنا داراً وعشاشا
وسترنا، وعدنا إلى الصعيد بعد يومين اثنين

صرفنا القرشين وبقياً كما خلقتي يارب ترزقني سبحانه الله
ببوى، ففي نفس الشهر جاءنا من يحطب «مدوّه» هو الآخر
وبد يعيش في مصر منذ نضع سنوات ويشغل نفس الشغلة
ولكن في وكالة البلج، حيث يجلس مربة يد صغيرة يصنع منها
دكاناً متقللاً يتسع لكثرة نصريه في البيع اسمه «بصر الأفرع»
وأعزّه ولداً أحده من سابقه، فقلت «على بركة الله» عقدنا
القرن في انتظار أن ينتهي «المريس من بناء شقة يمتلكها على
أرض يصع يده عليها في منطقة مهجورة حلف صحراء الممالك
من جبل انقطم في شهر واحد لمعت في دارب الزعاريذ مرتين
وأصيئت شموع العرج مرتين وجلس على كرسي الكوشة
عروسا من وقتان إحداهما سافرت والأخرى على وشك السفر
«عقنال سعدية وهومة وأمسح لهن جميعاً دماء شرمهن
وخلاصهن وغاظ أولادهن! اللهم أسعدهن! انهن استر عرضهن»
وبلعهن كل أمانتهن! اللهم أرض عنك يا حسن يولد بطنى»

هكذا راحت أمي تبتهل بصوت مخيف راغش، رافعة وجهها
نحو السماء بأسطة يديها. أخذت والله أحبس «دموعي حبسا»

الثانية - بصره بالبنت

كنت لأمي في لحظة صفاء «يظهر أنه مكتوب لنا لقمة عيش
في مصر يا أم» ولابد منها» قالت «بفعل الله بنا ما يشاء فمن
أولاده وهو مسئول عن» وليس هو سبحانه بسدي يفرط في
المسئولية حاشب لله يا ولدي! لانك مررت» رحت أفكر في أمر
العودة إلى القاهرة، محففا وقع الأمر على نفسي بأن الله قد
«أعزى من حيث لا أدري فخلصني من نصف المسئولية ولا بأس
من اذعنة بسين أخرى، هذا بأمرى تقول «من عند تتوكل على الله
يا ولدي فتحدث لنا عن رزق يعتمد على له وعليه مدة سفرنا إلى
أن بكرمك الله وتدعنا لنا بالحوالة قلت «فعلا يا أم صدقت» عدا
بعلها الحلال الذي لا يفعل ولا ينام».

الليل يطوله وأنا مفضج العينين يا خال، «في يضرب يقلب،
هاتف حواسي يقول لي قم الآن يا مفضل واسرج في هذه الجلسة
« خروج مصلين من صلاة الفجر وأنت وبصديق هالاه لن يردك
« .. وهاكف لعله من السماء يرعى قائلا كيف بعد أن صرت
رجلا محترما يوقرك الناس تفعل أماعيل كهده» «أرضي أن الطوبة

جاءت هي المظتوة وضبطوك متلسا فمادا تفعل أمام هصيجة
 بجلاجل؟ وهتف ثالث يقول لى تفعل يا حيس أنت عائب عن
 الصعيد لك مدة كبيرة وقد صرت كالفريب أعمى ولو كنت
 بصيرا الله أكر بطق بها صوت المؤذن فدوى من خلفه صوت
 أمى زاعقا يرج الأرض من شدة ما فيه من ترج واستعطاف: والله
 أعظم والعرة له لا اله الا الله محمد رسول الله، فتأكد لى والله
 يابوى أن الله لاند قد تأثر من صرعة أمى هذه بصوتها هذا الذى
 يفتت الحجر تقول كهر لو فت لك أبى فد رايت الدهول يشق
 لى دماغى فجأة بشرح سرعان ما اتسع وبرزت خلاله دموع
 تتساقط من عيس مجهونة فى العلو على حد يشبه سحب السماء
 الصافية!

سحبت جلبابى الكشمير فارتديته ومهبط نحو الباب ثقلت
 أمى، قالت «رايح فى يا حيس؟» قلت «أصلى الفجر يأم»، قالت
 كأنها قد أحست أن صلاة الفجر هذه مجرد اسم لمشوار آخر أبوى
 القيام به «الله معك يا ولدى! ادع لما بالستر» قلت «يحصل بادن
 الله»، وخرجت، فقامت هي وأصغت الباب من ورائى بالترس

شققت طريقي إلى المسجد الذى لم أكن دختي هي حياتي من
 قبل رغم أنه على مبعدة ذراعين من دارنا خلعت صرمتى القديمة
 ودخلت فتوصات وأندسست بين صفوف المصلين فجاءتنى راحة
 كبيرة، هبط العليان هي صدرى، تيقنت من أسى قد وكلت الله حقا

فى التصرف فى أمرى. الله وكيل يابوى ما فى ذلك شك أبدا
 عواصم بختتم الصلاة لاحظت أن رجلا محتزما يطيل النظر إلى
 من تحت تحت يتأملنى حتى أوشكت على الحوف منه، فلما سبق
 من يجاورنى إلى الانصراف تخرج هو جوارى حتى حادنى ومد
 لى راحة يده قنلا حرما، فلامستها براحتى قنلا، جمعا أبى شاء
 الله، وقست راحة يدى قال الرجل «أنت حسن ولد أبو صبة»
 قست «صدقت» قل «كيف لا تعرفنى يا ودة؟» قلت «العتب على
 «نظر» قال «أنا احاج دعندور صاحب الجباين» صحت قنلا
 «يه يه يه أبى كان يحفر لك ماكينة المياه» قال «والجباين
 كلها رجعه الله كان شديد الحب بعمى» قلت «حلف لك طيلة
 العمر لقد كنت أيامها طفلا مسعيرا فاعندنى» خرحنا معا من
 المسجد وقد بدأت أمتشى لظهور شدة الشبه بينى وبين أبى رحمه
 الله كلمة منى وكلمة منه أنت فى وأحار الشعل أيه، وحمد الله
 على السلامة ومسيرك ما عمتوا دم نكد يصل إلى نهاية الشارع
 حتى كنا قد اتفقا على أن أحرر له الجباين لموسم العيب هي مقبل
 ثلاث تلاليس من السرة العويجى، خلاف كسوة وأكل وشرب لمدة
 ثلاثة أشهر بالصلاة على النسي طلعا من المسجد على الحثاين
 فتسلمتها وتمعت عيها وعى المكان الذى سأنيت فيه وفهمى أن
 من بين عملى إلى جانب البشارة أن أجلس أمام الجباين بفرش
 كبير يصم أفاض مملوءة بالعيب العرف المطلوب بيعة وأكله مورا
 قبل مساده.

الجنابين قديحة، لكن الناس رجعت عليها حتى باتت الجنابين كأنها هي وسط البلد قصاها مياشرة دار صغيرة محدقة فيها فتاة جميلة تقول للقمر قم لأجلس مطرحة، ويقول لي قم فلا تحسن أبدا ذهبت بعقلي يا حارس، تقول 'سحرتني' رجعتني! أحببت عربي استنى الحفارة وكل شيء للعبوة ست اللعوب تقف أمامي تنركني أبصص لها فاعلا يعين الأفاعيل ولربما يدهي إشارة إلى أن المغير والدواب الفتنة قد حودت عن أعفص العيب ومرت فيه أكلا على راحتها فيما أما اسحر مسمر في مواجهة ابتداء اللعوب ذات الوجه بوردي والسن المتعيط كالسبية تحت ثوبها الواسع كانت تعتمد رجعتي وانصب مخي إذ هي تكثر من المرواح والجيء على الدوام تنقصع فتلوى تشد كل العروق في مفاصلي، فأزوح أبادي على العيب وأصعاً فيه كل الصعاب الجميدة أنه لواعج وأشواقى أعتب عليه تمديه لي وثقله علي وثأري في أصص الليلي

المضروبة لم تهدأ فوجئت بها ذات عصرية تدخل على الحاج «دعوره» حاملة قفة كبيرة ظلمت والله أنها دخلت تدس في حقى لديه وتشكوى، فتسللت وراءها بصعنة لطافة وتلكأت حوار الحاج دعوره فبأذا باليت تطلب من الحاج دعوره أن يبيعها خمسين رطلا من العيب على أن تدخل هي وتنقيه قال لها الحاج «دعوره» وهو يضع النقود التي أحدها هي محفظته «أدجلي فاستقي كيف تشائين ولكن هل تجيدين قطع العيب» ولا يعرف

« قالت لعلت «أبعث معي مهذا يقطع لي»، وأشارت إلى، «عس والله قسي من انروح ووقفت أنتظر، فصاح الحاج دعوره «دخل معي يا حسن وحده معك المقص الحدي» قلت في أمتد «أحضر يا حارة»، وأشارت إلى ابتداء أن تتعني ظلمت أمشي «أحده الجنابين أكثر من ثلاثة كيلو مترات، احتذى الحاج دعوره «صرب وحده لا عين ترقنا سوى عين الله توقفت الفتاة عند «عنده مثقبة بالطيب الناصح وقالت «أقص لي من هنا واقطع بي من هناك» فأشرعت المقص ورجعت أمستقي من التكمعية أطايب المصافح فاعطوها بحكمة وأرضها في القفة وهي واقفة ترقس وهنم نسامة شقية بين شعبتها صدقني يحال أنني لم أعرف حدي الآن سر هذه الحية التي حطت علي لقد كنت أشمال وأحط في سبيل أن تحس علي بكلمة أو شعرد بي لحظة في مكان، فما نال «أحده حالك يقف هكذا كاللوح المطران بعد أن حاءته الفرصة وصار معها في حلوة بعيدة كل ما أدريه أن سهم الله قد أصابني فشل حركتي وأعجز لساني وحور عيني فاندمجت في قطع العيب ورصه بحماس وحيدة، فبما أمتلات انقفة أمسكت بطرفها وشسها، فما استوت انقفة علي دماغها حتى نظرت لي نظرة فيها الهرء كله والسم كله، فاصفص بصري إلى الأرض، فإذا هي «بعدها تلك الكلمة البعية التي لم أكن أتوقع أن تنطقها «أمت»، ثم دعمتني بيديها دفعة واحدة تهاوت منها مستطوحا أتساند على انهواء لحقت بها جريا وأما أصبح «الله الله طبع حذك على

تعالى.. تعالى بس»، لكنها لم تلتفت إلى ومضت تتعحتر تحت
القمة الثقيلة ومضيت أجر حر أديان حيتي ولو كان معي مسدس
فى تلك اللحظة لأطلقت كل رصاصه على بعضى من تلك اللحظة
امرعت هذه البيت فى قلبى ولم تغارقه ليلا أو نهارا كأن بيبي
ويبيها ثارا لا بد من تصفيته!

انتهى موسم العنب يابوى، وأوشكت الثلاليى على الانتهاء هى
الأخرى هم يضحك وهم يبكي تصور أسمى وقد صرت عاجزا
عن شراء ورقة دخان لفأ فكر فى خطوة هذه البيت؟ يظهر أسمى
من لحنى وصلت متأخرا الأيام التى مرت لم تكن طويلة، لانريد
عن حمعة، عبتا فى مشوار أحصل من ورائه لعة عيش، حيث قد
لجأ إلى نفر من المطايرد فى أن أساعدهم على بيع ربية مسروقة
قوامها جاموسة وبقرتان عشار ولقنا الله بفصله وفضل العبد
له فى تسريب النبعة إلى بلد بعيد بسعر مريح للطرفين ولئى
بطبيعة الحال، أخذت حلى من الطرفين ورجعت عامر انجيب
والقلب تداحلى ثقة فى أبنى ساجرو على تخطى عتبة دار الصبية
لأجلس فى حوشهم طالبا القرب من أبيها، ومكسبي من السريفة
المجاعة ليس بالذى يمكن من قراءة الفاتحة وابتياح هدية ثمينة
للمروس والوعد بما لد وطاب لكنه كان مجرد عتبة انخطاها
ولسوف أعود من أجل حاطر عيوبها إلى مصر راعما صاعرا
وعلى قلبى أحلى من العسل لبست جلباسى الكشمير واللدة
الحديثة والمركوب الوردى اللون، ورودت علبة دخانى بكيف يزن

أرمية ودهنت أحطر نحو دارها أملا فى تلففها وتلففها أنى قادم
بحسبوتها عليها أن تمهد لى الطريق إلى أبيها لكسى عى ذلك
الدوم لم أصادفها فى الشارع تلكأت فى كل مكان ظمنتها تتواجد
فيه كدت وانه أطرق الباب وأنادى عليها بصوت عال وبلا حياء
صانحا «فتحن يا حنة - ذلك أن اسمها حنة» - بل كدت والله ادفع
لباب وأدخل كما فى المواقيل قانلا أما قتبلى الحنة..

تطعت متوقفا جوار باب دارهم تحت شدكهم كاسى ابتظر
رسولا منهم وكأسى فى نفس الوقت أفق فى شارع الله الذى
حق لكفة الخلق الوقوف فيه لغت أكثر من خمس سيجائر
دحتها فى عجلة وعصية ونسيان، أدسى قد غادرتى وترعت
صحن دارهم من الداخل لعلها تلتقط لى من بين الأصوات صوتها
فدم بلفس طوال وقوفى أى صوت، وعيسى ممتزعة من مرقدها
بحث حبهتى وراحت تمتد فى كل مساحة خائبة شحت عى طيلى
فدائما نظراتى اشعاعات كشاف تزيجه الرياح، فلما لم يعلق بها
طيفها انطاعت حزياه حسيرة وهكذا أعمصت عيني واشعلت
سحارة وأحد دعائى يسترد نفسه ليفكر بدهوى فى الأمر دهسى
ولنه احساس مفاجيء بأن الشؤم قد حالقنى اليوم معها! أن أبنى
بم اكن أصدق أن تحتفى حفاة هكذا يا حال، وهى التى كانت
بروح وتجيء فى الدقيقة الواحدة ستين روحة وجيئة وكانت
معنى موجودة فى الشارع كنه حتى وهى داخل دارها جاءنى
الأسس بانها الآن لا بد أن تكون فى خلوة مع أحد، فعار دعى

فوراً، وأوشكت أنجرى في الحلاء سموت أشج به رأس كل من
يلقبى، لم يستعفى الا طفل صغير من أبناء جيرانهم رأيت يلعب
بجوارى، لأطعته سرحت به، عرفت منه أن «حنة» انتقلت هي
وأما برفقة أبيها إلى بلدة «الولاد إلياس» المجاورة حيث ستبقى
هناك طويلاً إلى أن يعود العمدة

سبحان الله يا بوى خطر في بلى أن «حنة» هي إسة «أبو
سكين» الحفير الحصوصي والمرافق للعمدة أيما ذهب والعمدة له
درع عريض في النح القريب مما يحلو له أن يقل محل إقامته
إلى هناك ليكون ساهراً بحق على رجاله لما تذكرت ذلك حفت
لبرهة ثم حمدت الله أن برز على سهم الله حين انفردت بها في
الجناب. ثم قلت ما من بد، فلا بد أن أراها، ولأحدث معنى واحداً
من أصحاب عمري القديم أو بالأحرى من أصحاب أبي ويقصد
الكريم إلى دارهم

في الصباح بحثت عن أحد يذهب معي فلم أجد فاعتظت أيما
غيظ فلأذهب وحدي بنفسى من أجل نفسى ألت رجلًا يملأ
العين؟ وقد كان

أذكرني الصبحى على الطريق وأما أنبسم ريح «حنة» وعطرها
كلما اقتربت من حدود «الولاد إلياس» إلى أن امتلأت خياشيمي
برائحها العذابة، فتلفت حولي، فإذا به «أبو سكين» الحفير يجرج
من غيط القطن المجاور لي، والعمدة يتحنل أمامه متقافراً فوق

دراريق مبعوحا ينكاد الكثر بفركه، وكان الشر مادياً عليه حين
«سبل بطرة سيئة إلى جوارى فظطرت فإذا بولد صغير قد سرق
«ل» حجره قطناً وما هو ذا يقف مشلولاً بسريقته يتلجسه الدعر
«نفس» عليه «العمدة» فأمسكه من كتفه وهره بعنف ولعن آءه الذين
«حذروه» رمى به إلى «أبو سكين» الحفير صرعه «أبو سكين»
«بشفت» على وجهه ودرج ما معه من قطن ثم تركه بظرت في الولد
«ممرعه» وعرفنى، إنه ولد عسان وعلى قد حله ولكن يكفيه صيت
أن «عبد الرحمن» ملك الموت «عنه» لزم

عم الولد اسمه «عبد الرحمن» على اسم سيدنا هبذ الرحمن
عرواشين الذى يقص الأرواح بأمر من الله جلّت قدرته ولأن «عبد
الرحمن» كان قويا كحصان فتى عملاقاً كئشدة ضحماً كليل شرساً
كسوت فانه كان اذا ضرب واحداً براحة يده فقل عليه «أرحم»
«أرحم» هم «باك» لو ضربه صرباً حقيقياً» اذا نزل في عركة فلى
«أرو» مخلوق مهم كال حصيما أن يقف قفاته كان مبطره بفص
«أحبة» هي عرته، يكفى أن يمس أبحاره - ولو بكلمة - لآى طوف،
فعل الطرف الآخر أن يجمع رجالاً رحطام حسائره ويفسها
«س» «أرحم» ملك الموت كان حماراً مكاراً حسيثاً عبياً، يبيع نفسه
«سما» وعلى المكتشف، ياويلك لو خلعت معه اتفقاً تم بينكما
«السلسل» لن يجدك أمك ذات لحظة بكل ساطة، وإذا كانت
«أرو» شاطرة تحيى بأى أثر لآى جريمة وقد عصبت والله
«أرو» كيف يسمى «أبو سكين» كل هذا في هذه اللحظة؟ كيف

تهور وضرب الولد على وجهه بقسوة؟ قلت في عقل بالي حقا
أن الخادم المذعور من سطوة سيده يبقى سلاحاً أعمى في يد
سيده. عذرت الرجل لما رأيت سحابة خوف وندم تمر على وجهه
وقلت ربنا يستر

ألهمني الله بكلمتين طيبتين هذأت بهما العمدة وانهزت
الفرصة فسلمت عليه وعلى الحفير فكرتهما باعماى الفقه
ومضيت خلفهما حتى ماكيت مياه العمدة تحت مجموعة متكئة
من أشجار التوت والجميز والصفصاف والكافور، حيث حىء
بكرسى من حطيرة منزوية جلس فوقه العمدة وأقمى الحفير «أبو
سكين» تحت قدمى العمدة على الأرض رميت السلام وشرعت
أنصرف فقال العمدة على سبيل المجاملة «أفعد أشرب الشاي
ياأبو العم» قلت فى امتنان «تشكر يا عمده كلك واجب» وقال
«أبو سكين» فى ود صادق «استرح ياأبو العم فالطريق طويل
قلت «أبو الله حق الله» ثم أقميت بجوار الحفير تحت قدمى
العمدة منكسا رأسى فى الأرض صامتا همرت كالعريق فى بحر
ياخال، عقلى يقول لى تكلم يا عسيط هذه فرصتك جاءت لحد عندك
ومن حسن حظك أن العمدة حاضر ومحضره قد يحىء خيرا لك
لكن عقلى يرجع فيقول لى أعقل يا ولد! فبك من شغل الحب
والفرام ولعب العيال! أمك شيء حتى تنشمل وتجيء لتحطب!
وأبى أبو سكين الذى يستطيع بقربه من العمدة أن يصورك

وبمشيك على هواه؟ وعلى فرص أنه وافق فمن يصم لك أن
صروك ستعينك على تنفيذ ما تتفق عليه مع الرجب؟ أحمد الله
أنك لم تتكلم ولم يصدر عنك شيء يفضح صغر عقلك...

لحظتها ياخال، رجف أمام عيسى المنكستين طيف على شكل ظل
ملا اسنبا برائحة اللقاح والدور ورثة الحطة! فى أسفل ظل
كعيرين مستديرين كالريال الفضة يتسبحان على الأرض ويحتفیان
مع ظل الطيف، الا والعمدة يقول «كتر حيرك يا جبة» انتفصت
كالطفل الصغير يسمع زمارة بائع الحلوى، ورميت بعينى فى كل
اتجاه لعلنى أراه! لكنها كانت قد اختفت حفت أن أكون مصححت
نفسى فنكست رأسى من جديد فاصطدمت عيسى بصبيبة الشاي
احساسية عليها كوبات الشاي.

يمير بالله ياخال ماكنت أصعب كونة الشاي على شفتى حتى
سمعت ديباً غفيا فوق الأرض أرجف الكوبة بين أصبعى، فرفعت
رأسى، عتلمسى الذعر فى احوال ياخال، إذ رأيت «عبد الرحمن
ملك الموت» مقبلا بمسك بيوته الشهير يحر حلفه الولد الذى
اصبر الناس فى بلدتما إذا! راوا «عبد الرحمن ملك الموت» ماشيا
بسوته أيقنوا أن طبعته لن تخيب أبدا ولا يد أن تسفر عن قتيلين أو
ثلاثة فى بلع المصر...

دخل «عبد الرحمن ملك الموت» دحوبا فكأن الدنيا قد غيمت قال
فى أريحية وبكل ود وطيبة «السلام عليكم يا عمدة»، ثم أقمى

بحوارنا ونظر لولد أحبه المصروب قنلا بانتسامة تشجيع
 «شوف يا ولد من في هؤلاء ضريك» وأشار بحونا كيف تم كل
 ذلك في لمح البصر يا خال؟ يعلم الله كيف ولكنني فوجئت سفر من
 ولد أح «عند الرحمن ملك الموت» قد صبروا واقفين بالنسائيت
 حولنا من كل جهة أشار الولد الصغير إلى «أبو سكين» الحفير
 وكانت البندقية المبري لا تزال معلقة في كتفه، فإذا بالنسائيت
 تنهال عليه كالطر يا حال مفص الحفير وانطلق يجرى في الطريق
 والولدان يجررون خلفه يلاحقونه بالنسائيت كلما طالوه إلى أن
 سبقهم بمسافة واستدار رافعا البندقية في وجوههم ثم أطلق
 عليهم الرصاص فأوقع ثلاثتهم على الأرض قتلى عارقين في
 دمائهم

«عند الرحمن ملك الموت» رأى حدث ولد أخوته محبطين على
 الطريق فانتفض واقفا يبعي اللحاق بالحفير، فإذا بالعمدة - وكان
 هو الآخر غنيا كمثل استرالي - يطبق في «عند الرحمن ملك الموت»
 يطوقه بذراعيه بكل قوته فصارا يهران بعضهما كحليين ملتصقين
 والحفير واقف منهما على مقربة لا يعرف ماذا يفعل، العمدة
 يصيح به «اقته! اقته هو الآخر يا عيط». وكان «عند الرحمن ملك
 الموت» قد نهدل العمدة وأوشك يرمع به الأرض، وكل منهما
 يدور بالأخر في دوامة، والحفير يصوب مأسورة البندقية في
 جب «عند الرحمن ملك الموت» ويصرب، فتخرج الرصاصات من

«صيح الآخر محترقة صدره ما عرض وهذا تركه العمدة موقع،
 في يهس في احوال، اندفع يجرى حذب الحفير واسم يرب من
 دنيه ولا اعرف كيف السقط نبوته ثانية وأعجب الظن أن نبوته هو
 الذي طار اليه، وكان العمدة يجرى خلفه ليجول دبه وبين الحفير
 ادى بمشعر موقع في المصرف بحركة بهلوانية «ستدار» «عند
 الرحمن ملك الموت» مرتدا في فجرة واحدة حيث هوى نبوته على
 رأس العمدة بصرة وحدة سقط العمدة بعدها وبشظايا من محه
 سائر في الهواء كرم لحمام ثم أن «عند الرحمن ملك الموت»
 قد «فجرة أخرى نحو مصرف مدعنا الحفير بصرة أخرى فوق
 اية» وكان بحطتها يحاول تحليل بسندقية من طين المصرف
 وسقط وايها في الضيق حثه هامة، فرقها سقطت جثة «عند
 الرحمن ملك الموت» هدمه، أما نبوته فكان من عزم ابصره
 «اليد قد طر بعيدا ليصيب العمدة بصرة أخرى - عفوية
 هذه المرة - هي صدره»

واه يا نو، و... ي... واه، ست جهث سرسية على الطريق وفي
 «سرب ايراكذ تنتظر قدوم النياية أربعة أيام بحمس ليل نصرب
 ها الشمس حتى تعفت يصير انه يا خال ان الرادحة انكريبة
 ... كتابة على انفاضا جميعا سميس طويلة، والحواف كله بات
 ... ما بعد ما كنية مياه العمدة وعفاريث انفتلى تتسلق الأشجار
 ... ليلة تكيد للبشر ليل مهارة

امدقنت الحنث، والنيابة التي يهملها التصريح بدهن الجثث لم يعد يهملها الإمساك بأحد ممن يعتصمون بالجيل كأنما الجيل يخرج عن حدود مسئوليتها، والواقع يابى أنه يخرج عن حدود طاقتها وقوتها وكان العمدة قد تكهن بتهرب زوج الحفير وأبنته أهل الموتى دفنوا موتاهم في صمت كأن شيئا لم يكن حتى بدا كأنهم سلموا أمرهم إلى الله بعد سقوط رعيهم سبجان الله بإحلال، على حظورة هذا الحادث الكبير فإنه من كما يمر أرى حادث، فسيه الناس في بهر أيام قليلة.

ما أدري إلا والعمدة الجديد ابن عمه يعث حفيرا محترما في طلبى أتيت مقلنى من بين ساقى وقلت لانه أبوى أن يستشهد بي ويجرحني في محاكم وبيانات وأنا حسدى متلبس بها من حاله فلا يطبق منظرها فكرت أنسى لاندلى من الهرب يابوى أيسبق بي الصعيد هو الآخر واصطر للهروب منه؟ لم يعد أمامي أنا الآخر سوى الجيل اعتصم به ولكن هل أنا قد الجيل؟ طب وأمس وأخواتى يابوى من يرعاهم؟ وما لزوم الجيل؟ وما لزوم الهرب؟ الصراحة حلوة الكلمة الطيبة أحسن أحدى كلمة جاضر ليس أريح منها قل حاضر لمن يلح عليك وأعمل ما يحلو لك بعدها في السر أو في العلن قل يعترض أحد!!

حلقت في عيني الحفير فلم أجد فيهما عكرة تشي بأن هي الأمر ضررا فتوكلت على الله وذهبت معه. خير ياعمده.

لدهشتي سلم على يدا بيد وقال: «اجلس»
فأعيت على الأرض بحوار الكراسي الحالية.

قال: «ياحسن ياأبو ضيب».

قلت: «نعم ياخضرة العمدة؟».

قال: «ما بقي فيك من لبن أمك؟».

قلت: «كله معون الله ياعمده».

قال: «أعرف ولا مايعث لك؟».

«بدر قلنى كالشموك في حيط مطاط يلعب به صدى لكسى استطعت أن أقول «ملك يمينك ياعمده»

«ال» بحث في البلدة كلها عن يكون قد بقي في بدنه شيء من لب أمه فلم أجد فبحثت لك... هات ضايأ ياخفير».

«ال» لفسسى أهلا وسهلا، وتوكت أن يكلمنى بقتل أحد... «باء» وبدأت أفكر في حيلة أخرج بها من اللزيق دحر الحفير والشاي في الحال، للعمدة ولنى».

«ال» العمدة وهو يشفط «شف ياحسن الحكاية وما فيها...» حدث عن حجر ماكنية الميه طول الموسم. وكل من عرست... «ال» الأمر يخاف من عفاريت الجثث!!

قلت باسمها وقد هان الأمر على نفسى: «معهم حق ياعمده...» «ال» أمده مسكونة قهقهة العمدة صالحا وقال مشوحا في

وجهي: «صغارت إيه يارجل! أنت راح ميت القلب وأبوك أحسن من خضر المكن اسمع لسوف أحملك ميسوطه على الآخر طوال الثلاثة أشهر مدة الموسم»

في هذه اللحظة يابوي، ابنه وكيل يابوي، طقت الفكرة في دماغه لا أعرف كيف قلت له «رفعتى هذاؤل ياعمده لكن لى طلب واحد فقط لو نعدته لى . ههر رأسه في قبول حسن وقار مشجعا «قل عليه» قلت «أريد أن أتروح حبه بنت أبو سكير»

انقلب وجهه في الحال يابوي وظهر عليه العصب الكبير حتى حلت أمه سيرفيسسى في وجهي بقدمه إلا أنه تطلق في الحال قائلا «زواج مبادا يابو العم» نحن في حمار! هل هذا وقتك بنمذك؟ «حجلت من نفسي والله يا حال ومادت في الأرض، فقلت: «معك حق ياعمده! كان يجب أن أمير» قل «ساعطيك في الثلاثة الأشهر ثمانية تلاليس من الدرة»

ثمانية تلاليس يابوي، كمية كبيرة والله يابو العم، أربع وستون كيلة تستر جوعنا وعريانا ربما طويلا، فقلت «موافق ياعمده» وربنا معي بإذن الله» بدى على حفيظه أن يرسل في أعقابى أربعة تلاليس من الدرة العويجى إلى دارنا مقدم أجر أحصل على باقيها قرب انتهاء الموسم.

الثالثة - عصف الريح

الليالى طويلة يا حال والشجر أشدح مقببة تصاعف من عمق اسواد الكحس، وقلبي واقف بين حسي يا حال فلا أرى لا شبح «حبة» مدفوناً بحوريت عند الرحم ملك موت لى يتمها في صرعة متبهورة شبيهة، أهو الشؤم أم فيه الدبح! أم أنه موعظة من الله يسوقها لى كي أتمط و«مصرف بطرى عن «حبة»» وهل الأمر بيدي يابوي؟! لو كان عيبرى في مكاني لصرب هذه لبتت بالصرمة القديمة ورفض الزواج منها، لقد أنها سهلة أمان ترمى نفسها تحت أقدام من يرعها وليس بالضرورة أن تربعه «عنى قول لى هذا الكلام دائما، وأراد عليه مصدقاً له، مع ذلك ما أن جهر «حبة» على نالى حفاة حتى ينتفص قلبي كمصغور معلق في حيط من انطاط تقول عنى كادبا محبوبا لو قلت لك أنى رحنت انحطيرة التي كانت تمشي فيها «حبة» فس الحادث فتستمت راثحتها قوة بغادة جريئة يا حال قل عنى ما يحلو لك لكنى لم يكن يها لى يوم إلا فوق مصطبة تحيلت أنها كانت تنبت فوقها!

انتهى الموسم على خير وبركة، ورزقنى الله محبة جيبها
بعث بها سواقط من ررع العمدة، وعمرت الدار محزين يكفيها
شهورا، وعمر جيبى بمدد يكفينى للسفر

رأت أمى أب تعد لى لقمة طرية أكلها فى الطريق أو بمد
وصولى، ما كان لها لزوم ولكن هل أقدر أن أقول هذا لأمى؟
بالأسس أجلت سفرى حتى تعسل لى ثيابى، وأنيوم تؤجله حتى
تصنع لى نفمة وعدا يعلم الله أى سبب حديد بطرا عليها فتؤج
السفر من أجله؟

قمت أمشى فى البلدة قليلا أملأ منها حواطرى قبل أن أودعها
كنا فى الصهى والجو كثيب ملء بالرياح المترية رأيت جماعة من
الرجال يجلسون على مصطبة بجوار دكان الحياط سلام عليكم،
عليكم السلام جيسست جوارهم كان الراديو يرفع عقبرته مانفيا
الحماسى، وكل الاغاسى تقول مصر مصر مصر وكلاما
كثيرا غريبا قلت وما هذه الاغنيات؟ قالوا «مالها؟» قلت «فيها
جر شكل كبير» قالوا «سمنا الراديو منذ برهة يقول أن ثلاث
دول كبيرة هى فرنسا وبريطانيا ومن نسمي ناسرائيل قد هجموا
على مدينة بور سعيد - الباسلة - وأن ابنه نصر أبو عبد الناصر
عليهم. وكان صوت «أم كلثوم» يغنى قائلا صوت السلام هو
اللى كان والليل حكى قلت «يه يه يه مصر اذن بحير يعنى
أم لا؟» قالوا «العلم عند الله» قلت «مسافر أنا اليها فى

العدة. قالوا: «سلم لنا على ولد ابو عبد الناصر».. قلت كائننى
«افعل» «يوصل». ثم خفت يابوى، قلت لابد أن طيبة قلب أمى
هى انتى عطلتنى من أجل فائدة لى؟ مهل من المعقول أن يتنصر
«عبد الناصر» على ثلاث دول؟ أما اسرائيل هذه فلم أكن سمعت
بها من قبل يابوى وأما فرنسا وبريطانيا فأعرف أنا كنا
وأفيعر تحت احتلالهم حتى مجىء «أبو عبد الناصر» الجدع
«لامير» هو صحيح جدع وأمير وبطل، ولكن هل من المعقول أن
يعقق مثل هذه المعجزات يابوى؟

عصفت الريح فجأة وأهات عليا تلأليس نراب، فأهسست
والله أن الجو يندر بالحظر من اثنان من عائلة «عبد الرحمن ملك
دوت» يصعان يديهما فى فتحتى الجلابية، وكانا مسرعين يندو
عليهما الاضطراب والبرجله، لم يبقيا السلام عليا، فخطروا إلى
بعضنا وقلنا: «استر يارب» ذلك أن مشيتهم ذكرتنا بمشية «عبد
الرحمن ملك الموت» بعدها بقليل فأت عليا اثنان آخران من نفس
العائلة يمشيان نفس امشية اللهوجة ولكن فى الاتجاه العكسى
«أعنيهما فأت امرأتان تتدثران فى ملابس أسودين ولا يبين
«جسديهما أى شىء، وكان يندو من شكلهما أنهما عريقتان عن
الادة

ببعضهما بعيوننا حتى احتفنا فى حودة الشارع كلفت الاغنيات
«أه وخرج من الراديو صوت «عبد الناصر» بذات نفسه يهد

بكلام كثير حلو ومهمت منه أنه يوجد في مدينة السويس قناة
حفرها أنابوا وكانت مرسا تصنع يدها عليها وتبيع المرور فيها
لحلق لأنه بأموال طائلة وأن أبو عبد الناصر الجزار أحد منهم
هذه القناعة قائلا حقا أرى بلحم توره مصصفت وأنه لهذا الكلام
ولما مهموس سمعه على الحقيقة تفحرت مسحا مع هدير
السامعين، هتفت، يحميك!.. يحميك يا أبو عبد الناصر يا جمال..

إلا وصباح شديد يحيى من يمينها ويقترب إذ نحن كلنا وقوف
ننظر وإذا برجل يجرحر جسد امرأة على الأرض وحلفه يصع
رجال وأطفال بصيحوين ويرآطون ويجمرون فما اقتربوا منا تبين
لنا أن المرأة المجرحة على الأرض هي إحدى «رائتين اللتين مرنا
عليها من قبل، وأى الرجل الذي يجرحرها هو أحد رجال عائلة
«عبد الرحمن ملك الموت» الذى مر عليها من قبل، وكان يصيح من
أعماقه من أنا امرأة يا ابن الكلب والله يا حبل لم تصب دقيقة حتى
امتلا الشارع من آخره بناس من عائلة «عبد الرحمن ملك الموت»
وأقاربه، راح كل منهم يمدح عن هذه المرأة شيئا حتى عروها كما
ولدتها أمها فإذا بالصباح يرتفع ساحرا مستنكرا وإذا بنا نطر
رجلا كاملا المرحلة وإذا هو «عجروء» ابن العمدة كان مستكرا
لمهرب من البلدة قبل أن يفكر ولد عم «عبد الرحمن ملك الموت»
في اصطيدته، ولم يكن يعرف أنه خرج من جحر الدار إلى
المصيدة نفسها و.. يازين هملى!!

حذرة يابوى؟ جهنم الحمراء انطلقت؟ مؤوس وكريكات وعلط
وسكانين ومجارط ومماشير، عبر العصى والبنابيت كل ذلك راح
سهال فوق جسد «عجروء» ابن العمدة ابوحيد ورفيقه الذى كان
مستكرا في رحلة لهرب! الناس يابوى رأت المنظر هكذا فاحذت
بصرف من كثرة المشاعة، حيث سقط جسد «عجروء» المستكين
على الأرض رأسه مهنت كـرأس الدبiche جاءت بساء من عائلة
«عبد الرحمن ملك الموت» يجريين نحو لحفة ملئ عليها ورحن
شربس من دمها كما يشرب عصير القصب، ويقم بمسح الدم
عن شفاههن، ويسه أخريات مررن فوق الجثة سبع مرات، ثم
أهالت السككين واللط تقمع في لحم عجروء ورفيقه وترمى
بثياب التي تكاثرت وأسمرت والله لم يتبق من جثتهما سوى
بعايا عظم وأظافر، وحصيرة دم راحت اكلااب المستصعبة تلغها
في سأم!!

كل دنك وبحر خلوس في أمالكنا يابوى. في العصر جاءت
سكرك الحكومة واستجوبت من لقيته من الناس، فلم يفتح أحد
منه بكلمة، فانصرف العسكري دون أن يقبضوا على أحد مروا في
طريق عودتهم مزار تبعت منها الزعماريه اسماعيلية والظبول
والدموع الراقصة، ولو سألوا عن الدار التي يسبع منها هذا
الفرح لقليل لهم أمها دار «عبد الرحمن ملك الموت»، ولو فكروا في
الفرحة على هذا الفرح برأوا صيوان العراء قد أقيم وبدأ الرجاء

يرشون الأرض ويرصون الكراسي ويعنون الميكروموم. فالיום فقط يحق لهم تقبل العراء في قبيحهم.

امتلا حو البدة بالغبار المسود، ولم تتمكن أمي من صنع لقمة طرية أو فعل شيء بعد الذي رأياه رؤية العين في قلب شارعنا في قلب الطهيرة والشمس مخترقة سقب السماء وجاء حبر اشرب في يوم سعيد فكسر مقاديعي يابوي وصور لي مصر القاهرة كأنها ماسورة مدفع كبير فل أن يدي تطلعت على أجرة السكة، أحدث منها ثم ورقة دحان لف، وهي ثابى يوم ورقة ثانية، وثالثة هي ثالث يوم آخر قرش اشتريت به سيجارتين مكي فوطهما ولغعت حمس سحائر رفيعة وحلست في حوش دارنا أفكر في «حنة» قلبي هذا العلق اللعين يريد أن يرضى بمصيرها! لا يريد أن يبرح البلدة ويتركها أحد بنفسى جالساً في عز الليل وحدي أقول لنفسى ما الذى ستفعله هذه المسكينة الغلابة التي لم يعد بها أحد في هذه البلدة؟ هل يعوصها النعمة المكنوب في أعز مخلوقين لديه؟ هل يستطيع أى عوص أن يسيها بشاعة ما حدث لأبيها؟ صدقت يا حال اذا قلت لك أمى الوحيد الذى يستطيع أن ينسيها لو أخذتها معي إلى مصر بعيداً بعيداً وأريتها من فنون العشق والجيون الكامن في مصر ما ينسيها أهلها وحتى اسمها أم فقط لو أراها!"

الأيام تحر بعضها ومراجى معك يابوي، ليس في حبيبي سيطرة ودمى السحن يمسكنى عن طلبها من أى خسيس دخل

عليها شهر رمضان، أهلاً وسهلاً شهر مبارك، هو ونصيبه أول يوم كنت جالسا ساعة العصر أفكر في ما عسى أن تكون أمي قد أعدته لنا هي الإفطار في شهر رمضان عند الإفطار تخرج الصواى من دور كل مروج اسعائلة لتعتمد في المدرة، حيث يتجمع رجال اسعائلة ويستقدمون معهم من يلقوه في الطريق أو من بمرسونه من قبل أو من يشدونه عوة للإفطار من أبناء السبيل. دارنا هي آخر دار في الصف معرلة قليلاً لكنها - شأن بقية دور المعرلة - متصلة بالمدرة، فدا كنت جالسا في مدرتنا ساعة الإفطار تلاحظ أن للمدرة باباً داخلياً يفتح على دهلير مستطيل كأنه شارع داخلي تحفه الجدران وتفتح عليه أبواب الدور على الحسب

تحملت نفسى جالسا في المدرة بين الرجال أرقب الصينية الفادئة من دارنا أتصلي مظهرها وما سيكون عليه من تعاسة توهت نفسى بعيداً عن شارعنا، عامدا متعمدا، حتى أدركني أدان المغرب في جامع في ناحية أخرى من البلد فأمسك بي رجل كنت أعرفه من زمن ولم أكن قابلته منذ سافرت إلى المحروية مصر رأسه وألف سيف أن أذهب للإفطار معه ذهبت يابوي، فادا دلرجل يقدم الصينية أمامى عليها فضلة خيرك أربع فردات من الحمام السممين وسلطانية الشورة التي لا مثيل لها في تعبير الدماح باللهاء والشفاء أكلنا وشربنا الشاي والذي منه ثم اتكلت على الله مروحا إلى دارنا..

ثاني يوم في رمضان عدي على حير هو الآخر واستقصيته
كلشكان ثالث يوم فات هو الآخر لا أعرف كيف رابع يوم كان
يوم اثنين وهو يوم سوق بلدت في يوم اسوق لاند ان تشتم
الكواثر في كفة الدور حتى دور العلالة والارام فاشحاد
نفسه لابد ان يستقصي في هذا اليوم لحما وبطحة والمدة كلها
من اجعص حبص لافقر فقير لا مائل اللحم الا في يوم السوق
هذا اللهم الا بعض الايام المفترجة وهي لحسن الخط معبودة على
الاصابع كل عام. وفيما عدا ذلك من ايام فلا احد يدبح او يصب
سنة لحم

في الصحى دحات على امى «معك بقود ليشترى حما يام»

قالت: «لا، ولا ملهم»

اتكسفت وسكت، ثم خرجت صليت العصر وصيغت وقتاعيد
دكان احياط، الا وصاحصى الذى عزمى على الإفطار اول يوم
مقدما لى الحمام يلتقى بي وجهها لوجه على غير ابعاد ابعث
بحماس اعزم عليه ان يتفصل اليوم للإفطار عدى، شددت في
المروسة فاستبام مرة واحدة ولم يترك لي فرصة للتراجع، بل
مضى جوارى نحو دارنا تركته وحده في الحوش ودحت على
امى، وقعت في عرضها

«دبريني يام»، احفظ لي ماء وجهي الرجل حالس في
الحوش بالفعل ولا مفر من تناوله العطور معيا».

بوحت امى بكفيها في ياس، قالت في شفقة

«ربى اقطعنى، والله يا ولدى ما اهتكم في داري الا على
«م» وبص ان شئت ملات لكما الطاسة بيضا في السمن مع
هنة قديمة ولغت وفجل وجرجيره».

امسكت بطوق جلباسي استعدد بشقه من فرط الشعور بالعار
«و اما على وشك البكاه»

«بص ولغت» لرجل يؤكلى حمام «و اما اعمره على بص
ولغت» يالهيوان»

قالت امى بكل بساطة

«كل واحد على قد حاله يا ولدى».

شددت طوقى حتى ترقق بالفعل مقدار عقنة امصع، وهبت
مصبحة مكتومة من الغل:

«اليوم سوق» وكل شحاد يطبخ اسوم لحما «وانا اقدم لضييفي
«م» مقليا ولقتا «اين اضع وجهي يام»؟»

بحيرت امى، وفي تسليم بالهزيمة تحت عقدة مديبلها المحلاوى
«سدى» عن اثني عشر قرشا خلعت بالجمعة الشريفة انها لا
«م» من حطام الدنيا سواها كانت تدخرها لأمى ذي خطر لفت
«م» وش منها وجريت متشهما افساسى، معى ثم رطل من اللحم
«م» به عليه قصص وعدل يمتت نحو السوق فلم اجد سوى

بقايا عظام وفصلات وفروشات الباعة عدت كساف الدال يا حان
لعت على دور الشارع دارا دارا أسأل صاحبة كل دار «عنديش
حمام يا حاله؟»

«لا والنبي يا بنى» .

عدت إلى الدار أجزر ساقى جلست بجوار ضيفى كائن فى
محبرة أتلقى العزاء، وتارة يخيلى لى أن جنباسى مثقوب من فوق
مؤخرتى بالضبط، وتارة يتحيل لى أمى قد تبولت على نفسى
فجأة، وتارة ثالثة أتخيل أن ضيفى قد رأى كل شيء وأحس بكل
شيء الأرض راحت ترتلع أمام عيبنى وتصفص يا بوى، وثلف،
فرايت من مكائى فى الحوش بسوان الدار وقد انتهين من المندرة
ووجه المساند وتجهيز الطنالى وطشوت العسيل والأباريق
النحاسية والفوط جوارها وصواسى القل، والشمس صرقت لونها
الاصفر وليست الأحمر المشتعل وهامى دى قد بدأت تتقحم وتذبل
جمرتها المنقذة، وأخذ ضيفى يسمم ويحوقل فى انتظار صلاة
المغرب، خلاص يعنى؟ ساقع فى هذه الوحلة يارب! تخيلت
معسى ساهبها ضيفى داخلها به المندرة على الرجال والحيرة
تفرقنى تلحمنى لا أعرف من شدة الحرج على أى طليعة أعود
لنتظلل عليها معا متجاهلين طليعتى " هكادت الدموع نهر من
عينى، وسمعت صوت انشطاشة متيقنت أن أمى قد سيحت
السمن وطقشت البيض وقلته فيه شيء إلهى ذكرنى بابية حالتى
«ميمسة» وهى امرأة تحببى وتعزنى كثيرا لأننى أحمل شهنا من

أمنى المرحومة، وهى متزوجة من قلى انلد وكما رأتى عرمتى
على الإفطار وهددتى بالغضب إن لم ألب دعوتها وكنت - ثوبنا
من إحاحها - قد خلعت لها لأحصر ذات لحظة خالبا الافطار
بمفسى .

«له وكيل» ما أن تذكرتها حتى رأيت ابنتها الصبية مقبلة علينا
«سبع وربة الباب بردمها وتدخل صائحة «سأخبر يا خالتي» .
«ههههه مسرعا إليها كانت تحمل على رأسها سلة كبيرة من
الدوس ممطاة بشاش، ميلت بحوى قائلة «أمى تسلم عليك وتقول
ك ما دمت لا تريد أن تحي لتفطر معنا قافطارك يجيء لحد
عندنا وتركت السلة فى يدى واصبرفت قلت «يا ما انت كريم
يارب» . ونحتت أجزى إلى أمى . رفعت الشاش فرأيت حلة كبيرة
متحتنها وجدت فصلة خيرك لحوما وطيورا وأرزا فاحدت السعن
المدحج من يد أمى ودلفته فوق الشورى وقلت لها «جهري
الصبيبة يالأم» . وعدت إلى الحرش وقد أحسست أن قامتى قد
اعدلت يا خال، وجرت الدماء فى لحمى انشاقب، وقلت لضيفى
«ل نقة» «تفضل معى إلى المندرة» . ومشينا فى الدهليز المستطيل
بهو المندرة أكاد أقول يارض أشقدى ما فوقك قدى

فى تلك الليلة ظلمت ساهرا حتى شروق الشمس يا خال، غير
أه، أشرقت على فى الطريق وأنا متوجهة إلى مصر بدون نقود
أذكره وبدون أى شيء . وكنت واثقا بأنه يا خال أننى سوف
أصل بسلامة الله كيف لا أدري

الجهات أربع الأولته في الليل البهيم

بمريط السكة الحديد يحترق بلدتنا يفصل الغرب عن الشرق
العرب في بلادنا أهوى من الشرق، لكن الشرق أعنى من الغرب
أسبب أن أهل الشرق مجاورون للدين مباشرة، يررعون الأرض
أكثر من زرعها، وهي أجود أرض في الناحية كلها، هلمنا، مافور،
ساحل سليم، المطيعة، أبو نيج، النحيلة، شؤ ضب، أولاد إبياس،
البرد، المعصرة، العصارة، اندارى، كوم المعري تحت الجبس
الشرقي، وغيرها يابوي أرض يحلف الرزع بحياتها، وأهدهم كلهم
مبسوطون وعاب الله الـ الدور والناقي على أهل العرب مثل
صدعة، ادوينكا، الراوية، المسعودي، الزرائي، المشايعة، الدوير،
نوم سفحت، أبو حجر، كوم سعيد، الوعاصل سلامون، اشداينة،
الحج، الريانية البيرية، العامري، المزايذة، العديم، دير الحبدلة،
شروس، مبي فيزة القطنة ملاد كلها يكثر فيها الفقر كلما كثر
عدد الرجال وما أشد ما يكثر يوما بعد يوم، فكل يصنع سموات

تمتلكه البلاد برجال جدد، بلا عمل ولا أملاك ولا أى شيء، فمن أين تأكل يا بوى؟

أراضى الشرق وملاكها يستخدمون النعص بستراب اغلوس أنصارا وتعلمية وخفراء ودرراينية، وباقى الرحان يعيشون على الحطف والنهب والسرقة والاعتصاب شيء فظيع يا حال، لم يقد بلادنا كلها من جحافل الصميد الراحنة سوى بدء السفر إلى البلاد العربية، حيث هاجر إلى السعودية والكويت والامارات وليبيا والعراق أعداد لا حصر لها من المتعطلين الذين يشيرون لىالى الصميد ويهرونها كانوا يثيرون الرعب المتواضع في عر الطهر الأحمر لكنهم - صدقنى - كانوا يؤسسون وحشة الليل. آلاف المتعطلين الجرمير تقذف بهم النطون الخصنة والدماء الساخنة في الصميد؛ بلادنا تحب سيدنا محمد وتربده يتهاوى بهم يوم القيامة بحق! وإن شاء الله يوم تقوم القيامة الحقيقية ياخال فسوف تكون في مصر! فمعد طفولتى وأنا متأكد أن الناس ستأكل بعضها بعضا في يوم قريب صار على الأبواب! مثلما حدث ذات يوم في بلدة «بنى قيز»، حيث تقاثل رجالها حتى أموا بعضهم فناء تاما» .

يبدأ موسم الخطف حينما تكبر الذرة في الغيطان. كل واحد يحطف له خلفة واحدة كبيرة يعيش عليها مائة العام إلى أن يدير لحطفة جديدة تجيء له جواسيسه من اشرق قائمة له أن ملا

١٠٠ إلى من دوى الأملاك سوف يخرج في الساعة العلانية في يوم العلانى متوجها إلى مكان العلانى لا يقع تحت طائلة العلف إلا الناس المهموم التحاين، الذين يجرو من ورائهم هدير مضمون يكون الرجل ماشيا في حاله تحت جبح الطلام أو امفسر لا يهم هونا بالأشباح تخرج له من بين عياد الذرة مضممة عليه ممسكة به تحت وأبل من الرشاشات الهوائية المرمية أن كان في حراسة أحد فإن مصيره معلق بفاد الذخيرة من أحد المرفير وإن كان وحده فانه سيسم نفسه حتى لو أصاب مضممة يتكلمون به على الله إلى محبا بعيد يرسل الحافظ واحد من طرفه يسع عائلة المحطوف بشكل مفعوف، كان يكون المرسل ناتما سريحا مثلا ويقول أمام رط من انقوم أنه سمع وكذا في السدة العلانية أهل المحطوف ما أن يسموا الهجر دوى ينكتموه ويكفون عرقه مجورا وإذا ما سألهم أحدهم عن دلوهم فبهم يرعمون أنه مسافر في مشوار وسوف يعود، أهم بالصع لا يجرمون على تبليغ البوليس، لأن الحافظ بمجرد ما يلمح حواسيسه أو احمر وهصل إلى الحكومة يكون عليه الهوص في المحطوف، سوف تحتمى جثته في مكان لا يعرفه أحد دوى هنا فأول شيء يفعله أهل المحطوف أن يبدوا في البحث عن معرف الحافظ لكي يتدهم مسمه كل محطوف على قدر سمواه تقدر ديتة مطلوب انف، ألفان، ثلاثة عشرة يأخذها ١٠٠ انف حتى يطلق سراح المحطوف، في لحظة يختارها الحافظ،

بداً أهل المحطوف يحطوفهم ويدخل عليهم الدار ذات لحظة، وإن
سألوه هل يستطيع أن يصف لهم أي شيء عن المكان الذي حوى
فيه ولا وجه أي أحد، لأنه من لحظة احتطافه تلحظة الإفراج عنه
يظل معصوب العينين مكتوب اليدين يدخل له بالطعام ولشرب
أطفال صغار محمولون في أمانك مجهولة، وقد يحدث لاتفاق
على الإفراج في بلدة غير التي تم الخطف فيها، وقد يتم الإفراج
في بلدة أخرى بعيدة في ساعة دامسة السلام.

مثل كل الأمهات في بلدنا كانت أمي تحفرني دائماً بمشي مع
هؤلاء الولد، تقول لي:

«قم فامض معهم عشواراً أو مشواريس بدلا من قعدتك هذه
يكرمك الله بالمشاء»

ولم أكن جربت المشي معهم من قبل بحال وكنت أمشي
فانصداً للوحة أركب منها القطار إلى مصر ولم يكن معي بقود
أركب بها لكن عشمي في الله كان كثيراً، أن أحشر في الرحم،
ففي الرحم تتحرك يدي بكل حرية والناس ملهية هي كتمة
الرحمة دخلت محطة الطعام، انحسرت بين الواقفين أمام شباك
التذاكر كأن معي من التذكرة لحت رحلا عفاً بمسك بيده حبيبها
كاملاً، يدفع الناس بقوة لطيفة يزيجهم من أمامه يتقدم نحو شباك
التذاكر يكاد يلامسه التصقت به مباشرة يابوي كأنني بقمته، ما
كاد يصير أمام فتحة الشباك حتى نادده ولد عمه من بعيد، وكانت

راعه لحطتها قد تسربت بالفعل من فتحة الشباك رامية ورقة
أجسه على الرحمة في حين استدار هو ليتكلم مع ولد عمه الذي
راج باحد ويعطى معه في الكلام لحطتها كنت قد صمرت أمام
الشباك مباشرة ورأسي انصغيرة تطن على موطئ التذاكر من
«لال الفتحة، الذي نظرتي وللجنينة المرمى أمامه قاتلاً «فقي»
«بسرعة» مسيوطة، فقطع التذكرة وحاء بقية الجنينة أراحها
«أمي» فأحدثها ورقت من بين الألفاد والأرجن وانطلقت أجرى
«الرجل» وكان الرجاء قد لفظ صاحب الحصة عاصر بحاول
«دحول» فيه من جديد والوصول إلى الشباك ثابتة، فيصا يصيح
«عرا» «ثلاثه سيوط يابيه وبقية الجنينة» ثلاثه سيوط يابيه وبقية
«جنينة» قلت لبفسى فرجت ياولد، وفتحت رجلى في أمشي
مندهرجاً نحو سفح الطريق.

الثانية - الوقوع فى عرين النار

عصبا عسى وجدتني بهداء الجبل. كنت حرمنا عاشتريت ورقة
دحر وتشوقت لكوبة شاي، فقلت لرجل الذي ماعنى الدحان «ألا
«ستطيع المرء أن يشرب كوبة شاي فى هذا الطريق الفقراء» فبحر
فى عوبى مياشرة وراح يتفحصهما، ثم قال بهدوء العاهر
«ستطيع» طالما فى الطريق ناس فى-أنت لابد أن تحد فيه
«متحاجه» قلت «ربما دائما يوقف لنا أولاد الحلال» قال
«تفضل! لف والدخل»..

وكنت أظن أن العشة المربعة اننى يجلس فيها على الطريق
وبيع السكر والشاي والدحان وابر الوابور والخيط والحلوى هى
مجرد هذا المربع الصغير، فلما لففت فى الاتجاه الذى أشار لى
«لنه وجدتني فى دار أخرى يابوى، بل وجدتني فى مملكة مثلت
كثير من الارض فى منحدر حاد، مسور بالحديد والسلك أرحمه
أأخذ فى العلو كلما اقتربت منها فيما دخلتها حين لى أسى أدخل
بحث الطريق فى سرداب متصل بالجبل الشرقى يمر من تحته
مسافة طويلة لابد أنه يكون من شق الفراعين أنفسهم ولا أحد
سواهم يهوى فى قلب المسحور هكذا ثم فوجئت بأسى فى معارة

محفورة في جذر الجبل على شكل فسقية مهولة تصلح أن تكون سامرا تحت الارض وتصلح أن تكون مدفنا للقوم كلهم عشرات الرجال والنساء رأيتهم يجلسون جماعات أو اثنين يشربون الشاي والقهوة والقرفة المطرية ويدخنون الحشيش على الجورة، وثمة من يقوم بخدمة هؤلاء جميعا من ولدان متحركين نشطين ما هذا المولد يابوي؟ الرجل انصب طر بي حيرا، لابد أن منظرى حدهه فتصور أبى أريد ما يريده هؤلاء أين أنا من هؤلاء يابوي؟

استقرت صخرة مربعة جلست فوقها، رحت أتأمل في هذا الحلق الذي لم أكن رأيته من قبل أبدا يابوي ولم أكن أعرف أنه موجود في هذا المكان جاءني أحد الودان سالخبر يابوي انهم مساء النور أهلا وسهلا تشرب ايه؟ قلت كوب شاي من فضلك واحسانك ما مرت دقيقة إلا وجاءني الصبيبة عليها يرد خدج لتوه من صهد الرمل تفوح منه رائحة شاي طازج ومعه كوية مع قطع من السكر وصحت انقطع في الكوية وصرت أدلق من البربور في الكوية فوق السكر وأعود فادلق في البراد وأكرر حتى صار الشاي مريوبا مرغيا وآخر جلالة، صرت أشرب وأدخن ونفسي مفتوحة لنفسين من الحشيش الذي بدأ يدخن في نخاشيشي ويملها شفقة شاي والشايبة ورأيت خلا يقف على دماعي ويصيح «حسن ولد أبو ضب» فزعت فأنظرا إليه، قلت «خدامك أهلا وسهلا ياأششمائة مرصاء» جلس بجواري. منظره جدع محترم، يلبس الكشميرة والصديري الشاهي، من الواضح أن جيبه منتفخ بالمسدس وخزينة الذخيرة والمحفظة، عمامة كبيرة

بشان خالص البياض حول طاقية بيضاء، جدين عريض مبيض وجههم، شارب مستنفر على الدوام باصبعين يحركهما فوق شفثيه الرقيعتين باستمرار قلت.

- «من الكريم؟»

قلت

- «تهت عنى يا حسن ياولد أبى صب»

قلت

- «العتب على الطرا لا تؤاخذني»

- «مصبوبك زمانتي»

صحت فيه مقاطعا

- «ولد مخيمر أبو فاهيه»

تبسم قائلا:

- «براه عليك»

قلت

- «أهاويد بلى فيز»

قلت

- «الله ينور عليك.. كيف حال الجماعة؟»

قلت كأننى الماكنية

- «خخير»

ثم ذكرت أن الجماعة الذين يقصدهم هم أولاد عمي الكبير، إذ أن «ذئاتي» هذا ولد عم زوجة عمي لزم، صليت كوية شاي قدمتها له «تصل الشاي» فأمسك الكوية بيد كبيرة تلمع في أصابعها الخواتم الذهبية وقال: «تشكر يا أبو العم»، ثم شطف وهر يده الكبيرة باسماء فيما يقول.

«لكن كيف وصلت إلى هذا المكان يا أبو العم؟» أنت ابن لشقي حطير»

رفعت كفي مشهدا الله صائحا

«مظلوم والله، إما حدث لأشرب كوية شاي وهذه أول مرة أخطو هذه العتبة! صدقني يا أبو العم».

قال ضاحكا

«طبعاً طبعاً والا كنا رايبان وعرفناك!!» فعميت أنه من أعيان هذه القعدة، وأخرجت علبه دخاني وقدمتها له قائلاً: «لف لك واحدة»، متناولها، ولاحظ أن شيئاً كان لصميصها قد وقع منها على الأرض بجواره فقال وأخذه، فإذا هو تذكرة القطار. نظر فيها وقدمها لي مثلاً

«كنت مسافراً سيوط ولا أياه يا أبو العم».

حقق والله قلبي ياخال، قلت بلججة

«م بحسن بصيب يا أبو العم قطعتم التذكرة وجريت لك اقطار كس اسرع مني وما نابسي إلا أن اسطرشت في الأرض» جعلت ألا أسافر اليوم».

قال مشوها بيده في بساطة

«ووك عمي عمل مصينة اليوم من أجل تذكرة كهده». كان روح فيها قتيل لولا أن ربنا سلم! زلطة حشنة انصشرت في حلقى يابوي، وأنا أحاول أن اندهش قائلاً في استنكر

«اليوم اليوم»

قنا

«منذ دقيقتي» جاءنا الحبر أنه يتشارك في المحطة جنباً بحري لم يجده لكننا وجدنا جثة وهو أفندي موظف التدبير بالسكة الحديد ممددة على رصيف المحطة مشحوجة الرأس متورمة الوجه ثثن تتأوه بين الحياة والموت وبعض رجال حرين من رملاته منهم من تهشمت أضلاعه ومن تكسرت أسنانه ومن جدد أنفه ومن انفتح حاجبه سألنا ما الأمر يا ناس؟ فابوا أن ولد عمي أعطى جنبها لوهيه أفندي وطلب ثلاث تذاكر لاسيوط ويزعم وهو أفندي أنه لم يعطه شيئاً كلمة من هنا وكلمة من هنا، حاج ولد عمي واشتغل ضريباً في الجميع ويط هارب نحو الجبل. فطننت أنه ربما يكون قد جاء إلى هنا فجئت أسأل عنه»

عاص قلبي في ضلوعي ياخال، صعر وتلاشت دقته فت في صوت مرثعب في ولوله

«يه.. يه.. يه.. لا حول الله.. له في خلقه شئون»..

وهبرت أنصيد عين محدثي باحثاً عن شيء فيها يكون قد وشى
بى، فلما رأيته يستعفر معى فى واد بعيد عنى وجدتني أقول
- «أمن المؤكد أنه قد يجىء إلى هنا الآن» أم تراه يهرب فى
مكان بعيداً؟»

قال ناظراً إلى مكانه يستعطنى ولكن بطلب:

- «لا مكان للهرب سوى هنا يا أبو العم»...

قلت برعدة خفيفة:

- «نحن إذن فى قلب الجبل الآن»

قال كرجل يعلم ابنه خطوط الطريق:

.. «نحن الآن فى سفلى الجبل هذا هو المكان الوحيد الذى
يعيش فيه المطاريذ حياتهم الطبيعية بعيداً عن الأعداء! هذا المكان
الذى يشبه الفلسفة سراديبها هو الخلاء الذى يعيش فيه المطاريذ
بحريتهم هو مكان اللقاء انضمسون بين المطاريذ وحريمهم
وعشيقاتهم ومصادر نحلهم وتوحيهم أصحابه المطاريذ أنفسهم
وكل الولاد المشتغلين ها هنا من أبناء المطاريذ ولدوا هنا وربما
ألقت بذرهم ها هنا أيضاً ذات فجر بعيد» وليس لقرىب أن
يقتحم حصار هذا المكان مهما كانت قوته ودباباته وطائراته، لأن
المكان له عشرات السرايب السرية لا يعرفها إلا عدد محدود من
عتاة المطاريذ المعتقن فى الجبل، وليس كل من يعرفها يستطيع أن
يجرؤ على السير فيها وحده لأن بعضهما يشبه بطون ثعابين

حرامية متعرجة لا نهاية لها! بعضها موصل إلى خلاء بين سعوح
وبعضها موصل إلى عبق زجاجة مسدودة حيث لا سبيل لتقدم
أو للقهقري! وأما إدارة المكان فيستولاها عشرة من عتاة المطاريذ
يصرفون عل موتها ويتقاسمون علها، يرأسهم عن حدارة ذلك
الرجل صاحب كشك البيع الذى ذلك على هذا المكان! لقد أرسلك
وهو وثائق أنك صيد ثمين لاتباعه الحالسين ها هنا! فكل من
يجلس أمامك وجواليك الآن هم من عتاة المطاريذ رجالاً ونساء!
هذه الحورية الملقوفة فى حلاب أسود وطرحه سوداء أكبر مهربة
محدرات فى الصعيد الجوانى وهاربة من أحكام تصل إلى قرابة
مئة عام! وهى تعيش حياتها ها هنا على أكمل وجه وتدير
أعمالها وبيع أراضيها على أنم ها يكون لا يقصها من متع
الديا أى شيء! وبعد قليل سوف تصرف من هنا إلى عشة
محمولة بين سفوح الجبل اشرقى تفوق سرىات الحكام فيها
مراتب والحة ووسائد وأسرة ودوليب وآرائك وألباق وحل
ونار ولحوم دواب! وهؤلاء هم من رجالها أما روحها معصو
فى اسرمان يرورها كلب أكلة ايره! وكس من يجلس ها هنا بينه
وبين الحكومة شارات لانتهم! حتى أبا نفسى كما نللك تعرف
بى بين المطاريذ مكانة سوف تلمسها، لقد هربت من انسجن ثلاث
مرات ثلاث جرائم قتل وهى كل هروب قتلت جارسا! أمك والله
دعية لك! لعل كرم أعممت انقهاء هو الذى ألقي بى فى طريق
مثل أن يكتشف أمرك ها هنا فيجردوك من كل شيء ويجكموا
عليك بالانسجن فى الجبل هذى احياء يسجرونك لخدمتهم تحت

جراستهم فإن ثمرت قتلوك أو توهوك في الجبل شريدا لا تعرف
لك رأسا من دب حتى تاكلته الوحوش والطيور والجارحة
والحشرات السامة أو يلتف حورك ثعالب من ثعابين الجبل
اتوحشة .

الثالثة - المطاولة

بهمس «زناتى» فاستقبل ولد عمه العملاق. أما أنا فلم أمو على
الدهوش يا حال..

تحشيت مفاصلى، صرت أرتعش كأسى فى مهب ريح عاتية
باحار، أتوقع أن يهجم على يبرمى كما يبرم المرء لقمة من رعيه
ويجشثنى فى حنكه يفرمى بأسنانه على أمه جلس بجوارنا
وحمل يظفر فى وجهى متفرسا كالتوجس، ووجدتى أقول له

«هدى أعصابك ياخوى الدنيا لم يعد فيها دمة ولا
صمير»

فشوح فى غضب صامت كأنه يقول: «دعا من هذا الأمر ومال
على ولد عمه، فصرفه ولد عمه منى، فظفر لى من تحت جبينه
مفتصا ابتسامة مرهقة وقال: أهلا وسهلا بك»، فقلت بحماس
شديد «يا ثلثعانة صرعباء» وهزئت يدي جوار رأسى ونحو
صدرى عدة مرات فى أمثال شديدة.

نظر «زناتى» إلى أحد الولدان بطرف عييه، فلم تمص دقيقة
حتى جاء بالجويرة والحجارة (مخصوصة بالحداد المعسر أخرج

أعطى عفتك يا بوى، فن عفتى قد ذهب لا أدري كم لبثت من
زمن عاثبا عن الوحود يحملنى صوت «زناتى» يشيلنى ويجطى
ويعثرنى فى شعاب الجبل تدوسى أقدام ثقيلة تلعننى خسوس
بعد تريق أيب لك «زناتى» حين لكزنى فى كتفى بعنبة دهانه
المعدية الثمينة شهقت كأسى سترددت نفسى وعدت روحا فى
جسد ضحك «زناتى» وعمرى دليلة أذناى أن ألف لنفسى
سيحارة، وكان يضحك «انلا فى سفريه

«هم يضحك وهم يبكى»، واحد يقتل من أجل تذكرة قطار..
وواحد يرمى بنفس التذكرة نحن نجمع همونا ثمنا لتذكرة كهده قد
لا توصلنا إلى أى جهة على الإنسان أن يمضى فى هذه الحياة
بغير تذكرة! لا فى القطار ولا فى الهباب! حين يريقك اسحق ادفع
وتخلص من البرقة والسلام! ما بال الواحد ما يصيب وقته من
قطع تذكرة! المهم أن تلحق بالقطار يالو العم! وما تنفع التذكرة
من فانه القطار»

وحده برصاص شائ جديد لم نطبه أحدث ألفت حوالى كأسى
أحشى مقدم الموت وحقق بطق «نل» من حاف من الدثب يطبع له،
فأذا بالعملاق الذى سرقت جنيته يدخل علينا كالبول.

زناتي من جيبه قطعة خشيش وراح يوقع منها بإيهامه فوق
الحجارة، والولد يسقيها، ما هذه الأبهة يا ولد؟ وما هذه الحلاوة
وهذا البروقان؟ هكذا رحت أسأل نفسي وأردد مستعبراً صحيح
والله قوله تعالى «وقى السماء رزقكم وماتوعدون» ولقد والله
تخفت أنى صرت ملكاً يحلّس على مخرة العرش مال دناتى
على ولد عمه وقال مشيراً إلى

«مكتوب له لقمة عيش فى مشوار»

حفت وانسطت فى نفس الوقت. وقدر ولد عمه

«كل شىء نصيب».

فقال «زناتى»..

«لقد ساقه الله إليها ما عليك إلا أن تتفرغ لقطع الطرق إلى
البلد»..

جاء الولد بحجارة حديدة ومار وجورة حديدة فكف «زناتى»
عن الكلام وأخذ يرمي الخشيش، وأحداً نشرب فى صمت،
ومضى سارح فى حجر هذا الكلام الذى سمعته الآن من «زناتى»
فلما انصرف الولد ليغير ماء الحورة والحجارة ويحدد النار ما
«زناتى» نهوى وقال

«فيك من يكتم السر»..

قلت

«مى»

قال: «أعرف أنك رجل ولد رجل».

قلت «تشكر» من أصلك».

قال: «أوراهك شغل من هنا لحد الغد»

قلت: «من هنا ليوم القيامة»..

قال: «حلو»، ثم تهل برهة وأصاف

«مشواريا فى بلدة أبو حجر نريد أن نحطب قسيسا

» حـا هو تقريبا اعنى قسيس فى البلدة»

فبت

«البلدة كلها قسس».. وكلهم أغنياء»..

قال

«القسيس بنيامين أغنى أغنيائها»..

صحت قائلاً

«بنيا».. وى.. يى.. يه يه يه.. أما وجدتم غير بنيامين

حطوسه يابو العم؟ انه حوط حدا يا أبو العم لا يخرج من

البلدة أبداً ليلاً أو نهار راداً مرض فالتطير يحيى لحد

سـه»

قال زناتى: ولكنه يخرج ويتحرك داخل البلدة،

قلت وقد هالنى والله قوله:

- «كيف يا أبو العم تحفظونه من شوارع بلدته» أن البلدة كلها من الأقطاف فردا فردا يسب فيها مسمم واحد حتى مواشيهم وكلابهم ودوابهم هي الأخرى تدين بدينهم وتحمل شكلهم وطيبتهم!! صحيح أنها بلدة تعيش بمعزولتها وسط دائرة كلها من المسلمين ولكن ما تنسى يا أبو العم أنهم أقطاف أقوياء عدهم سلاح كبير وذخيرة كثيرة وكهن أكثر ولؤم شنيع»
ابتسم «بناتي» وقال:

- «عذا أسب يوم لتفيد حطتنا هرجل البدة كلهم يسرحون إلى العيطان بجمع القطن ولن يبق في البلدة طول النهار سوى الحريم والعجائز تخيفهم بضخ طلاقات»

ميلت رأسي على خدي ورحت أفكر في كلام «بناتي»، ولم أكن وصلت إلى شاطئه أستقر عليه بعد حين عاجلي.

.. ومعها بإذن الله يا حسن؟..

حفت حدة التردد، وأيقنت أنه قد يقتلني إذا استهبت من الموافقة، فقلت

.. «الله معنا جميعا بإذن الله»..

ولقد شعشع والله الحشيش في دماعي وصور لي أن «ملعة» كهذه تجيء لاند تملع كبير محترم دخل فوق النساء مساء حديد، وفوق لسهرة سهرة الملح وأعرق حيث أمتد أماما خبير بعيم

شتر من مأكّل ومشرب وتفكير في لحظة المرسومة مروت ومرات ومرات بعدد فيها وبعدل التعديل ثم يعود فتلقي التعديل من أسسه ثم يعود فيعتمد بعد تعدين بسيط كذا سبعة رجال أشان بالدمع الرشاشه على مدح البلدة، أش في اشارع العمومي بمدافع الرشاشه أيضا، ثلاث بمدافع الرشاشه يهجمون على در القسيس «سيامين» الفلاح، مهتهم انزاعه منها بالحيلة أو بصعط السلاح إذا اضطروهم!!

القسيس «ديامين» الفلاح عجور ركي قصره محاط بحديقة ذات سور مبني تحتوى على حطيرة كبيرة للمواشي والدواب، وهو يخرج من القصر ليتمشى في الحديقة الواسعة يعنى يشئون مواشيه يقلم الأشجار يروي الررع و لورد، لا يقترب من باب سور الحديقة إلا ليفتح الباب لأحد من خدمه أو فلاحيه، ولا يفتح الباب إلا بعد أن ينظر من خرم دقيق في حديد الباب السميك ويطمئن إلى أن الحارة كلها أمامه حدية لا من الطارق الذي يعرفه، ولي يفتح إلا إذا عرف من تصدق مروره بأحدرة لحدة الطرق وقد لا يفتح إلا بعد أن تفرغ أسارة تمام الا من الطارق ثم أنه لا يخرج من الباب إلا محفورا بحراسة أشد من حراسة لعمدة، أما الدين يعملون في مهنته فكلهم من القرين يسبه حدة ومن تربوا على يديه وأمنوا بأهل القائل من يأكل من حصر اليهودي يصرب بسيفه، وبعض هؤلاء يحسن في حبه سحرة من مفتاح باب سور الحديقة المطل على الحارة

ذلك ما كنت أعرفه عن القس «بنيامين» وسمعت من زناتي،
ورجاله ما عرفني به أكثر ألهمني انه بفكرة طيبة يا حال، قلتها له
«زناتي».

«سمعت من ناس كثيرين في بلدة أبو حجر أن امرأة حفير
القيس تدخل الحظيرة صديحة كل يوم لتحلب الماشية وتفتح
باب سور الحديقة بمفتاح تحتفظ به مربوط في صغيرة شعره
فعلى أحد منكم أن يتصيد امرأة الحفير هذه وهي خارجة من
داره في الصباح فيكتبتها ويحكم فيها ويأخذ منها المفتاح ويحفيها
هي في مكان بعيد»..»

وهضمت ساعدا منهم لأرى وقع الفكرة على وجوههم فدا
بني أرى أعصاب واستبصارا معا نظرة واحدة، وابشمت «زناتي»
وقال

«فكرتك حلوة يا أبو العم ولكن فيها معيلة عدم المؤاهدة»
المرء لا يبدأ العملية بمصرب من أولها والا حلب على نفسه انحر
وباظت عمليته بدد يا أبو العم لا تزيد الطغ واصل معن
لا تطع إلا عند الاستعساء أما يا أبو العم دعنا نحلي فكرتك هذه
فترسل المداهمة من هنا لزوجة الخفير!!»..»

وقف شعر رأسي، قلت

«النداهة!! الأجنبية!!»..»

وال مداهمة وثقة

«نعم.. المداهمة التي يخيفوك بها»..»

علت بمسألة

«أعندكم ها هنا نداهة؟»

قال مشوفا نحو الفراغ الممتد في سقف الجبل

«عندنا كل عاريت الأرض»..»

عندت في قعدتي قنلا

«عال! عال! منصوره بإذن الله»

واعتدل «زناتي» هو الآخر وقال

«المداهمة تذهب بعد دقائق إلى دار الحفير وتنادي على زوجته

سمها تدخلها وتحدوها وتسرق المفتاح من صغيرة شعرها

تضعها بعض أماكن عربية ويعود بها إلى دارها فتلقى نائمة حتى

حصر تكون قد استهنتا من شغلها»..»

استحسن الجميع الفكرة، ووصل زناتي موحها الكلام إلى أنا

«وحيي لك ثوب كتوبها تلسمه وتدخل الحظيرة كادك

هي تبدأ فتحلب الماشية وحين يصي القسيس ميامين ليتم

على الحليب تمسك به وتكتفه وتسلمه للثلاثة الو قعين مالاب يدا

بيد

تلمل ولد العم ونطق بعد صمت طويل لكن في ضجر:

- «صدام المفتاح يصير في يدي ما الداعي لمسألة أن يدخل الحظيرة ويحب المواشي؟! فلندخل عليه ونمسك به من قلب فراشه ونتكل على الله!!» لكره «ذباتي» في جسده بقوة، وقال

- «مجاين نحن! درمي بأجساد في معدج الذئب! من أدرانا؟ انه لابد مستعد لأن يعلق علينا ادياب فناكل للعلقة المودية إلى الموت! الأصبل يابو العم أن يغص حسن ماقلائه بالحرف الواحد!..»

ومن فوره قام، استقمسى لى ثوبا دسائي أسود وشالا أسود، وفي الحال ذهبت «النداهة» إلى ماكية انقس «بنيامين» التي يسهر خفيهره عليها طول الليل، فأعترته بنفسها حتى اندلق على صدرها، فخذرت وتربكته سطيحة تحت تعريشة تبعه عن الماكينة بمسافة هائلة ثم ذهبت «النداهة» لدار الحفير فبادت على امراته وأخبرتها أن زوجها يطلبها الآن لأمر ضروري يتعلق بخير جاءهما يريدان أن تحمله معه إلى الدار فخرجت معها الولية قبلا، فصارت تسليها بالكلام وتشممها المخدر حتى وصلت إلى ماكية المياه جثة تتطوح في الهواء، نيمتها «النداهة» بمرار الماكينة ومكت المفتاح من ضفيرة شعرها وعادت به إلى «ذباتي» والشمس لم تطلع بعد

الرابعة - المحاولة

انطلقت أجرى بالمفتاح ومن خلفي - على مبعدة قليلة - الثلاثة المدججون بالسلاح، الذين سيقتمون الدار لذي صيحتي وصلت إلى دار القسيس «بنيامين»، فتحت الباب، تسلمت إلى الصطيرة، ولش ما كدت أقترب من المواشي لأحلبها حتى هجرت منى وبغرت وصارت تكسكس كلما لمستها وتزاح بها وهناك وتلعط بالهيس، وكنت أعرف أن هذا سوف يحدث لأن المواشي تشم رائحة من يعتاد حلبها ولا تحن إلا إليه، إلا إذا كان الآخر حريفا، فكسى لم أكن أتصور أن هذه الحركة البسيطة سوف تلفت نظر «بنيامين»، إذ أننى رأيت خياله يقترب من باب الحظيرة قبل أن المس الماشية بيدي، ثم أدا به يتوقف في الحال عندما سمع هسب الماشية المعبر عن عدم ترحيبها بى مما أكد له «بنيامين» أن شخصا غريبا قد اقتحم الحظيرة، ورأيت خيال يده وهو ينكسر ممتدا في جيبه وخيال كتلة «السندس» تعبر فوق الارض مسرعة لتستقر بجوار قدمه، هانكشتت على نفسى تحت أقدام الماشية أخذا وضع الاستعداد لآى شيء رأيت دماغ «بنيامين» يعيل عن

المحتجب ويظهر داخل الحظيرة ملتصقا، وقعت عليه في عبي
 مباشرة فاصابه ابلع واستدار على الفور يجرى، اندفعت أجرى
 وراء محاولا اللحاق به كان أسرع مني يا حيا مدخل القصر
 وأعقب الباب وراءه، وإذا بسى يخفى من الخف يشى على قس
 الباب بطلقتين أصابت احدهما القسيس مصرح في حين تهتك
 مكان ابقس وانفثح الساب ورايا القسيس حريحا يجرى متقافرا
 على اسلم احشبي العريض ممسكا بموصع الجرح بيده وباليه
 الأخرى يستدير حطفا ليطلق تحافنا بعض الطلقات حتى نعدت
 دحيرته، وموحثا به يتسلل عبر شرفة السلم في الدور الثاني
 ليصتعى بدورابها، فماصره رصاصا داخل هذه الشرفة، وطلقات
 الرصاص ترد عنييا من جميع انحاء ابلة على سهيل التهديد
 وأراد القسيس أن يعبر الشرفة من الخارج إلى شرفة الصخرة
 المجاورة ولها هي الأخرى افريز من الحديد المشغول، قفز، كاد
 يهوى، أمسك بحديد الافريز وهما معلق في الهواء، فاندفعنا اليه
 وجدسناه من قدميه بقوة فهوى بين هديرنا، مطلقا بحرى به
 تحت وابل من الرصاص المتطاير من أماكن مجهولة وكانت
 الزكائب في انتظارنا على أول اشارع فاقبلنا مسرعة في اتجاه
 مكان مجهول من الجبل حيث اختفى «نيامي» وافقت على أننا قد
 عدنا نجلس في المعارة ضاحكين كأن شيئا لم يكن وفيه، عز الليل
 أعطاس «زنايتي» عشرة جيبيات بكاملها وقال لى «انكل على الله
 أنت. لا شأن لك بما حدث ولا بأي شيء آخر».

فعرقت أنه يأذن لى في الابصراف، همضيت حين أحسست أنه
 يريد أن يصرف إلى شأن من شئونه، لكثيرة وكنت فرحا عاية
 افرح، ليس بانجبيات «عشرة يابوى»، ولكن لعملية في حد ذاتها
 يا حيا وكنت أود اللقاء مع «زنايتي» في هذه الملكة الساحرة،
 ولكنى مع ذلك سمعت صوتا بداخل يقرن لى أننى لاند من
 سقرى إلى مصر قبل صياح هذه الفرصة واتخذت طريقى نحو
 محطة السكة الحديد.

في عين العدو خمسة الأوتة - صورتان ليستا على الحائط

عند منزلتان محطة الريبون سالت عن قهوة المعلم «دهروج
السنطوي» الشهير بطريف، فدلوسى عليها، فدا هي أشبه ما تكون
برمادة عرقانة في أرض حتى الحزام، ومدخلها من وراء سور
المحطة خبط لزق

يه يه أهذه هي قهوة طريف؟ يمين بالله أن عشة البقعة
الثامنة التي يببب فيها الحفير النطامي على مفارق الطرق لأحسن
منها، غير أنه الصبيت ولا الغنى

جعلت أهدط الدرج وقللى منقبض والله يابوي، كاسى أهدل
مسقية للدقى. وقد عصبت والله لناس محترمين كالعلم «فرهود
رمصان» ورجاله كيف يجدون هنا راحتهم مقالول غير الذي
أحبرنى عنه «شمدويلي»، يلعب في زكائب من المنكوت، كيف
يجعل من هذه المقبرة مقرا له، يلتقي فيه برحاله وأبناؤه ليقضهم
أجورهم ويوزع عليهم العمل؟ وأنا مالى يابوي؟ فليجلس حتى
على كوم السمّاح ما دامت المياه المنكوت تحرى في يمينه

وشماله هذا ملك نظمه سنده سبحانه وتعالى، فأنهم اكتب له
 لقعة عيش من يد المعلم «فرهود رمصانه» مثلما كتبت له تولد عسى
 وأهل بلدي، كل واحد قائلته قال لي عليك بالمعلم فرهود وكل
 عامل من بلدنا يقولون له اجري إلى معلم فرهود لا تعود
 حائدا قلت فلأجري أما الآخر انيه ولاند أني واحد شعلا لديه،
 انه هو يأخذ مقاولات كثيرة من الجيش المصري ومن الأهالي ومن
 كل الشركات والهيئات والوزارات، فاشغل عنده اذن لا يتوانى
 وكل طالب نوعا من الشغل يجده عنده.

بالصلاة على السي حير بادن له وفيها عيش، هكذا قلت
 لنفسى حينما لمست قدمي قطعة حبر مرمية على الأرض بحوار
 العنة مدت عليها فالتقطتها فقلت لها ثلاثا ملاعب بها جهتي في
 كل مرة ثم وصعتها في جيبى

المصبة كانت في مواجهة مسية ناعقشاني ورحامتها بطيعة
 لامة وكذلك الحوص وانصبور الحاس والأكواب اتر انكأت
 خلف المصبة لم يعبر أحد أما المقهى مستطيلة من الداخل تتسع
 مائتي شخص بالراحة، واسترايراث العتيقة بعوارصها الحشوية
 الكالحة، النطاقات الملتوية الاقدام المهيصة المعصية، الكراسي
 المصروعة من الحشب والقش متسادة من فرط التهاك على
 الحوائط وعلى بعضها البعض، كلها كلها متاثرة بها وهناك وليس
 من أحد يوحد الله اللهم الا قطة شقيانة كحيبة رقدت على كرسى
 فاردة جسمها عن آخره ومستغرقة في نوم عميق

رقص قلبي يا حال و تنفض بشدة، فقلنى دائما يرقص
 ويتنقص هذه الانتفاضة التي لا أعرف ر كانت قرحا أم حوفا،
 عندما أحدى فحاة في محل باس آخرين وليس معي أحد، اد
 يشرح دعائى في الحال في لستين على أثنى شيء موجود يمكن
 ان الهه بسرعة وأحتفى في الحال قبل أن يدركني أحد تطيرت
 مصاتى مصحقة في كل شيء بسرعة رجفانة، أحدث ابرعشة
 مشى في سافى كلعادة لم يكن ثمة من شيء ما هنا يستحق أن
 يسرق على كل حال سوى بعض الأكراب و بير ريجى، أما الحوائط
 فكانت عارية الا من يدهم الجير لكبح الحشب، وعلى لحائط
 الجلفى للصبة صورتان مما يباع مع المجلات بالالوان واحدة
 للرئيس ابو عبد لناصر والأخرى للمشير أبو عامر، الرئيس بغير
 نظرة باشقة مرعية لشخص مجهول لعله العدو الصهيونى
 البريطاني لدى يحكون عنه في الراديو والجزين، شاربه تحت
 افع المستطيل يتكلم بين شعفيه سرا شيعا أما المشير فإيه
 يتسم انسامة سهيلة ومن عيبه نظرة دلالة نائمة متسهلة
 ميينه بالود المشكوب فيه يا حال كأنها تدرب له أحمل من وراءه
 ظهري ما تشاء واسط نفسك كيف تدبر ما عارف ومتعاض
 لكن «دا استغفلتنى مصيبتك سودء خيل بي والله يا حال ان
 سعادة المشير يكذب بطق قائلا لي الهف ما تشاء واجر وان لم
 تجد امامك شيئا يستحق الهف فابحت فحت المصبة لعل وعسى،
 كدت أفعل والله يا حال لكن نظرة أبو عبد اناصر كانت تسمرس
 في مكانى وترعشنى وتكاد تنطق هي الاخرى قائلا لي اياك اياك

ومتاع الناس فاحترم نفسك وأبق مادمك تأكل عيشا معرق حديث
أو فاصرف محتشما بدلا من التهذيب وقلة القيمة

أما عتلى فقد قال يابوى يا ولد أنت قادم سمعت عن لقمة عيشك
فلماذا تفكر هذه الأفكار التي تصعب الله؟ اللهم أحرك يا شيطان
ثم صحت يا سيادنا يابلى هنا يا خلق يا ملايكه هادا بصوت يرد
فى جفاء وخشونة

«عايز إيه يا جدد أنت؟»

ارتعدت بأحال، لففت حول نفسي باحثا عن مكان الصوت فلم
أجد أحدا قلت لنفسي ليس من المعقول أن الملائكة هكذا تقول
شكل للبيع. وقلت مازها:

«أظهر وبان عليك الأمان».

عاد الصوت مرة أخرى يرن رنيناً عميقا

«عايز إيه وبلاش غلبة؟»

أثار النوم كانت عالقة بالصوت. جلست على أقرب كرسي
وقلت.

«عايز واحد شاى»

فإذا أما بمارد يتمطى متسللا من تحت النضبة يدعك فى عيبه
يتناهى بصوت كالعواء. سحب السفان الكبير من فوق الرماله،
عدل كروبا وضع فيه قليلا من السكر وصب فوقه الشاى. أشار لى

مدراعه النضوبه قاتلا «اتفضل»، ولكن بلهجة من يقول «اطعم»
بهضت وأقفا وذهبت إلى البضعة لأحد الشاى فنظرت للرجل جيدا
«رايته طويلا نحيفا. وجهه مستطيل ملهى بالأخاديد المشحونة
بالقهر والشقاء وكبر السن، لكن فى عينيه طيبة شديدة ويكتم بين
شفتيه الرقيعتين حفة دم طاهرة.

لامست الكوب بأصابعى فوجدته سائحا فتركته منتهزا
ابصره للوقوف مع الرجل. كان معى سيحارتان معوجتان لمعدلت
واحدة وقومتها وأعطيتها له. ووضعت الأخرى معوجة فى فمى.
قلت له -

«مش دى قهوة المعلم دهروج السنطاوى برضة»

أشعل ورقة من تحت الرماله أشعل بها سيجارته ثم قربها
منى قاتلا من خلال الدخان

«أنا المعلم دهروج السنطاوى يلزم خدمة؟»

ضحكت كاسى لا أصدق

«المعلم فرهود رمضان يقعد هنا؟»

قال.

«عايز منه إيه؟»

قلت.

«عايز أشتغل»

قال مشوحاً بكوب الشاي كأنه يطردني:

- «تجيء له هنا بعد صلاة المغرب»

جعلت أشرب الشاي في عيط فان الرجل بعد برهة كأنه صار من الآن مستولاً عني:

- «عندك مكان تبيت فيه؟»

قلت على الفور

- «لا والله يا أبو العم. أنا من الغنایم قبلي وقادم لتوى ولا أعرف أهدأ هنا»

هز رأسه في يأس من سمع هذه القصة آلاف المرات. ثم شحط في صائحاً

- «ماعلينا، ماذا ستفعل؟»

شوحت قالا في ضيق

- «أرأس الله واسعة يا أبو العم. ومن يقصد الكريم لا يصام»

صب لنفسه كوية شاي صغيرة كالخستنان شطف منها شغطة ومن السيجارة شغطة، رفع ذراعه اليمنى مشيراً إلى اتجاه المنزلان خلف المقهى:

- «هنا شادر مطيح صاحبه الحاج رفقي وهو طيب وصعيدي

مستك من قديم الأزل! ينام عنده ولد عمك وبلدياتك الصعايدة وكلهم ممن لا أقارب لهم ستره قاعداً أمام شادر الطييح حتى

الصبح! قل له أنك تشتتن عند المعلم فرهود وأعطه خمسة قروش فيدعك تدح وتدم داخل الشادر! وإن دعيت له قرشين اثنين يدعك تنام بجواره في الخلاء ويحرسك هو حتى الصبح»

أحدثت الرجل يابوي، شكرته على هذه الخدمة الكبيرة ورحت أشرب الشاي على مهن طامعا في خدمة أخرى كهذه تقع من رجل أمامي فانتفع بها لكن طفلاً صغيراً صاح من أعلى السلم مالك ستة شاي في الأجرخانة فاستدار المعلم «دحروج» وهب لشاي في الأكواب الستة فسرعة فمت أنا بسحب الصينية ورفضت فوقها الأكواب ثم ملأت كوبين بالماء ووضعتهما على الصينية قائلاً «أوديهم إنا» فبتسم قالا «أنت فهو جي»

قلت «تعلمت من المعلم شدويلي» قال «بتدع مصر القديمة؟»

صحت في فرح شديد: «تعرفه؟» قال في فرح أشد:

- «عشرة عمر! اشتغلنا سوياً في الماعل وفي كل بلوى»

فنت

- «عال! عال! كسب صلاة النبي»

وأحسست بأنني سيكون لي عشرة طيبة مع المعلم «دحروج» مسحت الصينية بالأكواب وشرعت أمضى قائلاً «فين الأجرخانة؟»

قال، «هنا»، وأشار إلى جانب المقهى، فعملت الصينية ومضيت حتى أوصلتها إلى الأجرخانة وعدت، لأجد المعلم «دحروج» يلف

سجارة وضع لى أنه يحشوها بالحشيش، فخرجت كل الفرع يابوى، قلت له «مساه اعل يامعلم» بص لى من تحت جسمته المنكسة قائلا «تشربه؟» قلت «أشربه» فاشعل السجارة وجذب منها نفسين عميقين ثم قدمها لى، فسحب نفسين أعمق، وأعدتها اليه، وهكذا راحت تتنقل بيننا الأعباس العطرة حتى انتهت السجارة بنغمشة فى تلايف محيى فعرفت أن المعلم «دحروج» حشاش قرارى وصاحب قرارى أيضا قصبت معه أحلى عصرية، دار بيننا الكلام الطلى لا يقطعه إلا خروجه لتوصيل طلب، عرفت المعلم «دحروج» كأننى تربيت معه وهذا أحلى ما فى يامصريين بالولاد العرب المعلم «دحروج» له أربعة ولدان صبيان موظفون فى الدولة أحدهم وكيل وزارة العمل وأمين وحدة الاقتصاد الاشتراكى عن الحى، وخمس بنات متزوجات من كبار التجار وكبار الموظفين، له أربع عتبات ملكا، كل عتبة تفتح على حمسة أدوار وسعة أدوار وكل دور يفتح على أربع شقق وحمس، كما أن له - فضلا خيرك - أرضا زراعية فى بلاد الأرياف نواحى بلدته السنطة فى الوجه البحرى

عرفت بين ما عرفت أشياء كثيرة عن الحاج «فرهود رمضان» أشهر مقاول عسوى فى هذه الناحية كلها هو فى الأصل لم يذهب إلى مدرسة، اشتغل عشالا فى مينا «أثر لبيى» أيام كان قائما على شط نيل مصر القديمة، اشتغل مع «الأورس» فى «كامب الانجليز» موردا للأنظار ثم قائما ببعض العمليات الصغيرة من ماله، جمع مالا كبيرا وخبرة واسعة، صار يأخذ عمليات

كبيرة للحيش البريطانى، بناء ثكنات عنابر مكاتب، مصوغات ومفروشات وأدوات وكل شيء تطلبه منه ينفذه لكه وحله بحسابه فمما قامت الثورة كان الحاج «فرهود» قد صار كبيرا يابوى، صارت لديه شركات كثيرة للفلق والشحن والتوزيع والبناء والتخطيط واستصلاح الأراضى، كل ذلك والحاج «فرهود» لا يعرف أكثر من فك الحط بمصاء عاجة لكنها بصمة لا يمكن تقليدها يشتت عنده ماس من كبار القوم يابوى مصروف عليهم تفهم ومن أرباب المراكز العالية يذهبون إلى مكاتبه كل يوم مرتدت كبيرة يجفص منها السم، ويبسون اللباس بالشىء اعلانى ويركون الأتومبيلات ذات الأجنحة كالطيارات، أما هو فم يطلع الحلاب يابوى لا ولا اعباء والعمامة المصعيدية الكبيرة حتى اليوم، وكل يوم يجىء بنفسه إلى قهوة المعلم «دحروج» ليحاسب العمال بنفسه ويوزعهم على العمل، لكه إن دخل على أثنى تحين فى البلاد يمتفص له قائما يقدم التمتية ولا حترام، مرسال منه إلى قسم البوليس يفرج عن المحتجز فى تحشيشية، كانت باسمه له إعتباره عند وكلاء النيابة ومديرية لأم، تليفون منه إلى شخص تتحرك البضائع المتعثرة فى حمارك الموائى والطارات وتفرج كثير من الكروب عن كثير من لرجال هيا وهنات، ربما يعطيك ويعطينا فى الدنيا أن أرادت تعطى قالت حد عدك وما عليك إلا أن توسع لها، قيراط حظ ولا مدلس شطارة يابوى اعطى حظا وأرمى فى النحر مدون عوم بسا لحاج «فرهود» مع ذلك شاطر قوى يابوى، مفتاح وشهم

وحدع يعحك، راصع من بز أمه لا أحد يستطيع انوقوف قصاده،
لكن كله بالطيبة والاحلاق وحسن المعاملة، ولأهم من هذا ودك
دعاء الوالدين

أزددت يقنيا بأسنى ساجد شعلا وراحة لدى الحاج «مهرود»
فعا كاد النساء يعمر حو المقهى منكرا حتى أصبحت مئات الليون
كالعصى الممدودة على الشيطان وفي السقف بذات قوافل الأعر
تجيء فترمي بحفاتها على الأرض بجوارها وتحد على بكراسي
بوجوه كالحة معفرة بالتراب متشفقة، لكن أصواتهم الحبية ملأت
المقهى دفئا حيا وحيوا يا حال، عملت ربطة وربليطة كأنه بفرح،
هم ولد بلدي يابوي بجل الفرح أيما حلوا، الفرح في أعقابهم
أسرح من طلقة رصاص الأثار

لعليلة كبيرة يابوي شملت الدنيا، عراك ما تدري فرح ما
تعرف، وأصل الحكاية أنهم يتحدثون محسب يبدون بمصهم
بعضا يتفقون يتعاونون يتواحدون، ثمة من يقوم فينضم إلى
طابور صغير أمام حوض السفينة ليسلم رأسه ويديه ورجليه
للماء يتوصأ ويعود ماسحا أطرافه في أطراف ثوبه وما يلبث حتى
يقوم الصلاة في ركس مفترشا مبدله الجلاوي أو لاسته أو
تلفيعته العلم «دخروج» يصيح في هذا ويشطح في داء بأعلى
صوت، فيردون عليه بصوت أعلى مشوحيين بأدعيم السرحة
المروقة في الهواء وعروق رقابهم تنتفض حتى لتكاد تطرق، وما
الأمر في النهاية إلا مجرد زعيق

الطريف يابوي أن العلم «دخروج» كما لاحظت كان في أشد
السعادة بهذه الربطة أقطع من رغيته المتواضع هذا، وشطحه في
كل من صادفه، إن هو إلا تعبير عن مرحته يا حال هؤلاء هم
مصدر رزقه لوفير يوم الجمعة من كل أسبوع يتولى هو
محاسبة الحاء «مهرود رمضان» ميسرة عنهم ليحتجز حقوقه
طريهم هكذا قال لي قس حينئذ، وأخبرني أنه في أصبح يصنع
قولا مدمسا شهيا لا يتغير له في مصر ابتاعرة كلها ويقدم معه
بصلا أحمر وجرجيراً ومجلاا نجس بالأكلين وفي النساء يقدم
وحنة عشاء قوامه عدس وبصل أحمر ومجلر من جمعة لأخرى
يهدد العشوة بطوق من المسقعة أو ابتعارة العنسة به يابوي
سحدي أن يحسن مخلو أمام طعامه دون أن تفتح شهيته وبأكل
اصابعه، وهو يسي خسفا يابوي أن لديه يجندون بأكل عنده
تكونوا في الأوس وقعين من الجوع والحدوح عموس كعب قبل
سيدنا «عبد الرحيم القناشي» طيب الله ثراه وأرضاه.

أخيف اليميين يابوي أن «دخروج» كان صادقا فيما ظننته
بسرح بعقلي كي أذب أما لأمر مثلم فأسلمه يومين على دمة
كل، كله أويطة في أويطة وهل أما عيط يابوي حتى أعنى الأمان
لأبناء أنديه حتى ولو كانوا من أبناء الزيف سادقا، صيف
أصحاب المحلات الذين يبيعون لندس أكلا مطهرا جميعهم خبرو
انده لا يكلهم انطبق فلينا وبيعوه بحمسة وعشرين، مالي أنا
ولا أكل المطهرو أن دوات أنا يابوي، ما عيب اربعين والنصلات

مع طبق من الفول أشتريه أب من عربة جواله ملووه لخدمته لو
كل عند «دهروج» وأمثلة يقسمه على أربع أصدق ويسمى كل
منها واحد. هذه الأكلة في الصباح ودمتم على ذلك حتى صباح
اليوم التالي إذ أنسى جنت إلى هنا كي أرسل الحوالة البريدية لأبى
كل بصصة أبام لا لكي يجررها للعم «دهروج» أو غيره من
الدحاريج الأخرى بجمع أنوعها.. هبيط أما يابوى؟

صدق من سماء «دهروج»، إذ أمه تبحرج إلى قلنى شيئا مشيئا
حتى تمكه وتمك من الصرب فى قلعة محى الميعة الصصة
العنيدة. عرمنى على العشاء بالجان، أبى والله يابوى غير أبى بم
أكن أظنه يقصد ذلك جفا فى أول الأمر. ذلك أننى فوجئت بسيدة
شابة من بنت الحارات الفاتحات تلبس فستانا أسود يظهر شدة
بياضها الأسر، ويظهر جسم محروطا على قالب ملهى بالأبراج
العالية وانقلاب تطير عليه كل أبراج الدماق قبل الحمام وآه يا حال
حافية القدمين بكعبين كزيالين من العضة وسمعتى قديمين
كشهادتين طاشتين ممتعة الجند بارتفاع صدرها الدهد مع
دراعيها وكثفها تسند بيديها حنة كثيرة ثمة من ينطوع ليحمل
عنها الحلة قبل وصولها السمعة الأخيرة، وهى تصبح فيه بصوت
كالفجج بالآه. «حاسب» حاسب أحسن دى سحنه. الكل يريد
التلوع بسند اسلة للاحتكاك بالمرأة ما أمكن، مدارب نواياه
الخشنة بطيبة مفتعلة فى قولهم «على مهلك يا أم حنفى» كيف
حالك يا أم حنفى وحشتيا يا أم حنفى وهى لا تنى ترد على كل

واحد بنهجة بين الجد والمزاح لكنها إلى الحد أميل حدة. مما دلنى
على أنها فى جوانبتها التى لا يعجبها إلا الله امرأة محمودة هارلة
إلى حد كبير يابوى وأنها تحشى صياح هيبتها شاما بين أساس
فتفتقد بذلك لقعة عيشها. يسعد مساك بأخويه ماتشوش وحش
ياضنايا ربا يعطيك الصحة والعافية ويقدركم على شقاكم.

عرهت بالعهولة يابوى أم حنفى وهى التى تتولى طبخ
المشوة لحساب المعلم «دهروج» فى منزلها وتأتى بها إلى هنا فى
يوم معلوم قلت لأبى أنها تقوم أيضا بخدميس الفول عدها وتحمى
فى الصباح تملأ به «قدرته» الحاسية اللامعة وقد صدق حدسى
يابوى، وهمس لى ولد من بلدياتى ما أم حنفى وهى الساعد
الأيمن - والأيمن - للمعلم «دهروج» مند سبعين بعيدة مضت. وكل
شيء يتم فى منزلها الكاش فى حارة سد صيقة من حوارى حلمية
الزيتون، إذ كان زوجها رابا لعمارة كبيرة وأسعة مبيجة فى
بواكير نشأة الزيتون للعمارة منور كبير واسع تطل عليه أبواب
ثلاثة من غرف الدور كان صاحب العمارة يستخدمها محربا
لبضائه من زيوت طعام ومواد عداثية بجميع أنواعها إلى حبوب
ومحاصيل وحجور وما شئت، لذا فقد لرم أب تكون عرفة البواب
هى الباب الرابع المطل على فسحة هذا المور الكبير الذى تسقط
إليه الشمس والأمطار عابرة عشرة طواق من الشبابيك الصغيرة
وبسطات سلم الحدم الحلوذى الذى لا يستخدمه أحد. وقد خدم
البواب - «أبو حنفى» لدى الزيات - صاحب هذه العمارة - مايزيد

عن عشرين عاماً حتى مات بفعل الشيوخوخة والرص محلفاً وأم
حنفى وحمسه عيان رعب الحواصل هم وحنفى وأربع بنات.

الولية صعيدة بابوى، محكرة، شامة لآثران، لكن أكل العيش
من والشاطر من يجلى مرارته، يحييها بالشقاء الرائد والتعب
والعرق أمال بابوى، بدلا من استعيرى من الشرف وتمريض
النفس لسؤال النسيم كل شيء فى اندنيا قد يتضح أنه عيب إلا
الشعس عداه الغيب وسافر استعمل بابوى واشتعل تدوب فى حنك
مرارة ادسج وتجد نفسك فى بهر احياة مرتويا بالعة والكرامة
والهابة هذا ما صرت اقونه بنفسى بابوى مقتديا بهذه الولية
العلانية الجدة وأم حنفى، التقطها المعلم «دحروج» - كما يزعم -
نية أن يساعد على المعاش ويوفر لها رزقاً وواقع الأمر بابوى
- يقول ولد بلدى من حولى - أنه يستعملها أشنع استعمال بابوى،
يتعدها حادمة تقوم وحدها بما يطلب من مجموعة عمال، خلاف
استعمالها لمرلها، الذى هو عبارة عن عرفة واحدة تمام فيها
باطفالها تراجحهم فيها أحولة الفول والعدس وبرامير الزيت
ولولا أن سكن العمارة كلهم يتعاطفون معها لصايقوها

أم حنفى عادت ثم ظهرت ثانية فى فراغ الباب تحمل
هندوتها كجيرة جدها ما أن وصعناه على الأرض حتى تسبت فيه
تلا من الأطباق البلاستيك واللوبيوم الصغيرة، يتحلبها أكرام
من النصل الأحمر وصعيحة ملانة بالنداجان تفوح منه رائحة
تقول لك كلنى أنا وحدى فى اتو. نفس الكلمة التى يقولها لك

جسد «أم حنفى» بمجرد ما تراه، خاصة إذا طلع صوتها بالعج
الذى لا افتعل فيه نطعنا ممددا أصابعنا خلصة بخرج
مسيرة من السادجاس سبهما وأعدة ترقص شجمة المعلم
«دحروج» هى التى أوفسنا عن التهام «سادجاس» كله مرة ثلثة
ظهرت «أم حنفى» تحمل طاولة عليها ثلال من الحبر الساجس،
تركتهما على رحامة «نصبة» واصرفت تقدم المعلم «دحروج»
وصار يناول الأطباق فيبلاها بالعدس مرشوشا على سطحها
حفنات الثقلى ولد بلدى يتراحسون عليه، وكل من حصص على
طبق مال نحو الصندوق ينتخب بصلتين كبيرتين وابتخب
بادجانة كاملة ثم عرج على طاولة العيش فابتقى ثلاثة أو أربعة
أربعة خلال ذلك عادت «أم حنفى» بطاولات حديدية من الحبر عدة
مرات متلاحقة حتى إذا ما انقبت القهى كلها إلى ناس منكفأة
فوق الكراسى وعلى الأرض، والأبدي كلها متصلة بين أطباق
عديدة من العدس والحبز وبين الأهواء، مكن شعاع يقرش البصم
يطحن فى لدة واشعاع عطيمين مهيسين بابوى كأنهم يردون
أعظم وأقدس همل فى الوجود بابوى

كنت الوحيد الذى لا يشترك فى هذه العملية، أجلس وحدى فى
ركنى هذا منذ نداية تفريق الأطلاق، إذ أسى من الحق لم أكن أبوى
أن أدفع «حمسة» تمريفة، فى واحد عدس كهذا فوق قرش
للرعيطين الدين أحدهما لنفسى فى الطقة الواحدة ثم أن كل ما
معى من قروش لا يسمح لى بهذه الرعاية، ربما لا يقع ثما لهده

العمشوة وحدها هالما لم اشتعل مثلهم بعد ولم يجر القرش فى
يدى. راقبت المظم «دحروج» وهو يطر خفيه فى انتظار أن يتقدم
منه أحد يطلب طبقا، شمل الجميع بنظرته تأكد من أنهم جميعا
مدمجون فى الأكل، مسح يديه فى حرقاة ممللة ثم جلف يديه فى
جوانب حللانه البولين انكالح دى البقة والأساور المشمرة، مصى
يجر ركنيته نحو الحصة، ما أن وصلها حتى صب لنفسه كسستان
شاي ثم أشعل «سيجارة» بثف دحانها فى الهواء بطراها وها هنا،
وقعت بطرته على فيما أنا متكور فى ركنى أقرب بالرص انشقى
والمعيى أحاول إبعاد عيني عن الأكلين باى شكل إيقافا لريقى
الجارى مع مصفهم، كسرت عيسى هربا من نظرة «المعلم
«دحروج»، نكر بعد أن ساكدت من أنه رآنى يا حال، فاكذبت أيضا
من أنه قد فوجىء وقد اندمشت، ففرحت وارتكت مد يابوى، خفت
أن يحترنى فى السؤال حتى يصطرس إلى الاعتراف أمام الذى
يسوى وانذى لا يسوى بأنى ليس معنى نقود، ورحت أدبر كلاما
أرد به إذا ما سألنى لماذا لا تتعشى؟ لكنى أحسست به يرشف
ابكوبة كلها بسرعة، وبظله يجرع عن حدود الصبة يتجه إلى حلة
«العدس الكبيرة فيكشف عطاءها، يتناول طبقا من الصمدوق،
بالغرفة الكبيرة راح يقلب العدس المتبقى فى قعر الحلة ثم جعل
يعرف ويضع فى الطبق عدسا تخينا يتصاعد منه البخان ورائحة
التقليه ثم يتناول طبقا آخر، رشقه بين أصابع نفس اليد ثم امتثل
من الصفحية أربع بازيجات كبار سليمة وضعها فى الطبق،

١٠٠ سم فوقها أربع حصلات كبيرات، وعرج على الطاولة فانتحب
«أ» من الحبر يريد عن ثعاسى أرعمة حلوة التقاطيع حمراء الحدود
«صيفة اندم، أى والله يابوى هكذ مدت لى ساعتيها ما أدري إلا
«المعلم «دحروج» مقل يحوى بيده الوليمة العظيمة، ثم تربع على
الأرض متناوها، رص ما معه على الأرض، شور لى نحو الأرض
«إبرل يا أبو لعم» وأما ما كان مرادى أن يصل «الأمر إلى
هذه اللحظة يكن صوت الرجل كان جادا قاطعا وبسيطا فى نفس
الوقت يندرسى بالقطيعه إن تمتعت يعلى على الخسة أن مشفت
مضى يا حال، وعلام يشعل الملح يسوى لكنى ربت على صدرى
فدلا «كتر حيرك يا أبو لعم» تشكر تشكر ألف هاء وشفاء»،
شحد بحدة كاسى عسده الذى يشعل عسده ويأمر بقوة «إبرل
يبو لعم قلت لك»، وأحسست أنه يعلق أبو لعم هذه ويمهبط
بعده كما لو كان يكرتنى بأنه يتفصل على بهذه اللفظة والمخروض
أن ينادى بسواها، وتأميت لأعصب وأعطىها زلة ونكتنى ألهمت
أن لا داعى لتشفيف الملح أكثر والا انكسر وتفتت، غير أنى إرتكت
يابوى، صرت أردد ألفاظا من قيل «أصل. أنا كنت إلح إلح
فى حين لا أقول شيئا هذا على وجه الرجل تصميم ينذر
مقصية لو أننى سقت الدلع أكثر من هذا، كدت أميل على أدبه
هامسا «أصلى ممعيش فنوس» لكنه كان أسرع منى، «شور
لى ناظرا فى قلب عيني نظرة جادة «إبرل إنزل» على حساسى»،
تلمعت قليلا ثم نزلت متربعا قصاده وقى نيتى أن أنفق مضغ
لقمة أو لقمتين إكراما للرجل، هما كدت أمد يدي وأسحب الرغيف

حتى لامس ركنتي بأصابعه علامة نسيه فطرت فيه بإهمية فطر
 هي باسم يقول «بسم العزومة دي الليلة دي وبس» إوعك تاحد
 على كده انسى أوله شرط آخره مور يا بواحم «ثم صحك
 وصحك الجميع فصحكك معهم مصطرا لكن ما كنت أشرع في
 تعميس الأقيمت باندس و لبادنجاى والبصل حتى عقدت الوعى
 والله يا بوى، فصررت أطوح هي فمى ملدة هانقه ودرجى بيطر بي
 من حين لحد، منسما كأنه يدكرى بتحديثه لسابق عن مداى
 أكله لا أدكر عدد الأربعة التى مرقنت ورمستها وطوحتها هي
 أو شتر لكنى أدكر ان لرجس جاء مثل آخر من الأربعة وأعاد
 مل «طبق مرتين وهو يقول «معلش» علقتى واستحق التزينة
 ما كان مالى ما لى دهاسى فدعاسى لار أقطع املك في تدوق
 طعامى مرة ثانية بدون نقوداه، وحين أخرج أمامى آخر بصلة
 وبه بن آخر ما هي الحلة صدر يشمسى مثلاً «لا تصدمنى يا أبو
 العم» لصفو تاكل عندى وقتما تشاء دفعت أو لم تدفع»

ثم أنه اتجه إلى المصبة فعلا مراص العمى ولقمه بالشى
 وصف الأكواب معدلة فيما هو يدح بلذة فائقة ثمة حاطر يحول
 في دماغى بانسى ساكون حتما من زبائن الأكل عند أمعلم
 «دخرو» وأنسى لا محالة تارك له يوميتى يجزى منها الحساب
 اننى يحدده هو وذمتة «صار يصب الشاى فى الأكواب ويريحها
 بهذا وكل واحد ينهس فيجىء ويأخذ كوبا ويعصى قمت بدورى
 فأد كوبا، فطر لى قائلا «على حسابى برضه» قلت «لا

على حسابى أنا والأكل أيضا على حسابى» عزومة هذه الليلة
 «سدت على حسابى بأبو العم» ويبقى لى عندك عزومة «إرتفعت
 اصوات الشغط فصنعت حوا لطيفا، راح للمعلم «دخروج» يفر فى
 دفتر مرقق مسحب من تحت المصبة، بقلم جاف أحد يدون حساب
 كل واحد منهم، ثم صاح تحافى ويده على صفحة جديدة بيضاء
 «اسمك ايه يا أبو العم؟» صحت قائلا: «حسن ولد أبو ضيب
 سبه، ولا أدري ماذا كتب أمامه من أرقام، لكننى فى الحال فتحت
 دفترى فى دماغى وكتبت فيه ما أهدته اليوم بالمليم

إلا والحاج «فرهود رمصان» داخل عليها، حوله أربعة رجل
 أشده وحهاء نعمائم صعيدية كبيرة وحلايب من الصوف المعتر
 وعنايات من الجوخ على أكتافهم كانت شخصية الحاج «فرهود»
 أوصهم، يتقدمهم، قصير القامة نوعا، عريض الكتفين، ممثلى
 الروح بالدماء والعافية، غليظ الملامح، تحين اصوت أجشيه،
 يرتدى مثلهم نفس الثياب ولكن العز والفجحة فاضحسان عليه،
 ومن فتحات الثياب تتدفق السمعة «من ملابس داخلية ثمينة، من
 الواصح أنه يستحم ويحلق ذقنه كل بضع ساعات، ويبيده العصا
 الأنوس العوجاية

كل من معه تافقوا من الكراسى وبعضوها بأطراف ثيابهم الا
 هو جلس على أقرب كرسي كيفما اتفق فلما اندهشت أحبرنى ولد
 بدى أنه على هذه الحال منذ ما يزيد على عشرين عاما ولم يشأ

أن يعير عاداته بعد أن أكرمته الله وصبر من الأثرياء، بل فصر أن
يظل يباشر عمله الأصلي في المقاولات السبيطة بنفسه باركا
شركاته الكبيرة موظفه الكدر يديرونها بالطريقة التي يعلمونها
تحت إشراف وحراسة أبنائه وهم أفندية كمار متعلمون..

ثمة رجال آخرون كدوا خارج المقهى نائبات صاروا يتدفقون
عليها فمعصم حمل بعض أموالا كبيرة سيقصى بها مصالح
عاجية، ومعصم يقبض أموالا صغيرة، وانعصم الثالث يتلقى
بعض الأوامر والتوصيات ويصرف فوضح لي أن الرجل
الأربعة الحاسنين هم أربعة رؤساء كل واحد منهم مسئول عن
حوالى مائتين أو ثلاثمائة نفر يعملون في عملية معينة في مكان
ما تبع اصحاب «فرهود» فلما لاحظت أن الزحام بدأ يخف
ويتلاشى تقدمت من اصحاب «فرهود» وقلت له «تمسى بالحير
ياحاج» قال «مسا النور تحب تشغل في إيه» قلت «والعشر
يطيح منى» أنا أحب أن حصرتك تشوف لى شغلة على قدى»
نظر في متأملا ثم قال «إنت كنت متشغل إيه قبل كده؟» قلت
«سمات» وقهوجى» أعاد النظر في ورام مسكرا ثم قال «أما
السمك فم سشتغل فيه بعد؟ وأما القهوة فأمر فيه نظره» قلت
«محبنا فيه» ربما يحلين! ويزيدك من نعيمه» أعاد نظره في ثانية
وقال «أنت ميين يابو العم» قلت بسرعة «من النعائم قلى»
وم سعيد من ولد أبو صبا أعمامى المشايخ الكراء» يمكن

مع عيهم» انبسط وجهه فجأة قال «مقى أنت ولد أبو صبا»
«أبو صبا الكبير كان الفقى بقاعى ياولد» كنت تلميذا في
... «أنا طفل صغير» والله ما نفعتنى في الحياة حتى اليوم
سوى ما تعلمته منه في تلك الزمن! رحمه الله» انفشخت يابوى
بلى «أخر وكبرت قامتى أمام الحلق، وبظر هو إلى واحد بجواره
وقال «ياريس حميدون! خذك معك إلى المعسكر باكر! فراسا
«جناحه»، ثم نظر لى قائلا «باكر قبل طلعة الشمس تكون هنا
«بظر الرئيس حميدون لتركب معي وتروح المعسكر الهايكستب!»
«أب بقلين من التوجس» «حاشتعل آيه في انهايكستب يا حاج»
شوح قائلا «مكر ساريك ما تفعله» ثم حول بطرته على موددا
«مس حوله» «عد تانى عاير أى حاجه منى» فلما لم يتقدم أحد
م حاجة بهن متكتنا على العصا قائلا «توكنا على الله» فنهض
الجميع فصاروا خلفه وانصرفوا فجاء بالمقهى هدوء شديد شديد
هفتت له الأخوة في الليامات.

الثانية - سقف العراق!

شادر المطيح كبير جدا يابوى، يشبه دوار أكبر عمدة في البلاد
لها يتهاوس ولد ملدى قائلين العجب هو ثروة كبيرة في يد
مساحه الحاج «رفقى» الذى استولى على هذه المساحة الشاسعة
بوصح اليد منذ سنين طويلة ثم أجراها من البلدية ثم آلت إليه
مدينتها في النهاية بثمن بحس طبع عبيد مصاريها بثروة شادر
الشيخ اسم فحسب يابوى، وابطوخ كله لا يريد عن كرامة صغيرة
مرصوفة فوق بعضها على باب الشادر أما الشادر نفسه -
المتد على مساحة هائلة أو أكثر، والمسى جدران طينية ومسقوف
بشمع الحيم - فإنه ملأ بعربات اليد الصغيرة مجتررة بأقفاص
في صفوف طويلة من أول الشادر إلى آخره، وبقية من أرضه
ملأه بأجساد مرصوفة حواف بعضها، منهم المغطى بطلاية
حيش قديمة، والمغطى بحرام صوفى عتيق، والمغطى بجوال
محرق، وانمطى بجلابيب قديم متهرىء أما الحاج «رفقى» نفسه
فإنه - تحلف اليمين - لا يساوى تحريفة، كرش هرمي قاعد على
الأرض، له ما يشبه رأس الإنسان، فتحة طوق جلنانه مفشوحة

وفتلة من الدويارة المتينة مربوطة في عروة الصديري وطرفها الآخر مربوط في محفلة جلدية كبيرة جدا ومنتهجة في حيب الصديري، وجهه كتهطحة بالصبط يابوي، لونه - تحلف اليعين - بين السواد والحصار، منتفخ العينين يملأ العماص جفونه

رحمت وجئت من أمامه عدة مرات ومرادى أن اكشف عن زاوية بعيدة منه أرمى فيها جثتي سواد الليل دور أن أدفع شيئا، فعراه بهراه وخلاه بخلاه ولا داعي إذن للخسارة قرشين كنت أطنه لا يلحظني يابوي، لكن اللعين شعر - وهو في مكانه - بسلامة جلدي لجدار الشادر المحض عن نظره، إذ ما كدت أنقرقص مرتكنا للجائط كأني سأستريح برهة وجيزة حتى سمعت نحيجا بصوت عال وبنفمة ذات معنى وما كدت أنمدد واصلعا ذراعي تحت رأسي حتى جاءني صوته راعدا كصوت العواء المقيس «أنت يا حدر أنت! هي وكالة ولا إيه؟»، فنهضت في الحال جالسا، أظهرت نفسي مقبلا نحوه «سال الحير يا حاج رفقي»، وصبح كفه كاللثة فوق عينيها صاح بعير ود «سا النور ياخويه» أنت من التي يتزموأ تحت الجدران ولا إيه؟ تبسمت رغما عني قذلا «لا أما من رجالة الحاج فرهود» وراجل أعجبتك بس الزمن هو الذي قاسى»، إعتصب إبتسامه حشمة، قل «حب وماله» من تيجي تمسى عليها الأول واحنا نشليك على راسنا! قلت «عاوز أنات للصبح» قال «جوه ولا بره» قلت «جنتك هنا» قال «من

«مرك» قلت «والجرح مانوش إكرمية» شوح قائلا «الحاج هدام من الفرك» دا حتى يبقى عيبه» ثم أشاح عني كأنه أنهى المقابلة مذبت له يدي بانقرشين وبعيط يبريبي، وقلت لنفسى صحيح أنها مصر أم ابغضنا عشت وشغنا من يسبع لما انوم في بعراء بقرشين! هار ونار هي جفته

سترصت بقعة محاورة به تماها وتهدت طاويا ذراعي تحت رأسي وقت له قبل أن أستغرق في نوم «ولبني تصحبي بعد صلاة ابحر على طور» قل «طوب» عهوت، ثم صحوت، ثم عهوت ثالثة، وكلما صحوت لأعتد على احبب الآخر رأيت صف بالأحساد المتعددة يحورى يصن إلى آخر حدار لشادر من كل ناحية

الثالثة - نهارك أبيض!

من شامدى لجملة عشوة العدى بالامس لا يشاهدنى صناع
اليوم، وقد اندمجت فى الرجال حول قدرة الفول ورحت أصبح
مثلهم بلهفة واستعجال «شوية زيت حار هنا» بصله ياعلم!
ندخله ثانية! أكلت حتى امتلأت صمعة وصرت بفعل الفول
والبصل يابوى مستعيا لضرب الحديد بقبصتين.

تسلطت أمام كوب الشاي الساخن وكان معى سيجارة مكن
هليود قطعتها مصفين شمكت أحدهما فوق أدسى وفرطت الآخر فى
ورقة بافرة برمتها وأشعلتها وتاملت لون الدخان فرايته ارتواريا
فى لون الصباح أبيض القلب ياخال كنت قاعدا على الرصيف
حارج المقهى فى انتظار الرئيس «حمدون» وقعت عيتى - سامحها
الله - على نافذة بيت فى مواجهتى على الرصيف الآخر تشبه
حاقة مستديرة مغطاة من الخارج بشبكة سلكية، وثمة وجه آدمى
يحاول النظر من خلالها من الداخل. كانت الحائط من الخارج
ملولة بالوطومة وفيها مواسير للمياه مما جعلنى أفطن إلى أن هذه
النافذة فى حمام البيت يابوى، فأصاننى هياج كبير يابوى، وأما ما

كأن مرادى أن أنظر يابوى لكنه الشيطان قاتله الله، هو الذى أقامنى من قعدتى فعدت الطريق إلى الرصيف وهى شلى أب الذى يحاول النظر من النافذة من الداخل لا بد أن تكون امرأة، لعلها «أم حنيفة» أو من تشبهها، ولابد أيضا أنها تطليبنى لشيء أو ترغب فى مساعدة، وإلا ما بقيت تواصل النظر هكذا يابوى ولابد كذلك أن الله جعلنى استبه إليها يابوى لمصلحة لها أولى ما أن وصلت إلى النافذة حتى توقفت مرتعبا وقلنى يتنصص. شئت على أطراف أصابعى، فتبيت الرأس المشعر واقفا لا يزال حلف الشبكة السلكية ثم فعدت فى الهواء أمام النافذة ملقيا بصرى فى الفرفة فاصطدم بظلام دامس مخ صعيدى يابوى صدق من أسماء صممت على رؤية هذا الشخص والتأكد من أنه امرأة تبادلينى من حلف الحجاب لتواعد معى على شيء ووعد النساء دائما بهيج يحال.

فى لفزة عالية قلت للرأس الوافف حلف الشبكة أنا حدام، فى لفزة ثانية قلت لأمرى وأبا أنفذ قفزة ثالثة قلت: أى خدمة فى قفزة رابعة سقط جسدى بين أيدي ثلاثة من الرجال الأشداء، كتحفونى، وخذ عندك.. فحين يوجعك، زغد وتطليش وتشليت وسب أم وكل ما لا تملك يحبه إذا بهم مخرون سريون، وإذا بهذه العرصة هى غرفة الحجز التابعة لقسم الشرطة الذى يطل على الشارع الجانبى. أخذونى إلى القسم يابوى وأنا أصبح لله مابعيش حتى تحطمت قوى قبل أن يبدأ النهار، فيأته من نهار شرم كانت بدايته نافذة السجن يابوى.

ولد أعمامى وبلدياتى لحونى، فصاروا يصحكون يصيحون ميماما واقف أمام الضابط والضرب شمال على قفائى سألنى ما لدى كنت أفعله مع المساجين؟ قلم أعرف جوابا قط سوى قولى والله ما أعرف أنه سجن، الذى طلع على ساعتها قولى والله ما أعرف أنه سجن إلا الرئيس «حمدون» مقبل علينا كالأسد يصحك، نهض له الضابط وسلم عليه باحترام كبير - طبعاً يابوى قال الرئيس «حمدون» عمل أيه الولد ده! عملت أيه ياولد؟ قال أحد المحبرين «صبطناه ينط على منور الحجر ويتكلم مع المهتجرين، رحت أبكى وأبكى، قلت «أبدا والله! أنا كنت أنعب شوية رياضة وعمل أتنطط». قال مخبر آخر وهو يركز بصره فى عينى. «يا رجل اتق الله فى دينك! بطل كدب!» وضحك الرئيس «حمدون» وقال «تتمطط ليه ياولد؟ إنت مجنون ولا أيه! دامية تسمك!»، ثم لطشنى هو الآخر كفا تشيئا على صدغى حتى اصطدم حاتم فى أصبعه بضرس فى فمى فصرخت فرعا قال الضابط «حضرتك تعرفه؟» قال الرئيس «حمدون» وهو يبدو عليه أنه تأثر من ضربى، «أيوه دا من أمبارنا دا ولد صبيط وغلبان وابن ناس طيبين؟ ولا قدامى ياولد!» مطرت إلى الضابط، فأشار لى بيده قائلا: «عور من هنا وأوع أشوفك تانى!»، فاندفعت أجرى إلى المقهى، لأجد ما تبقى من الرءلاء يضحكون ولكن فى شعور بالخوف والشفقة على حسانى يابوى. قلما لحق بى الرئيس «حمدون» أشار قائلا، «يلا يا ولد أركب أنت وهو!».

كانت عربة اللوري واقعة تشبه عربات الجيش أو الشرطة
المصالح الناطق غير أن هذه مكتوب عليها «معهود» وركبها
وركب الرئيس «معهود» بحوار السنق. مصت العربة فاخترقت
«عين شمس» حتى وصلت إلى الهايكستب فابتعدت أمامها البوابة
فمضت في الداخل مسافة طويلة حتى انتهت بنا إلى قرب محطة
تسمى «المصحة» هي آخر محطة للقطار الذي يصل من باب
الحديد إلى هذه المنطقة وحيود الجيش يخرجون من المعسكر إليها
بعد مشى طويل ليأخذوا منها القطار إلى باب الحديد عند سفرهم
في الإجازات، وبالطبع ينزلون فيها عند العودة

توقعت العربة عند بنايات متقابلة يسقف جملون، وقيل انزلوا
فزلنا، ساقنا الرئيس «معهود» حلفه قمشياً بين هذه البنايات
الطويلة وقلبي متقبص غاية الانقباض ياخال لست والله أعلم
السبب، ربما كان بسبب العصب الذي نلته اليوم على ريق
الصباح، وربما التشاؤم من تغطيطي أمام غرفة السجن بكل
سعادة وغشم، ربما يابوي كل هذا ولكن السبب الذي كنت أحسه
قاطعا في نفسي هو منظر الزهوس المظلة من شبابيك هذه البنايات
وموقها الكاب الأحمر والأخضر والأزرق، ومنظر النجوم
والصنابير الالامعة وهو مشهد يلقي الرعب في قلبي وجده ياخال،
لست أحب مشاهدته أبداً، إذ أن أمي طول عمرها كانت تسعى
لاعشائي من المعهانية بأي ثمن، ولولا رفاة قلبها لفعلت بي ما
فعل غيرها بأبنائهم إذ يكسرون له أصعباً أو يختلقون في جسده

نشوها لكي يسقط في فرن النظارة ولا تأخذها الجهادية لكن أمي
طوب عمرها وحن كئنا طول عمرنا نكره هذه الكابات وهذه
الصنابير والنجوم والشرايط كراهيتنا للإبجليز فكيف أجىء لهم
بقدمي يابوي؟ ندمت والله على أني وافقت بالأمس على المنجى
إلى هنا، كان الواجب أن أقول لا، حينما جاءت سيرة المعسكر
والهايكستب، لكنه قدر الله يابوي، وعلى كل حال فلا بد أن أتصعب
الدم حتى يفقد الرئيس «معهود» أمله في شعني فيستبعدني عن
هذه العربة ويعددها يحلها الحلال يابوي. إنهم بالطبع يعرفون أمي
أكلتها اليوم أرواجا وأفردا، ولا بد أنهم سيصدقوني إن رعت
المرحى.

انفصلنا عن البنايات وهربنا نمشي في عراء الشمس مسافة
طويلة إلى أن صادفتنا بنايات أخرى على صطين متقابلين لكنها
متهدمة عندها توقف الرئيس «معهود» فتوقفنا، لاحظتها فقط
انتشبت إلى أن الأنفار كلهم يحملون معهم فتوسا وكريكات
ومقاطف وقصاعا وأشياء من هذه الا محسوك لا يحمل شيئا
قلت، حلو، سوف يكتشف الرئيس «معهود» هذا فيزجرني
ويطردني سأنتكل على الله إلى محطة «المصحة» عشنا إلى باب
الحديد ومنها إلى باب الله الرئيس «معهود» شاهدني ولكنه لم
يفعل شيئا، وقف يوزع الأعمار على الجدران المخرقة ليحولوها إلى
هديم وانتقام. ذلك أن هذه هي إدارة المطار الذي دمرته طائرات
العدو، سوف يعيد بناءه من جديد على نسق آخر، هكذا قال الرئيس

«حمدون» كان ثمة عسكري كالحارس يجلس على مقربة من الهديم ويجواره راديو مارقة صوت العرب مفتوح عن آخره وصوت «محمد عبد المطلب» يمدح معنيا ياسايق العلويين عدى القنابل عدى وقيل ماتعدى حد مينا وادى ده اللي فحت بحر القنابل جدى عدى عدى. ياسايق العلويين تلاشى صوته تحت صوت أم كلثوم يعنى صوت السلام هو اللي ساد واللى حكم ثم تلاشت هي الأخرى ودخلت المجموعة تصدح بجعير يفرغ القلوب حماسة الله أكبر! الله أكبر!

قلت في نفسي ما للإداعة اليوم رائحة هكذا والكلمع عمان يدح في معصه يريد أن يعنى فوق الآخر ناعافية فعال على أدنى قتلا «أما علمت؟ قلت بلهفة «ماذا؟» قال «هم عينا ثلاث دول هي إنجلترا وفرنسا وإسرائيل» قلت «هجمت علينا كيف يالو انعم؟» قال «على بور سعيد» ودار القتل في الشوارع والبيوت وطال الضرب مصر القاهرة من الجو وهذه نتيجة الصرب هم يهدمون ونحن نبني» صرخت فيه «لماذا فكرتني بالصرب ياشيخ» لعن الله الصرب والصاردين حتى يجربوا عذاب المصريين» حيث لكزه زميله، فتركني جري بفاسه ومقطله.

كل الانفجار تورعت وبدأ الشغل في الصال إلا أنا يا بوي، ظلمت في وقتي ميهما أنتظر أحصير فلما اطمأن الرئيس «حمدون» إلى أن الشغل يفضي على بركة الله، استدار نحوي كأنه فوجيء بي مدو أسى صمعت عليه يا بوي. تذكر الكف الذي زرعتني به، فإذا

هو بصع يده برقع شديد على كنفى ويريت، ودا هو يستبرحنى في شى بجواره وأصعا يده على كنفى كأنما ليصالحني، ودا هو «قول» يقول أنك هي الأصل قهوجي» استتركت مصححا «أقول» أي اشتغلت قهوجيا ذات يوم» قل منتسم «يعنى عندك فكرة» «عدي وأهم هي هذه الصبغة جده ربت على ظهري قائلا «دبو» بناس بلديك هؤلاء طول النهار يودهم لو يشربو شاي «أمس استشاي ححنهم في اقريفة خصوصا بعد الغداء وهذا معسكر» ليس فيه كلام من هذا» ما رأيك لو حثت لك نوابور وعدة بصبت هنا صبغة شاي وقهوة جنب الانفجار وربما يبرقت من رائهم أما المعسكر فليس لك شأن به فمن يتعرض بك أحد ما دمت أنت في منطقة بعيدة عن الخطر» هم أيضا يحسون شرب فصح من القهوة وواحد شاي عند العصارى ستررق من رائهم أيضا

لم أدر والله يا حال إلا وأنا منهال على يدي الرئيس «حمدون» باستقيل والشكران تفاءلت حيرا بهذه اشغلة التي لم تكن تحظر بي على من يا حال، حيث لا يتحكم في أحد ولا يتقل كنفى حمل قلت للرئيس «حمدون».

«هذه اشغلة هي عين المرام! ولكن أنا ما معي نفود الآن اشترى بها العدة والمونة فما يكون الرأي؟»..

قال «أنا أعطيك سلعة تشتري بها لوازمك وعندما يكرمك الله ربها» وفي الحال بقدي خمسين جنيتها بالتمام والكمال اهتز من

لسها بدنى كله ورقص قللى ولولا حوفى من رهبة الرئيس
«حمدون» وقوة الحاج «فرهود» لأخذتها ووليت عائدا إلى الصعيد
وبارك الله فيما رزق، إلا أننى كنت قد مويت لله خيرا واستقامة،
ووجدتسى أقول فى غبطة «وهل أنا ساقدر على رد هذا المبلغ
ياريس حمدون؟» شوح بخاتمته فى وجهى قائلا «ياخى بكره
تسقينى بيهم شاي وقهوة».

قلت «أبدا من غده» وكان قد مضى خطوات فاستدار صائحا
«بل من الآن! فما وراءك اليوم؟» قلت «كيف يأبو العلم
والأوصالات كلها» قاطعنى «عربات المعسكر طوب النهار رائحة
جائية إنزل فى واحدة وارجع فيها أو غيرها المهم أن تشعل نارك
اليوم وتسقيا شاي بعد الغداء إن الرزق يهب الحفية يا أبو خاله»
ثم تركنى ومضى، قلت والله لأفعلن

تسلقت عربة جيش مازلة ألفت بى فى الزيتون وأوصيت
الصائق أن يمر على فى قهوة «دهروج» ليشرب شايا ويأخذسى
فوافق وأوصامى بدوره أن أشتري له علبة سجائر ووطل موز
فوافقت - المعلم «دهروج» فرح لما أخبرته الخبر، تمنى لى كل
خير، زودنى بالصائح عن أسعار السوق وفى الشراء وعى أن
أجود الواهورات البريموس وأجود الكويات ياسين وأجود الشاي
الست الفسلاحة وأجود السكر الحرز يفرط معك ويملى. كل ذلك
فيما هو واقف معى على الباب. دعوت له بالستر ومضيت، قصدت

الحل الذى وصف لى مقره، اشتريت منه الأدوات كلها من إبرة
لوابور حتى الواريض والملاق، وفندجين بأطباقها للصباط
والكابات المزينة بسور ثقيلة لف البائع لى كل ذلك لغة واحدة فى
صندوق كرتونى كبير متين مسطن بالقش والورق حملته فوق
راسى ومضيت، قصدت دكانا آخر وصفه لى المعلم «دهروج»
أيضا فاشتريت منه شايا وسكرا وبنا ويتسوننا وحلّة وكراوية
وكركديها وكريتا هو الآخر لف لى كل ذلك فى رباط متين
حملته فى يدى ومضيت إلى مقهى المعلم «دهروج» حررت بقسم
الشرطة فوجدتسى اتلكا فى السجى أكاد أنحف كابنى أكيد له أريه
إلى أى حد أنا رجل محترم ومعنى نقود تشتري أشياء كهده آمال
يا بوى بجوار المقهى حدثت على كشك للسجائر فبعتت منه
علتين هليود صغيرتين واحدة لى والأخرى للعسكرى سائق
العربة ولم يكن قد بقى من الثروة كلها سوى ورقة بعشرة
جنيهات صحيحة صعب على أن أكسرها بشراء الموز، والقروش
المتبقية معى تكفى للنوم على باب الشادر وتذكرة قطار كوبرى
الليمون إستندرت فوجدت العربة واقفة على مبعدة والعسكرى
جالس على باب المقهى يشرب الشاي فى انتظارى فلما رأى
منطرى بالشيلتين وحرصى على شراء السجائر شفع الكوب كله
ونصص يحمل عنى قاعطيته الصغيرة ومضيت بالكهيرة
موضعتاهما فى أرض العربة واستويت، صائحا «الشاي عندى

يا معلم، رد قائلا «ماشى يا بو العم، هانتشى مؤاى وهمت
 مرية أن يكون لك دفتر حساب عند الناس وأن يستروا كرامتك
 أمام الناس هي لحظات كهذه ركب السدق وأدار المحرك العربة
 عدة زعقات متوالية كأنها تدرنى بأن أتذكر شيئا أكون نفسيته
 قبل الرحيل وكنت أرى المور على مقربة منى لكنى اعتمدت على
 أن زعقات العربة استعملتنى فقبرت شاطا في السب لمجاور
 للسائق ودلعت جاسا بجواره حادبا الساب معى بشوة أنست
 ضلوعى وحج الشلايت المؤلم مؤخرتى بإحال كانت هي الأخرى
 تصعب بآلم الشلايت تقرصنى كلما حاولت الحلوس. احتوتنى
 شلته الكرسي فغوب مدة حرة يسير من الثانية، أى والله يابوى،
 تحلف اليميم اسى مادريت بشيء الله، إلا أسى فتحت عيني فجأة
 فوجدت العربة معتدة على الطريق الطوانى نحو المعسكر هذب
 فى أوصالى الانتعاش وفجئت عيني كأنى صحت بعد يوم
 طويل وما قد أصبح الصباح هدى منى عى عاية واضحة ومستقبل
 فيه العشم الكبير.

قال السائق «صح النوم» قلت «صح بدنك يا وحش»،
 وأخرجت علة السجائر فمدتها نحوه قائلا «دى هدية منى لك»
 ولكن لاتؤخذانى فسيت الموز؟ يظهر إنك استعملتنى! لكن»،
 قاطعنى «لقد اشتريت»، وترك مجلة القيادة مسنودة بطرف
 أصبعه، وسحب سنانة موز نزع منها ثلاثة أصابع ره ما فى

حجرى قائلا «قشر وكل»، ثم نزع ثلاثا أخرى رماها فى حجرى
 قائلا «قشر لى» تراقصت من الفرح وقشرت له وقربت
 الأصابع من صمها فالتهم والتهم وقشرت لعصى ولتهمت فمرل
 طعم الموز فى جوفى سردا وسلاما يابوى، صرت ادعو للولد
 «لستر أشكر الله على عظيم نعمه وفصائله، فما ابتهيت من مصغ
 الأصبع الثالث حتى كان الولد العفريت قد ذك سلوفا على
 السجائر وفتحها ونزع منها سيجارتين قدم لى واحدة ووضع
 الأخرى بين شفتيه ثم أخرج مشط الكبريت فاشعل عودا صمغ
 لشعلته بكفيه قمة تحميمها من انهواء وقربه منى فاشعلت
 سيجارتى باستمتاع وأشعل لمسه ورمى بقايا العود فى الهواء
 بعد أن أطعاه ثم أخرج من جيب صدره شلنا ورقيا رماه فى
 حجرى قائلا «من علة السجائر» قلت صامعا «لا يا وحش» هي
 هدية منى لك»، ورددت الشلن لكنه ضغط على يدى بعف قائلا
 «هدية إيه يا أبو العم! أنت رجل على باب الله تستحق المساعدة»،
 وظل قائضا على قبضتى بأصابع حديدية حتى تأملت فصحت
 «خلاص! خلاص!»، وخلعت قبضتى من قبضته ووضع الشلن
 فى جيبى وقد أحسست نحوه بمشاعر الأخوة والصداقة، أفتح له
 قلبى يابوى، سميت به كل وجع فى رحمت أوصل الدعاء له
 بالسستر وهو يتأبىنى مرددا «أمين يارب العالمين إحنأ وإنت
 والسامعين»، حتى صرنا فى قلب المعسكر.

استقبلني ولد بلدى مزينة كبيرة، صار بعضهم يساعدني في فك اللغتين، والبعض يصنع لى مركزا على معدة قليلة، اذ جاء ببعض عروق الخشب المتخلطة من الابقاص، وبعض الاواح المريضة الكثيرة المتراكمة هنا وهناك، والواح الصاج واعواد الحديد من كل ذلك تشكل - في دقائق معدودة والله يابوى - كهف جميل راكع على الارض فتح فكيه كالتمساح المغطى، فإن دخلته وحدته ممدودا، وكلما امتد ضايق مجاله حتى يلتقى سقفه بارضه في انبعاثة وضعت فيها صفائح المياه الحلوة للشغل. واقمت طاولة عائلية ووضعت الوابور في مكانه والاكواب في مكانها ولم يبق امامنا سوى إشعال النار صار الجميع في أشد الشوق لسماع صوت الوابور بل أن الحساكر المراسلة جاءت من الماني البعيدة تسأل اذا ما كان الوقت قد حان لفنجان قهوة على الريحه بسرعة؟ غير اننى كنت كالأهبل في الرفة سامع الله المعلم «مخرج» ذكرنى بكل شيء الا شراء الجاز، إلا أن ولدا بهراويا من سلاح الاشارة غاب قليلا وعاد حاملا مرمية كبيرة ملانة بالجاز فاستبشرت حيرا إن هي إلا ثوان قليلة حتى صهل الوابور وتوج رأسه بالبرامى الصال الكسير كعمامة الصفايدة لكن زرقاء كانت أمتع لحظة لحظة أن رأيت الجميع مصطفا أمامي في الكهف وخارجه ممسكين بالاكواب الممتلئة بلوى عروب ذلك اليوم

وكننت أشرع في إطفاء الوابور وجمع العدة استعدادا لمغادرة المعسكر مع زملائي الأنصار حين جاءنى الولد البهراوى وقال أننى يحق لى المبيت هنا حيث أنه قد جاء لى بتصريح من القيادة حيث أنهم رحبوا جميعا ببقائى في الليل. قنت هرجت، جىء لى بصندوق حشنى فارغ وكبير من صناديق الدخيرة قلبته على فمه جعلت من قعره سريرا أما الأكل والشرب فميسور أمره فى معسكر وأما الطلقات الأخرى فطريقها معروف وسيارات المعسكر لا تكلف عن الرواح والمجىء، ماهيك عن سيارات «فرهود»

الرابعة. بل القراقيش

طابت لي الحياة في المعسكر يابوي، جرى القرش في يدي
والأشياء صارت معدن وآخر فل بالهلا على الحبيب الذي هات
واحد شاي يا حسن هات خمسة قهوة يا حسن. يا حسن يا حسن
يا حسن صرت أشهر واحد في الهايكستب كله، الصابط قد لا
يعرف بعض جنوده لكنه يعرفني حق المعرفة. صرت كل بضعة
أيام أنزل إلى المدينة لآتسوق المونة، وكل من أراد طلما من سكان
المعسكر يؤجله لحين نزولي قرش من هنا على قرشين من هنا
تتجمع الجنيها، فقبل أن يذهبها دفعه صلو على أرحلها إلى البلد
معزلة بريدي لامي.

في ليلة من ذات الليالي كنت أناهب لإبرال الباب والنوم،
وصوت الوابور كان يون في بطة شديد لهث يدعوني للتشطيب
بسرعة، وكانت يدي قد وصلت بالفعل إلى المحبس لإفراغ الهواء
حين دخل على عسكري صعيدي يحمل لفة مستطيلة، إرتمى على
الصدوق قائلا «واحد شاي يا حسن قيل ما نطفيء» صبيت له
واحدا وبقي في الكنكة قليل من الشاي، فلما رأيت الولد العسكري

يلوح بورقة سلوفان فيها عدساية أفيون كبيرة أهرعت بقية الشاي
في كوبة صغيرة لي قاتلا للولد «ليلتك فل» اقتسم الولد عدساية
الأفيون معي وحسنا يشرب الشاي الساعة في معصم الولد
كانت تشير إلى الثابتة بعد منتصف الليل. الولد العسكري هذا
يابوي، بلدياتي، تعرف على مند أول يوم، فكرى بنفسه وفكرته
بمعسى وبان أنا كما أصحاب أيدم طفولتنا في كوم سعيد في
القبائيم قبلي، لولا هذا ما كنت أمت له لم أكن أدقق معه في
شيء، مرة يحاسنى وعشر مرات يشرب ويمشى، لكنه بين وقت
وأخر يفاجئني بهذا لطيفة، حنة حشيش كبيرة، عدساية أفيون،
علنة بولوبيف مدرشمة، عبة سجائر أجنبية، طلق من قمع اللحم
المسلوق، أرغفة صاسعة مع طلق أرز. دنك أن هذا الولد يابوي،
يشتغل فيما يسمونه بالكاتين وقوق ذلك هو واد ملقط وابن
زانية، مفتاح على الآخر، جدد، خفيف الدم مقعص الوجه له عيون
مثل عيون الكلب ساجية على الدوام وستان ناررتان وفك طويل
وأذنان طويلتان مما يجعلنا نتصور أن أمه لا بد أن تكون قد بنت
بكلب وأجبت منه هذا الولد وأسمه «قرقوشه».

كان من الواضح أن الولد «قرقوشه» مسلول على الآخر قلت
له: «إمت جاي مخين ياولد؟» سقط الخبث من عينيه إلى شفثيه
فتهدلتا بابتسامته مرتجعة كأنه أراد أن يخلص من القلق عليه راح
يدعس في جيب الأفرول ثم استخرج قطعة حشيش تصلح حمس
ست سحائر بالراحة أعلقت الساب علينا وأشعلت الوابور لكي

«إلى رائحة لحار على رائحة الحشيش ورحا بسجم بشراة
كبيرة عجلت عين «الواد قرقوشه» فكان لا بد أن أسأله

«ألا من س ب واد ياقرقوشه» إمت تنجيب الحشيش والأفيون
ده مين؟»

قال صاحكا

«من باب الله! بيحيتي لحد عندي من غير ما أدور عليه!
معلمين انصديدة يا أنا قرابت صاحك! كلهم معلمين كدر قوى!
بعجوك قوى قوى!»

اندبشت والله يابوي، قلت له

«إمت إيه تلى و د ب حذاهم يا قرقوشه» ولا إيه ابلى جانبهم
حدثت دور دس شياطين ياوله» وإمت راح على باب الله زيد»
ضحك الولد الملعون وشد نفسا عميقا تبعه بشفحة شاي وقال
بساطة

«هم كل يوم و لثاسي هما» وما عسكر كثيرين يشتغون
عندهم مراسلة وهرسا وكل ما شئت من شغل».

اندبشت أكثر يابوي، قلعبك دماغى وزعولت بطلى وهرت
أقور

«هم رتب في الحشيش»

شوح يقصصته السوداء في وجهي غامزا بشفتيه

- «أنت عذوك أهبل؟» كل واحد من أقربائه هو الآخر له محاسيب، هي لعبة ولا إيه، كله يالبنى يتاعه هما وهناك! أمشي وراءه تكسب وتاكل الشهد»

تحلف اليمين يابوى أن صدرى تقاربت ضلوعه وكنت على أبعاسى يابوى. شىء إلهى قال لى أن الولد «قرقوشه» وراءه سر غير طيبى، انه ولد واعر يابوى، ولا يصح أن تصدق من كلامه شعرة واحدة، وكل من يتلصق فى كبير أو غيره من الكفار المهابين لابد أن يكون - من أساسه - مصانا محتالا، أو يكون مصوبا عليه مثل ولد بلدى هذا

كنت لا أزال محيرا فى هذه نلعة اللى جاء بها معه ووضعها بجواره على الصندوق، إلى أن نهض واقفا وقال.

- «مش عايز أى حاجه من البلد؟ أنا مسافر فى قطار الصحافة ثمانية وأربعين ساعة».

قلت.

- «عايز سلامتكم! سلم لنا على البلد وكل من تراه».

منضى نحو الباب يتلصص ويقول مشيرا إلى اللغة.

- «حلى دى بقى هدية منى ليك»

بسرعة أمتدت يدى وأمسكت معلقة فإذا هي بدقية الى ملفوفة هي حرقه كنت أصرخ فيه يابوى، والذى دار هي دماعى ساعته ابسى يجب أن أصرخ وألم عليه الدنيا تراءة لنفسى، مريما يكون وراءه من يراقبه، نكنى تذكرت أنه بأديأتى وولد جدع وأننى لم أعمل معه الا كل خير، صحت فيه بفحيج يمزق القلب:

- «فى عرضك يا قرقوشه أنا راجل عندى عيار عيبة كامنة هي رقتى! يريد ناكل عيشا فلا تودى بنا هي دامية! الله لا يسيبك»

«لمعون صحك ضحكا مكتوما وزعدنى فى صدرى برلق قائلا «ماتقش صعيدى مقول وعبيط» ثم هس قائلا

- «حير تعمل شر تلقى! الحق على أنا أردت خدمتك! هذه يمكن أن تبقيها بمبيع حلوا خمسين سثن جنيها! لست أطلب منك شيئا غير الكلمة الطوة والعلاقة الطيبة».

تحلف اليمين يابوى أننى صرت كدلفار فى المصيدة، أنظر هما وهناك، أفتح الباب وأخرج وأعود لأقول له

- «أعمل معروف يا ابن الناس! حد هذه المصيدة وأرحس على بعيدا! الله العنى».

إبن الكلب لم يهتر حتى وهو يراسى أرتمش وأكاد أبكى بل كان يتسم والمجور يطل من بين أسنانه ضغط بيده على كتفى حتى أقعدنى فى هدوء وراح يقول:

- «أنت تنفتش حين تخرج من البوابة؟»

قلت

- «لا يابو العم! أنا الوحيد الذي لا يفتشه أحد على البوابة» إذا به يبتسم قائلا

- «إيهم يفتشومي دائما ومع ذلك لاند أن أهرب كل مرة حنتين وثلاثة»

قلت

- «كيف يا أبو العم؟»

قال

- «شطارة»

قلت

- «عهايب والله وكيف تتصرف فيها يا ولد؟»

قال

- «ألف من يشتري في الصعيد! وألف من يبيع»

صرت والله أرتجف من جميع أنحاء جسمي، إلا وصوت أقدام مقبلة نحو كهفنا من بعيد، فاستلمت كل مفاصلي وقلت جاءك الموت ياتارك الصلاة لكن الولد اللعين قضى على كتفي قائلا

- «متحافش! متخافش! على كل حال خليفها عندك لحين رجوعي من السفر! فسوف أقابل خطيبتي هذه المرة من بعيد ليعيد»

وإذا نه يرفع الصندوق قليلا ويسربها تحته ويقوم ليفتح الباب ويصسى محفا إياي كومة من الثلج اسناش سمعت في الحلاء من يزدى التحية ويسلم على بعض الناس باسمهم، وبقيت في تكومي أنظر من القادم أن يدخل فيحلملي ويفتشني ويصع الحديد في يدي القادم كان أحد اصباط ومعه بعض الامشاشية مساء الحير يبو على مساء انور يافندي فقامت أشعلت الوابور سمعت بهم شابا وظللت أرتجف حنف البصة إلى أن حيوني وبصرموا

مضى حوالي شهر يسوى وابولد لا يريدي حقيقته فقلت وله لأجرين هذه لشغلة كنت بارلا لشراء لتعوين فأحسيت السدقية نثت ملاسي في احرام من احب وجرححت من السوامة دون تفتيش، فأسرعت الحطى إلى محطة «الصحة» وقبل ذلك نحوالى جمنة كنت في المدينة فحطعت رجلسى إلى المعلم «شندويبي» في مصر القديمة وفاتحنه في هذا الأمر سألته إن كان يستطيع تصريف سدقية؟ فقال «هات بدل السدقية مدنة» هات مدقدر عيه وحد منى أربعين حنيها عن كل واحدة. سألته أين ستصرفها بامعلم شندويلى؟ فقال أنه على علاقة طيبة بتجار السمك الكبار كلهم - وكلهم من «كوم سمحت» نواحيا - ومعارك «لثار قاشة» بين عائلاتهم لا تنتهى ولا يفرع لها صرب مدرا غير أن المعلمين الكدر هيا متفقين مع بعضهم إتفاق شرف أن يتم «التقثيل» في البلد والا يتعرض أحد لأحد هنا، وما عليهم هنا إلا توريد الأسلحة لنهويهم في البلد.

كنت أثق في المعلم «شندويلي»، فاتخذت طريقى إليه مباشرة، سلمته البندقية هذارها هي عنه، ثم انصرف وعاب حوالى نصف ساعة عاد بعدها قايما على أربعين جنبها مطوية ووضعها في يدي فقلت «واكراميتي»^{١٤} نظر في وجهي مترددا ونزع من جيبه جنبيين وضعهما في يدي قائلا «مش حساره هيك بس إنت هات كتير وحلى بالك من نفسك كويس»
ثم.. ثم أننى استعطيت اللعبة يابوى.

الخامسة - حلاوة النار

كل بضعة أيام يجيء الولد «قرقوشة» منتفح الصدر عليظ الجبين، هما أن يطمش إلى أسا وحدنا حتى يرفع الصندوق ويسحب من عنه لفردة أو فردتين وبعض علب دهيرة يسربها تحت الصندوق ويجلس فوقه كأن شيئا لم يكن. أحيانا لا يجدى في الكهف فيفعل فعلته ويتصرف ليعود ثانية يطمشى حبرا أما أيضا تعودت كلما عت عن الكهف وعدت أرفع الصندوق تلقائيا وأمرر يدي تحته بحثا عن الأمانة، وفي المائدة أجد حبرا كثيرا تحدف اليمين يابوى أننى حتى هذه اللحظة لم أعرف سر الولد «قرقوشة» العجيب لقد حيرنى يابوى وبعثر دماغى فى كل ناحية فما نجحت في فهمه وما استطعت أن أعيد لم دماغى ثانية إذا مرضنا ياخال أن هذا الولد يسمى لجمع النقود من وراء هذه الشعلة فما باله لا يطلب منى نقودا أبدا^{١٥} كلما عرمت عليه بالنقود أسمى كل الإباء غير أنه كلما وافته فرصة السعر إلى بلده استلف منى شيئا، من خمسة جنبيات إلى عشرة، وفي العادة لايردها ولا يفتحنى فيها كثيرا ما يسألى عن حجرين من الحشيش

أو بوسنة أميوس فيحدثي أذكر به شيئا منه أترأه ولد عبيط
ياحال؟ أم أمه يدير لتوريطي في عملية كبيرة؟

عصبا عنى أبهيت شغلني بهذا الأمر وركنته في منطقة حفية من
دماعى صرت أتسبب إلى الكسب، وهي كل مرة أقول لنفسى
تكن هذه آخر مرة أتوب بعدها بكر اتوبة بيست سهنة أبدا
يايوى، دائما تصعبها ظروف حرجة عن الوصول إلى صاحبها في
مواعيد منكورة، والإنسان في العدة يهرب من التوبة دور أن
يدري، في كل مرة حرجت فيها سفرة حديدة وتوبة جديدة أعالجا
بأن سعر الفردة قد ارتفع من تلقاء نفسه عشرة جبهات دفعة
واحدة ثم أننى رأيت عجا يايوى، صدق من قبل أن من عاش
يرى كثيرا ومن لف ودار يرى أكثر كل معلم من المساعدة دوى
العمائم الكبيرة الذين صرت أوص لهم البادق يدا بيداً أحروني
أن لهم أولادا كثيرين مسندون في الجيش يمدونهم بكل أنواع
الأسلحة والذخائر ويرزقون هم طبعا يوروسى بالإكتاف من حلب
السلاح لهم حتى لا أخاف.

زهزت لى الحياة يايوى حتى صرت قادرا على تحقيق كل
مطلوب ومرعوب إلى أن تغلب الوعد والمكتوب، وآل الأوار ليظهر
الصحيح من المعطوب، والمالك من المعبوب، والأصيل من المقلوب
ولكن ربك - فى النهاية - رب قلوب

كان معى فردتان وأربع علب للدجيرة تشبه علب السكر
القولب، فوضعت هذه الأخيرة في حزمة ورقية من جعب

أفكاماييه ووضعت فوقها حفات قديمة، أما الفردتان فحشرتهما
بالطول تحت تكة السروال وداريتهما بالجلباب ومن فوقه لبست
بالعو من يلاطى الجيش وخرجت كالعادة من البوابة دون تعتيش
ومصيت مسوطة أربعة وعشرين قيراطا أعنى وأصرب بالو،
حتى وصل إلى محطة وأصحة فوجدتها كالعادة خائبة كنت
سائرا فوق الفسكات بين الفصيان أبغى الوصول إلى اسلم لدى
أصعد عليه إلى الرصيف إذ أبغى ما قدرت عسى أفعز فوق
الرصيف لأن الفردتين جستا بوب رفع ركبتى فتعطيت لذلك يايوى
وبويت الانتباه جيدا حتى لا أكررها والا برر نور البندقية مرعوا
بحت أشياء بقيت ماثبي يا حال وقد قرر فى ذهنى أنى خلقت
هكذا مصلوب الحين لا أتزوج ولا أنحني، وكان سلم الرصيف قد
لاح عى بعد عركه كعب، ولاح معه ثلاثة من البوليس احرسى من
دوى الكاب الأحمر وشخصية لاصط وأصحة عليهم من مظنة
انسراوين والسترت وتساقها عليهم. صربت صفحا عنهم، مالى
بهم؟ قدرت أبغى ما رأيت شيئا يايوى حدثتني نفسى بأنهم ربما
يعرفونى إذ أبغى مشهور لدى الكبير والصغير وعموم العسكر
وجيش قد يستوقفونى ويسلمون على هد ليس من مصبحتى فى
شيء فلهون أبوهم وأبو سلامهم لبست منه فى هوز.

تملكت سلم الرصيف وجعلت أصعد فى ثبات حتى تمكنت
لرصيف نفسه وكابوا هم واقفين فى انتظار انقطار فمبعت
الصر عنهم مائرا نحو عرفة شباك الشاكر تحت السقف الجمون
وأمامها الأرائك انحشية الحصراء التى ما أن رأيتها حتى طاب

قلبي حين تذكرت أننى لا يجب أن أجلس أو أحاول الجلوس أمام أحد لأن طرقى العردين سيبرزان فوق صدري لا محالة

هى خطوة واحدة خطواتها يابوى، وإذا بواحد من الثلاثة الواقفين يتعنتى مناديا، «هذه يالوده»، فاصط على قلبي جبل من الجرايمت الأسود يا حال، لكننى تجاهلته على اعتماز أنى لست ولدا إذا به قد صار واقفا أمامى واصمعا كفه على كتفى ناظرا فى عيني قائلا: «أنت رايح قين؟»، قلت بكل ثبات «رايح أركب القطار» مارل البلد بلد الله، قال «أنت مجده»، قلت «لا أنا حسن متاع الشاي» جوه المعسكر تبع الحاج فرهود للمقاول، زام قائلا «وايه الذى معاك ده؟» مددتها نحوه قائلا «حلقاتى» سوف أعطيها لامرأة تغسلها وسوف أشتري المونة، لكن يده - تستحق القطع - كانت أسرع من جوائى، إذ أمسكت بالجمعة فكأنه قص على قلبي والله ياخال، فتحتها وأمسك علب الذخيرة مطلقا من بين شفتيه صفيرا حادا مخيفا وأضبطه، ثم أشار إلى زميله ملحقا بنا وهم من الاندعاش والفرح فى حال صار يمرض عليهم العلب الهمنى الله يكلام صرت أردده

- والله والله يا سعادة البية أما لاقية فى السكة دلوقت ورايح أسلمه لإدارة المعسكر».

زغدنى فى صدري

- «أنت كداب! أنت لسه قايل أنك نازل البلد»

ألهمنى الله من فضله وكرمه

- «يا سعادة البية أنت حصرتك شايغنى على رصيف القطار على طالع على المعسكر» يعنى لارم أروح المعسكر الأول أسلم الأمانة دى وأرجع»

فما دخل عليه هذا الكلام طبعها، ضحك.

- «أنت تستعملها! أنت تركب من هنا كي تجد مفعدا حاديا وترجع مع القطار قبل هجمة العساكر على المتقاعده».

صار كل واحد منهم يسألنى سؤالا، كل سؤال يودى إلى داهية كبيرة. والذى طلع على لحظتها: «أما لقيته وكنت رايح أسلمه غير كده ما أعرفش»، من أعطاك من لاقاك من سواك من سممك» ما أعرف ما أعرف ما أعرف

جاء القطار فدمعنى بجوه وقالوا أركب قلت حاصر ورهعت قدمنى لأصعد سلم القطار، فأرتفع فحدي، فبرزت ماسورة البندقية تحت الثياب فعضوا فى، صاروا يتحسسون حسدى من كل ناحية وهم يصيحون فى استهوال مهرب مهرب! لم يكن فى القطار غير ما فحمت الله على انحصار العصيعة عادوا بى إلى المعسكر طلوا يمشون بى بين الننايات وقتا طويلا، وعند كل بناية يتوقفون بى ويدخل واحد منهم هيغيب دقاته ويعود وهم أثره عشرات من الأشياح الصغراء برءوس حمراء وورقاء تتسلل وتتبعصص وتمصص بالشفاه وتبصق فى اتجاهى لحظتها لم يكن فى رأسى غير أمى وأخوتى والمعلم شددويلى ولم يرعبنى فى كل ذلك - صدقنى يابوى - سوى البنت «حنة»، وماذا ستقوله

عنى لو رأتى الآن فى هذه الوحلة الشنيعة والعياذ بالله البصقات
 ترجمنى فى قعدى إلى أن سهل الكريم مدخلها فى بنية فيها
 عرفتان متقابلتان، دخلوا بى إلى الفرقة انش على اليمين فقلت
 بشرة خير أن حاء كتابى بيمنى فلسوف ينحبنى الكريم بإذن الله
 من هذا المقلب دفعوا بى فوق بساط وردى مستطيل تحفه
 قصارى الزرع من الجاسين استوفى عرفت وجهى عن
 الأرض فدا أنا أمام مكتب يلعب كالدبيب، والقطيعه الحمره تكسو
 سطحه، وفوقه أوراق وتماثيل وطعنايات وعلب سحائر، يجس
 خلفه رجل عتل غليظ العنق كبير الوجه كراس أبى الهول فيه
 الكثير من تقاطيعه، ثقبيل الجاحسين أسودهما بارهما، ومن
 تحتها عيال لا تكلم عن التمديق فى وجهى، عريض استكفيع
 بارز الصدر كموانة مسجد كان يتكلم فى التليفون وكلما سمع
 كلمة بحلفت عيناه فى بعيط، فلما وصع السماعه واعتدل ظهر على
 وجهه أنه قد عرف كل شيء ولم يعد فى حاجة للسؤال عن أمرى
 خرج صوته كالزئير تحلف اليمين يابوى أن جسيمة حيوانات
 بطابها فى صوته المحيف دايه حكايته مانطط الولد ده^{١٥}، حكوا
 له ما حدث بالضبط، وبالملى، خفت أن يظن هذا الدرفيل أن
 سكوتى اعتراف منى بالجريمة، فكيت صانعا «يا سعادة السيه»
 ربنا يخليك ويستتر عرضك، أنا مطلوب. ما كنت أظن أن الدرفين
 انجلى يمكن أن ينشم مثل خلق الله يدوى، أو تبدو عليه مثل
 هذه الطيبة التى كتبت والله أن أصدقها وأكل الطعم الذى فيها، قال
 فى صوت لا أدرى من أين وأتته كل هذه الحمية..

- «معلش» معلش إذا كنت مظلوما تأخذ حقا أربعة
 وعشرين قيرانا! على كل حال سيبك من الناس دول»

صعق بيديه نحو الواقفين يشهم، هادوا له التحية العسكرية
 واستداروا منصرفين، وبقيت وحدي أمام هذا الرجل التخين، الذى
 مد يوره نحوى فى ود كبير، فدهمنى صوت كالكريح العاتية محد
 سيحيرة، وأشعلها لى، وصاح «هت له واحد شاي» وقدم
 نحوى فلوسا كانت على مكتبه قنلا «مش محتاج فلو» إطلب
 مايمهكش ده احد بلديات وانواب فوق كل اعتبار» إسريرت
 أقول «تشكر ياسمعة الغيه تشكر» وجذبت نفسا، وحضر الشاي
 سمعت هوتا يقول: «إجسس»، فذبتت بطرا فى الرجل هادا هو
 يقول بالعم اللسان «إجلس»، فترددت كثيرا حتى سمعت الأمر
 للمرة الثالثة فجلمت على طرف الكرسي خشية أن يتلوث جلده
 من وساجة ثوبى وخشية أن يلتصق ثوبى بانفروخ المنهمة
 النرازة فى ظهري من أثر الصرب بالكرماج والشلايت والشوم،
 وتأوتت بإحمال من شدة الوجع وانهمرت دموى بأضال تحلف
 اليمين كأنها المطر، والرجل يصيب حاطرى ويقول: «إشرب الشاي»
 إضرب الشاي قال متخافش! اللى ضربك حياعد عقابه» وكنت
 منكسا وجهى على الأرض لكسى كت الملح الباب الأزرق يفح سما
 فى صوته يؤلمنى يقول لى لا تمحذ يا حس وإياك شربت
 كم شقطة من الشاي وكم نفس من السجارة ومسحت دموى
 نكم جلبامى، فاشعل هو الآخر سيجارة وقال لى:

.. «إنه نفى الحكاية يا بن علي؟ قول كل حاجة بكل صراحة! إنت

ميش أى مسئولية بس الجدعنه بقى تبورنا بالحقيقة»
مـ ت جايك الحرف ده كله ليه؟
فـ

.. وأحسن الحكاية بإسعادة النيه أبني كتب ماشيا قاصدا محطة
المصلحة لأركب منها إلى المدينة كي أشتري التمسوين وأعود!
فصادفتني هذه البنية مرمية في الأرض وأنا رجل غشيم' لم أعم
أن هذه صنابير ذخيرة لأبها معلقة بالشمع' وبعد ما بطلت
وجدت التندقيتين مرميتين على الأرض ويظهر أن أحدا كان
سارقها ورمى بها' قنت فلأسلمها لإدارة المعسكر' ولهذا طلعت
على الرصيف الذي في طريق المعسكر' فشاء سوء حتى أن
بصادفني البكوات على الرصيف ولم ينتظروا سماع قرلى
قعثومي وانهاروا على المضرب وجروسي إلى هنا بالعافية وأنا ما
استطيع أن أفتح فمي بكلمة!

أشعل الرجل التحين عليونا من العلابين انكثيرة المتكومة أمامه.
ولاح أنه لم يرهس بالاستماع لكلمة واحدة مما قلت فكأنني ما
تكلمت مال نحوي وهبت رياح صوته تحاصرني من كل مكان

.. «شف يا ولدا! إذا قلت لى من الذي أعطاك هذه الاشياء فسوف
أتركك تعود في الحال إلى بلدك وأهناك سبكتهم بجرماتك من
الشغل في المعسكر! فاسمع كلامي أنا ولا يهكم من أى أحد آخر
عيرى! فما أقوله لك أنا هو الذي ينفذ!

قلت بصوتى الفرقان في البكاء

.. «والله والله بإسعادة النيه يمين أحاسب عليه في نار جهنم
أبني أتكلم الصراحة ولا أعرف غير ما قلت»

فأشعل الغليون ثانية ياخال، وأحمر وجهه، وهدر:

.. «إذا قلت لى من أعطاك هذه الاشياء لن تكون متهما بل
شاهدا! أفهمت؟»

قنت

.. «لا إله إلا الله محمد رسول الله! وحق جلال الباريء في
سماء أبني كُنت ماشيا قاصدا المحطة فالتقيت هذه البنية مدمية
لأسلمها فالتقيت البكوات فاعدموسى العافية وجاءوا بى إلى هنا»

أشعل عليونه مرة ثالثة ياخال، نفث الدخان قال كاسي لم انكلم
من الأساس.

.. «إذا قلت لى من أعطاك هذه الاشياء فسوف أتركك في
لحال!»

بحلقت فيه بياض، قلت:

.. «يعنى إذا قلت لك عليه تتركني حقا؟»

فاعتدل ياخال وتصاعف حجمه وصار وجهه كسلة البيض
ولمع الناب الأزرق في بياض عينيهِ المصفر، وصاح:

.. «طبعاً!»

فاشرت إلى العسكري الواقف بجانبه وقلت

« هذا العسكري هو الذي أعطاهما لي! »

انزعص الود العسكري صارحاً بأوده وكان يقع من طوله
وهتف في فزع

« أستعفر الله! أعوذ بالله! أعوذ بالله! »

حينئذ - وبكل هدوء ياحال - ضغط الرجل التخنين على زر
بجواره فدخل العسكري السابق فاندثره قاتلاً

« والعروسة! »

ماحتفى العسكري في احوال كأنه تلقى أمراً بالفرح بابوى
وعاد بعد برهة كأنه الفرح نفسه صحبه اثراً يحملان العروسة
تقدم العسكري منى وطرح العروسة على وشرع يكتفمى فيها
ويتبعده أن يجديبى نحو مكان بعيد عن المكتب ثم نادى به يعطى
ظهره للرجل التخنين ويهمس فى أذنى

« إياك أن تعترف على أحد حتى لو قطعوا جثتك للكلاب! إنا
فى حالة حرب ولابد أن يضربوكم بالنار أنت ومن تعترف
عليه! »

شكرته بنظرة عرفان. لست أملك غيرها إنتهى من مهمة
تكتيفى وتركنى للآخر وعين ما تشوف لا ادور بابوى. فى
بوجعك يا حسن يا ولد أبو خن، الكراج طوين لسان يدوى وهيه

نار الله الموقدة يلتف حول ضلوعى بمنقها. يتعب الضارب وتهد
قواه فيتوقف متشرباً أفعاسه فبينما الروح الحقيقى ينته إليه
جسدى، ويبدأ صوت الرجل التخنين

« إذا قلت لى من الذى أعطاك هذه الأشياء ترحم نفسك
وتنعتق من الضرب! »

فأرد عليه بنفس الكلام حتى تعبوا من ضربى بابوى ولم يبق
مى حشنى جلد يتلقى لسع الكرماج فتزاحمت عليه السنة الذهب
الحمراء فوق بعضها كالجليل والهصاب فوق جسدى. وسلم الرجل
التخنين بأنه لا فائدة ترجى من ورائى، فكتب كلاماً كثيراً على
ورق كثير وشوح به نحوى فاندفع بضع رجال أشداء يلسون
الأفرولات فدفعوسى مقبداً، ألغوا بى فى عمة البوكس فوردي، التى
مضت تنهب الطريق نهبا حتى وصلت إلى مصر الجديدة وثوقفت
عند منزل فسيم قيل لى أنه سرارى النياية. دخلناه، مشياً فى
طرقات وسعدنا سلمات ومرربا على عرف، دخلنا غرفة فيها
أفندى مهيب صغير الدماغ مغلوق الشعر فى الوسط من رأسه كما
الممثل «عماد حمدى»، ولد الطلويات داك الذى يطلع فى الأفلام كان
شبهه الحائق الناطق تقول هو بعينه ظهر على وجهه انه مرتاح
من منظرى بابوى، وانه - تقول - مستاء لما حل لى وبأدميتى
قلما دسعونى أمامه بحدف كاد يكسنى على وجهى صرح فيهم
« ماهدا؟ » صحت ناكيا « أنا أطلب الطبيب الشرعى ياسعادة البية

أما واقع في عرضك يأسفنة الله بعد شرحوني ولسوف أموت
بعد هنية قليلة. ورفعت ثيابي فعرثت جسدي وصوت ألف حول
بني وكان انقبض يابوي قد انصق بحروح الخلد مما
رفعه برع سحاب من جروحي تنقيحة فصار منظر جسدي عجبا
ولنه يابوي ولد، واهبت الرجل وحدته معبر رأسه إلى ناحية
الأخرى لاويا ملامحه من اسالم مدارب عييه بكفه قدر رسا أن
بحرسي لو كنت كادما، كنت هذه أول مرة أشعر هيبها أن
لحكومة يمكن أن يكون لها قن وهذا ما لم يكن يدور لي بعد
على الإطلاق يابوي العم.

بسرعة شديدة تناور الرجل بورق وأشر عليه قائلا كلاما
فهمت منه أنه لا يقلل أن يتسلمني، فطروا نحوه بفهم أشد ثم
دعوني رعبا وتطيش تحت احرام، عادوا بي إلى العربية، انطقوا
عندي إلى سراية أجري في مصر الحذبة، فتلقاني شاب في
مثل عمري وتحصني جيدا وعلى وجهه كثير من لرع الحقيقتي،
ثم أمر برحالتي إلى المستشفى العام وأدوا ١٤ يابوي مكنت
في المستشفى العام أربعين يوما مدة استمرار الحبس ومن
المستشفى رحلوني إلى السجن وهو الحصة التي سأمثل فيها
أمام المحكمة بعد بضعة شهور

أيام الخلق ستة الأولة - مدرسة الظلام المستتير!

من لم يدخل السجن لم يعرف من الحياة كلها إلا نصعها
يابوي صدقي والله، ولم يعرف من طبيعة الخلق إلا ريعها
بانكتير أنت يابوي عدم المؤاحدة لا تعرف شيئا وإن كتب لها
ودورا وما أدرك لكن تأكد يابوي من شيء هام جدا أنه لا قدر
لنه دخلت اسجن لسبب من الأسباب فانت داخل إلى المدرسة
الحقيقية التي ربها ما يكتنها عيك، تغور بكل ما ينتج عنها من
معرفة بكر اذا كان ذلك قدرا مقدورا عيب مفتع عيبك جيدا والا
صعقت في الأقدام، تفتح عيبك تصبح أستاذ كبيرا في الحياة
وتجنس من الجتون، تسوق الضاوة تصبح ممسحة للأقدام.

أيام كانت مريرة ياخذ وملبئة بالسود والهم المقيم كل
لمساحين تجيئهم ريرات إلا العبد لله كالمفجوع من شجرة كل
المساجين بينهم داخل الرمايين أشياء تخصهم إلا أنا ليس
يحصي شيء ولست أحتكم على شيء، فالنقد التي كانت معي
صادرها عسكرة اشترطة من أول علقه ولم أحرق على أن أموه

كلمة مرادى أن أتكسب فى السجن مئتما يفعلون يابوى،
فالسجن سوق أشد من أسواق الحرية، مانع الحشيش المسجون
شعلته فى السجن بيع الحشيش أيضا، تاحر العملة كذلك،
مزيموها، لاعو الثلاث ورقات، كل صاحب مهمة قبل الحسنة
يشتل فى الحبس شغلته التموين يدخل السجن مرضاء العسكر
وفوق أنوفهم أحيانا ومن وراء مؤخراتهم أكثر الأهابين لكنهم
جميعا مرقون مسعدون ومع ذلك هم يشددون الحراسة على
الأحر عسكر من ويتاع من يابو السمع؟ إياك تظن أن فى بلادنا
بالدات شيئا يمكن أن يمنع الحراس، أو عملا يمكن أن يحلصه
المستوظفون بدون أن تعطيه عن يد وأنت صاعر، وطالما أن جميع
القائمين على الشغل فى بلادنا يدون الأيدي حتى وإن لم
يجروها من جيوبهم فإن ماتسموه القابون والصمير واعدل
مجرد كلام فى كلام يابوى. حد هذا الكلام من أحبك حسن ولد
أسى صب وقلبه فى دماغك وأنت تعرف أنه حقيقى، اسأل نفسك
هل استطعت طول عمرك أن تقضى أى مصلحة بدون أن تبرطل
عليها وترشو؟ فمادا تفعل لو كنت مثلى سجيناً وليس فى
حوزتك أى شىء ترشو به السجناء معلمو السجن العتاة من
فتوات المجرمين والصانين تجار المحدثات والقوادين أولئك هم
حكام السجن يابوى صدقنى والجصيع خدم عندهم بالاجر، كل ما
يريدون فعله يفعلونه والقرش هو الذى يتكلم، وأما مقسى محتاج
للقرش كى أبر به جسدى المدهوك فمادنا أفعل يابوى؟

قلت لا عليك يا ولد إن اشتعلت خادما لهؤلاء الحكام الفتوات
مع الحكم الفعلى يابوى إن كنت ضعيفا مثلى فى موقف ضعيف،
وه له كانت أحلى فكرة الفتوة حالى فى مكانه وأما أعسل له
نفسه أطبخ أنظف الزنزاله أسقيه الحشيش أقضى له الطلبات، وما
المانع يا حبال، إذا كان من هم أقصل حتى ممن علمهم أهلهم فى
تربيات المدارس وعالى المعاهد يخدمونهم بأموال كبيرة فلا خير
على أن خدمتهم بأكلى وأصبح فى حمايتهم وهكذا ولفت على
المعلم «طريشه»..

تأخير حشيش كبير قوى يابوى، يخرج من الحبس الاحتياطى
ليعود إليه كل بضع سنوات تجارته شغالة فى حى الماطية من
وراء الجامع الأزهر، كالعادة لم تتعطل ساعة واحدة، تموين شربه
يجىء إليه كل يوم فى الحبس فى عامود الأكل الساخن مفتحه
يابوى فيجد المحمر والمعمر والعضار المطبوخ والأرز المفضل
والكافه والمهلبية، كل يوم والله يابوى تحلف اليمين كأنه فى
الصحيف لا ينقصه إلا أن يجىء البحر تحت قدميه مسافرا من
رأس البر، فى أيام الثريارات الرسمية تجرى السلة ملأنة بما لذ
وحطب من فواكه وسجائر وحشيش وأفيون، كل ما تمتح عنه
خارج الحبس فلا تبعده باى ثمن تجده فى الحبس بأقل ثمن هذا
بالطبع يتكلف تكلفة كبيرة يابوى تصل إلى مئات الجنيهات كل
يوم والحدق يفهم..

قل أن هذا الرجل المحدث أعجبني، أحسنه والله حتى نكل رح
يكسر أنف لحكومة ويدبها بأى شكل، إنه يشفى عيلى وينتقم لى
يادوى قلت لاند أن أكسفه على الآخر فالحشيش لا يسلى ولا
يكيف حث بكور صفيح كال فى لأصل علقة عمير وحث لمادة
العيش الساحى وهى نصف صاجة فعحتها ثانية مصيغا إليها
قليلا من شراب صيدت منها خمس حجارة من حجارة أجورة
وبوصتين قصيرتين بركتها حتى شفت تصلت صارت لو
حطها فى جنبه رجل بسطه وكنت إنترع نفا من قطن المراتب
وحشبات الكراسى أصعب منها أشرطة مسرومة أعسها فى الحار
ثم أحبيب فى مكان حفى من الزبارة مع غيرها من المجموعات
الصغيرة الحجم، أما المجموعات الحظرة كالحشيش والأهوير
ولفود الكبيرة التى يبيع بها المعجم خشيشه فى السحن فكنت أنا
محبها، أرم ورق اسفود مع الأشياء فى حواير مدكوكة فى
بعضها جيذا وملفوفة بلاستيك الأكياس الداعم الأملس حتى إذا
ما لستها فى مؤخرتى أسأت بسهولة إلى الداخل وأن حرقتها
ترفلطت حارجة بكل رقة كنت ألبس أكثر من حبور، ثلاث أو
أربع أدوار فوق بعضها وأكور عارفا بأن الحشيش فى الحابور
الأخير ليسهل إزالته كلما احتجنا لتعمير الدماغ، إذ نرك السجائر
أو الدخان المعس فوق حجر الحورة وشحن الشريط ويمرره فوق
الدخان المروح بالحشيش وشغط بمراج كاسا مشرب على أحسن
جوزة لدرجة أن المعلم «طريشه» بوى أن يأخذ هذه العدة معه عند
خروجه من الحسن..

بهذه الطريقة وهذه يابوى أستطعت أن أمكث فى الحسن
لاحتياضى كل هذه المشهور، وأنا كل بضعة شهر أمكث أمام
قصة المحكمة فأض فى المقص الحديد من ماكورة لصباح حتى
آخر الجلسة إذ يؤشر انفاضى على أور فى قاتلا يعود كما كان
عابود كما كتب يابوى ولا أحد يسأل فى صحة سلامتى والمع
«طريشه» يصيرنى قاتلا إن الله معك، ويعشمى أنه حين خروجه
من الحسن وخروجى بإذن الله سوف يأخذنى لأشتمل عنده نفس
هذه الأشعة لئنى أشتعها له فى الحسن إى أن حاءت إحدى
محلسات ذات يوم فمكث أمام انفاضى حتى انتهت الحصة فعدوا
على عدحت يعرفه لئنى يدخلها القصاص فور إنتهاء الجلسة
كله، نعمين المدعورين من أمر شفاضى ود فى أمام ثلاثة من
الأممية كل منهم يكفى لتحويل بلد حالها وكل منهم راح يطر
فى عيى يقلنى من فوق تحت قن الحاس فى وسطهم وقد
ظهرت على لطية «ياوذا أبت» قنت «نعم يسعادة النيه» قال
«أبت لقيت هذا السلاح وكنت رايح تسلمه مش كده» صحت على
«فور مائلا» «مطبوط ياسعادة النيه» أنا لقيت هذا السلاح وكنت
ريح أسلمه «مطهر الانتمسدر على وجهه وتراجع مضعصا
للحنط صائحا فى الكائن لحالس حواراه» «كنت لقيت السلاح -
وكنت - رايح أسلمه» «وصغط على كلمة كنت صغطا طويلا
مطبوها ألقى به الرعب فى قلبى فلم أستطيع فتحه فى بكلة وإذا
به يصرى أوراقه قاتلا «يعود بك كان» فعدت كما كنت يابوى
وقد أيقب أبى مكتوب لى لمة عيش طويلة الأمد فى الحسن

والمكتوب ما منه مهروب. يوم ذاك جاء المحاميس يرورون المعلم
«طريشة» في رمايته فتكلموا جميعاً في موضوعي، إنهم فسقهاء
في القانون يابوي أحسن من القصة والمعامين يابوي بل هم
أدكي من واضح القانون نفسه ليتهم ما تكلموا يابوي، لقد
كسحوني، كسروا مقاديفي كلها، أفتوا كلهم أن عقابي في هذه
القضية لن يقل عن خمس سنوات، نعم يابوي خمس سنوات هي
براءتي في هذه القضية كما يقولون أما حكمها الحقيقي فالعياذ
بإلله منه.

الثانية - زائر الفرج

لكها الدنيا يابوي أحوالها عجب في عجب!..

في ذات ليلة كنا جالسين كالعادة نشوف مراج العلم، إلا
صوت الاقدام يقترب من الزمزانة، فاستبھنا فما كدنا بشعر
، انفتاح يوضع في قفل الباب حتى دارينا كل شيء بكل سرعة
، منظرنا على الأرض كان شينا لم يكن ما أن انفتح الباب حتى
ادفع نحونا شاب أشقر الشعر أبيض الوجه مستطيل هويي القامة
مدرو أنه ابن ماس وابن مدارس ومن الواضح أنه لم يتعود على
الإهانة انغلق باب الزمزانة في الحال فبقى الشاب واقفاً في
مستحيف الزمزانة كي تتعود هيئته على محتوياتها، ثم استدار
نحوها متطوفاً كالسكران المجهد قائلاً «مساء الخير» ثم ارتدى
«في الأرض مثيراً بجوارنا، فكشفنا عن العدة من جديد وشرعنا
بشوف مزاجنا بعد هذه الخضة الجامدة، وكنت متردداً في
الكشف عن العدة خوفاً أن يكون صيفنا هذا من المباحث
الندسوسين علينا وعلى أبا الدات، لكن المعلم «طريشة» قرأ في
وجه الشاب أنه متهم بالفعل في قضية وليس يمثل دوراً، ثم أنه

راح يتابعه في اسبهر شديد ولم يمنع عن الشرب حين ما ولده
البوصة بل أمسكها بحرفنة واشتياق .

حجر فانثاسي الثالث معاشر أنهى عليه اشباب حكيمه من
ملطق سلامو عليكم اسمه دواثل عثمان . وشعبه ويا لسعد
- إمسك رأسك يا بوى - وكيل نيابة، وتهمة تروير في أوراق
رسمية خاصة محارات السحر وهو في الحقيقة مذبوم فيها
ولسوف تكشف براءته بسرعة هو بعض حبيب وبرى هكذا
قال المعلم «طريشة» من أول ما بدأ الشاب يحكى، والمعلم
«طريشة» لا يحظى النظر أبدا، إنه يعرف ان الناس السيىء من
المجرم من كلامه سلوكه طريقة حلوسه يومه أكله شرهه كى
«دواثل عثمان» يظل طول الليل يفكر في قصيته وفي القايون
والسيجارة الاحبية - ليس ابن مسر - مهلهة بين أصبعيه على
الدوام الريارات تجي له شكل متواضع فيه، «سبب الاكل يفرده
أمامنا كله لقد احبه المعلم «طريشة» كما أحسنه وصريا مشغولين
بقصيته أكثر من شغلنا بقصيتنا لكنه ذات ليلة شرب معا حجارة
كثيرة وبدت عليه علامات الانسباط هراح يستمع إلى حكايتي
بشغب، كاملة هذه المرة بعد أن كان يستمع إليها متعابها صغيرة
فلما أنهيت كلامي ضحك من كثرة السرور وخبطني بكفه على
كتفى قائلا والإشراق كله في وجهه «أنت قصيتك سهلة ومراة
مئة في المائة» قلت أنا والمعلم «طريشة» في نفس واحد وكيف

ما راجل؟» قال «وأنت في المعسكر هل كانوا يفتشونك في
«حول وهى لجروح؟» قلت «لا يا بوى» أبدا لم يكونوا يفتشون
«نعم عرفوني ووثقوا في» قال «أنت لا تفن هذا» إذ أن المرحوص
انهم لابد أن يفتشوك وأنت خارج من المعسكر» قلت مرحبا «نعم
يا حائل» قال مشوحا بيده خلاص «انتهت القصية» هب «كيف
«أحد» قال «إنهم عتشوك عند حروحت من «سواة» وهذا معناه
أنك لم تسرق سلاحا من المعسكر» إذ لو أنك سرقته لصطلوه في
«سواة» عند تفتيشك» ومعنى هذا أنك لقيت هذ اسلاح في
الطريق».

تُحلف اليمين يا بوى أن هذه الكلمة مورت في دماعى مثل
الكتوب هي الفرح قلت «والله أنها فكرة كبيرة يا بوى من أين
جئت بها يا ابن الدس الطيبين» قل باسماء «تراك تستطيع أن
شرح هذا للقاصي» قلت مرتعشا بالفرحة المملة «ربا معي»
قال «معك محام» قلت «لا والله يا بوى العم» محامى هو «ه»
قال كأنه يسرح بخيالي «لا عليك» إن المحكمة ستندب لك محام
بدفع عنك بالحقار وسأكتب لك مذكرة قانونية تعطيك للمحامي
أون ما قرأه» قلت وأما في غاية العجب «أله يكرمك ويوقف لك
أولاد الحلال» أله يفتحها في وحبه دنيا وآخره أله لا يوقفك في
صيقة ويخرج عنك ما أنت فيه» «مصار يرت على طهرى في
حان وصرت أبكى في غرارة

«وائل عثمان» ابن أصل صحيح يابوى اللهم زد وبارك ظل أسبوعا بخانه يطلب ورقا أيضا وأقلاما وكتبها بعينها يحدد لزواره أماكنها في دوائيه بيته، وأسبوعا بحاله يكتب في هذه المذكرة كل يوم يكتب صفحة. إلى أن حان موعد الجلسة أخذت هذه الأوراق معي إلى المحكمة، ووقفت في القفص الحديدي إلى أن مودى أسمى فصحت كالوج قائلا «أنا أحلب للحامي الذي تدبه المحكمة للدفاع عنى من فضلها وكرمها على!» - وكان «وائل» قد لقننى هذه الصيحة - فانسلك عن مقاعد المعاميين رجل عجوز تبدو الطيبة على وجهه، وتقدم منى قائلا أنه محام، فدفعته إليه بالورقات فذهب يقرأ فيها طالبا إرجاء القضية حتى آخر الجلسة، فاستجابت له المحكمة، فجلس محمرا في القراءة باهتمام وتقرفت داهل القفص أتابعه بقلب واجف وهو يقب الصفحات واحدة بعد أخرى حتى أتمها ورفع وجهه عنها وبدأ متحمسا للكلام ومودى أسمى من جديد فانسرى المحامي يدافع عنى بكلام من دماغه يشبه الكلام الذى يقوله «وائل» بالسيط وقد أكرمه الله من أجلى فانطلق لسانه فى كل واد وقال كلاما كبيرا يابوى رقص له قلبى من الطرب، شرح للمحكمة حالى وغلى وطيبتى واستحالة أن أكون ذلك المجرم الذى يتراءى للمحكمة الموقرة وفى النهاية يابوى لم أصدق نفسى وأما أسمع صوت الحكم على سنة مع الشغل! لم أصدق إلا بعد أن بارك لى الحاجب والمحامي فرمعت ذراعى صائحا يحيى العدل!

الثالثة - فولة فى قلب غولة

حاجة تهوس يابوى، الدنيا أمورها عجيبة ولها فى كل يوم نصايف من تصارييف لا تخفى للنسى آدم على بال. أما مثلا يابوى خرجت من الحبس يامولاي كما خلقتنى يارب ترقمى، لا قرش ولا عشرة، الثوب الكشمير والآخر البوليس والقعيص والسروال تسلمتها من عهدة الحبس فلبستها ومصيت فى شوارع مصر المحروسة أنقسم عبير الحرية أتمنى أن أكون فى عشرات الأماكن فى وقت واحد وأرى عشرات الناس فى لحظة واحدة كنت جائعا فشعنت وتعبا فاسترحمت ومريضا فشغيت كل ذلك من هواء الشارع فحسب، أى والله ياسوى، وبالإشارة كان يحيل إلى أن كل من يلقانى يجب أن يقف ليسلم على وأسلم عليه فى اشتياق ولست أقسم من أين جاءنى أن كل أهل المدينة كانوا على علم بمعينى وأنهم تبعوا لك لا بد أن يفاجئوا من رؤيتى فى الحلاء طليقا، إن هو إلا إحساس عجب لقائى الله يابوى، إحساس بأسمى قد صرت منصوما بصعفة السجن حتى وإن صرت حرا!

عبر أنسى ما لبثت حتى جعت وصبرت هفتاناً أتلوح في مشيتي
 كحبر مائة انحلوع من الأرض تلعب به الرياح مشبهاتها شجعت
 ٥. ألف هي شوارع لمدة وحواريها لتي كنت أوحشتني وهي
 اسهانة صرت أنسى رقعته من لأرض أتوسد فيها دراعي وأسلم
 روعي لنكريم الذي لا يعمل ولا ينام حيث لا يصحيني بالأمر
 سحر ولا يتأمر على جدويش أو حفير أو ديدان لكن أين هذه
 الرقعة يابوي؟ هذا حرم كبير خدا يابوي هي هذا البلد لا يتحقق
 مثل هذا الحلم، إنه لا يتحقق إلا فوق مصطبة دارنا في بدتنا حيث
 أمي وعين الله ساهرة

«أدخل تدب مطرح من تحب» هذا مثل من الأمثال شهدت به
 أرجل البشر على مدى الأرمم يا حال الذين قبلت قالوا وقولهم
 حق مدور هي صحائف الأيام يابوي أنا مثلاً، ما اندى عاد من إلى
 حواري مصر، القديمة رغم أنني لاقيت فيها الهوى وشريت منها
 كسرات ادل والمرار المؤكد يابوي أنسى لى فيها صلع كبير هو
 اعلم «شندويلي» أحب أن أراه ويراني، ولي غيبها أدم حلوة
 وليالي أنس وإن كانت قليلة غابها لا تغيب عن المال أبداً..

أمر عجيب والله يا حال، لقد كنت مقبلاً على مصر القديمة
 وكلتي سرور وانتهاج كائن في سكة الدوايح إلى بندي وأهلي
 هي أول اسهار كنت أسير بلا هدف أترب الحواري ترعسي إلى
 لشوارع والشوارع ندلقس في الميديين والميادين ندهورنى وقتنا
 تشككي بعده هي اتجاه غير مقصود أما مصر القديمة فأنسى

مصدتها قصداً دور أن أدري وترسعت طريقها حتى أشرفت
 ناديا قبل العصر بغيل هماسي تكلم اقتربت منها ودخلت في
 عمق حواريها يتقص قلبي كأن يد مارد شيطان تقصصه.

١. «يا بوي، أنا أقول لك السبب ولكن، لا داعي، فضك من
 هذا السبب وربما أكون كما فيه، فليس يعنم بسر القلوب غيره
 سبحانه وتعالى إنما أدى أنا منأكد منه يحد أن حواري مصر
 عديمة وشوارعها راحت تلقى في وجهي باليالي السوداء
 كالحة جماعات وعراى كلف أوعلت في دروها طلعت على سود
 ليالي نفع هي شحوب اساء تذكرني بنفسها يابوي تتعرف على
 نناد الاحسن المرمية على سواصى لحارات نهب واقفة وتقبل
 نحوى مسيئة ومعاقبة بالاحصان تقول لى أبش حالت يا حسن
 ١. من على وجهي سوى «تسامة» أشعر أنها جفت من طول ما
 ومات ليالي السود الكاحنة مذكرا، ياف هي رقة بأنسى هو. نعم
 ٢. هو ذلك اندى أحبك بمأسيب وبلايك ومضائك وشقاوتك
 العديدة المصيبة يا حال أن ليلة من كل هذه الليالي التي تعرفت
 سبها وتعرفت على بين حواري مصر القديمة وشوارعها لم تتكرم
 وتدعوني للقاء في حصرها حتى الصباح يابوي لم يطق صوت
 ٣. أحد يقول تفصل يا حسن على العشاء أو حتى على شرب الشاي
 ٤. أو حتى تفصل ولو على سنبل برو العتب رصيا بالغلب ولكن
 اعلم لا يرصى»

قلت والله لا أرتضى بدل أبداً، ومضيت لا ألوى على شيء حتى
 خلعت مصر القديمة وراء ظهري وصرت في إسطنبول عنتر. تذكرت
 حكاية أسي ما مررت على المعلم «شندويلي» وكان الواجب أن أمر
 يابوي فالعلم «شندويلي» كله واحب، وهو القلب العنوني الذي
 كنت أضرم عنده عدوة كبيرة ومومة خلية الببال هنية لكنه ألغ
 الصعيدي يابوي، ترس ترسة شديدة ولم يشأ أن أعود كل
 الطريق الذي مشيته يحيل إلى يابوي أسي صعبت على نفسي أن
 يرأس وقشف السجن على وجهي وكل حسدي وعلى لسامي ثم
 طراً الخاطر الكبير على دماعي يابوي قائلاً وما الداعي يا أبا على
 أن يعرف المعلم «شندويلي» أنك كنت في السجن أصلاً، لو علم
 ربما يستقلك في نظره ولا يعتمد عليك في سر، وقد يتسرب الخبر
 منه فيعلم به ولد بلدي وتكون العصبة في بلدتنا قلت ياما أنت
 كريم يارب، ومضيت أحترق شوارع إسطنبول عنتر

في إسطنبول عنتر مقهى صغير خفيف الدم يقع على ناحية
 صغيرة لكنها بارزة، صاحبها يرص كراسيه انقش المعصية
 ودكته الخشبية المعلقة في أرض الشارع الذي لا تسير فيه
 المقاتلات، يجلس في هذه المقهى خلق كثيرون من باعة السمك
 السريعة وأنفار شغل العامل والشعاليين والتابعين. لي فيها ولد
 صديق يمسح الأحذية في الشوارع بصندوق صغير ويتخذ من
 هذه المقهى موطناً ليلياً حيث يلعب القمار مع شلة من أصبع خلق
 إنه مثلي اسمه «حسن»، عير أن أهله يدعونه فيطلقون عليه اسم

«ميمي» دلح الفقارة يعقع الماراة كما يقول النمل والاسم عير
 «اك» عليه لكه يركب عليه فقط في قهوة «دعره» هذه وفي
 لعشش التي يسكن مع أهله في واحدة منها على بر الجيزة نحو
 حربة الذهب، حيث كل سكانها مغفري صندئي الوجوه وبينهم
 «حسن» هذا أبيض الوجه على جبينه خصلة شعر كأولاد الذوات
 له ثلاثة إخوة صغار يشتغلون مثله في مسح الأحذية ولا
 «حضور الدار إلا لأم» وأسي لأحب هذا الولد لأن فيه لطشة
 اصدعة يفعل أشياء يعجز عن فعلها رجال بشوارب عظيمة
 وحامطات نقود متفحة، لا يهمه أي شيء هو الآخر يحبب لله
 في الله وكان يتعارك من أجل متعلما أتعارك من أجله إذا وجد
 أحداً الآخر في رنقة.

الولد بط من الفرح بمجرد أن رأيته والله يابوي وشالني من
 لأرصر «أريك يا حسن أهلاً وسهلاً عاش من شاك» جاء الشاي
 مشربناه وحدا على كوعة الرصيف المقابل وقام «ميمي» فاستلف
 عليه سجائر صغيرة وضعت بيننا، قال «أنت قادم من البلد».
 قلت «أنا قادم من السجن مباشرة إلى ههنا» نهض واقفاً في
 الحال يقول «طبع لا يبداء، ثم سحبنى إلى كورنيش النيل بعد
 مبداء أثر المني، فعبيراً المنهر بالمعدية ومضياً على الشاطئ قليلاً
 حتى وصلنا إلى عشة بين حوالي مائة عشة مبنية بالطين
 والبوص على مساحات عريضة بين شطب وأشجار كثيرة

الرابعة - عيان يضاجع ميتا

فى وسط دارهم البهجة حكيت له حكاية السجن من ملقمق
لسلامو عليكم. احتفت بى أمه العجوز لما علمت بالحكاية وذبحت
بنا بطة كبيرة سلقته فى الحمال مع حلة أرز ومرق أمه كانت
طبية وتشبه أمى لحد كبير يابوى، قالت وهى تضع الأكل أمامنا
حبيب «أقلع هدومك أعسلها لك وأزيل عنها رائحة الأيام
«المشومة». خلعت ثيابى وحلج ابنها ثيابه، وبقينا فى السراويل
فحسب متحررين من الحشية على الثياب مرلنا على الأكل حتتك
بنتك، شغلنا من المرق ما كان يتصبب فى الحال عرقا لديدنا
مصمصنا عظام البطة حتى لم تعد للقطط والكلاب بعدنا أى بركة
تراجعها وبعد الأكل شربنا الشاي دورين وأتينا على بقية علبة
السجائر تمطرقتنا على الأرض مستشعر الرخاوة نستكمل بقايا
الكلام حتى سطلنا الهواء الخريف مغطسنا فى يوم عميق، حتى
الولية هى الأخرى..

لولا أن البول حصرنى فسطمت أتنى أتبول ما كنت صحو
كاست الدنيا تبدو لى لحظتها وكأننا فى منتصف الليل، وأنوار

مصر تلعلط من كل ناحية فوقنا وتصب في حوش الدار شيئا قليلا من لآلئها لكرت «ميمى» فتقب وعجن عينيه قائلا كان الكلام لم يتوقف بيما بعد «هبيه» بعدين» قلت «أريد أنك حصراء أشار إلى تحريشة في ركن الحوش البعيد فعرقت أنها الكيف فاتجهت إليها مقصيت حاجتي واسترحت وبحثت عن عقب سيجارة أشعله فوجدت «ميمى» يحتفظ بسيجارة قدمها لى مشتعلة فترمت لبعض دقائق وبصع أنفاس ثم طلعت ثيابى لآلبسها هدمت الولية لتأني بها من على حبل الغسيل فدم تحدها، لم تجد لحصريات الدار كلها أثرا، حتى الحبل والوابور والأكواب صوئت بالولية بكل عزمها، مايقنت أنه الحس يابوى قد لحق بى فى هذا المكان الهائىء صرنا جميعا فى ريع هدوم بل فى كامل عرينا، إذ ليس من خيط فى إبرة يستقر عورقتا إذا أردنا مفارقة عتبة الدار، وقلت لابد أن شيطاننا يترصدنى يابوى.

شئ الله قال فى نفسى كفاك هذا يا حسن وتادب وقم من هذا المكان، شعرت بالرعدة فى قلنى والله يا حال، فطويت وجهى عن السماء وقلت جسمى على نفسه كأن السجن قد تقارنت جدرانها على حتى التصقت بجسدى وتشكلت بعريه وقلت للولية هى صوت يقطر البكاء منه «والله ياولية انى لا أعرف ما أعمله الآن فدبريىء طوت الولية وجهها عى ومسحت دموعها للهامللة وتمخطلت ثم قالت «تدبرها الطاهرة أم العواجز أم هاشم ابنة ست

رسول الله صحت حبايرا كاتنى أشتم وأردج «مدد ياست ريب» وريبا شطارتك أكيد لك الدلال على ربنا» بهصت الولية «تب كسير وصارت تروح وتجىء حائرة تشد فى ذيل ثوبها ويستبرل اللعنات على من فعل هذه الفعلة الخبيسة فيا «إلهى ما يوعى يات» إلا هى يتقطع جسمه تحت عجالات قطار» إلهى يصرف أصعاف أصعاف ثمنها على الحكماء ومصر الدواء وشر ادلاء».

استوقفتها قائلا كأنها المسئول الأكبر عن زىقتى هذه الشيعة «كل هذا لن يرفع يا حانة فدبريىء» هاشاحت فى أسف وبعد صمت طويل كطيم بهض «ميمى» ومضى حارجا بطريقة فهمت منها أنه سيبحث عن اللص ويضى به من تحت طلائق الأرض لكنه عاب يابوى. وطال صبرى وأما أجلس تارة وأهض تارة أخرى كالسمع الهائج أريد أن أمتك بالولية وأهدم هذه الدار على دموعها النحس، وهى فى كل مرة تنجح فى تهدأتى بسياقتها للسى وللولى وآل اللبت كلهم مما يعجزنى عن التمداد فى الهياج خشية اللط فيهم هم الآخرين وهم شفعائى عنده سبحانه على ما صدر منى تجاهه من لحظة فائقة لكننى يحال كلما تذكرت أننى خرجت اليوم من الحبس إلى حس من صنف جديد تعلو الدماء فى عروقى كيفما يغلى الماء فى براص الشائ ويتفرك من الغليان..

غابت الولية قليلا ثم عادت وفي يديها كوب شاي ثقيل رمع صيقى الشديد بمظهره فلنني انشרכת قليلا لرأه، الحاطر الذي جاءني لحظتها أن أمليح به ويديها في الهواء فليحرقها الله قات الولية أن الجيران سمعوس وعرضوا كل شيء وخرنوا من أجلى وأن أبها هناك يتناحت معهم فيمن يكون السارق الجبان، وانحست ووصعت كوب الشاي بجوارى مظهرها صعب على يابوى فسكت وبعد وقت قصير وجدت يدي تمتد على كوة الشاي فإذا للشاي طعم عبقري يابوى، سرى منه الحدر في أعصابي فشعرت أنني استرحت. بحثت بعيني عن الولية فلم أجدها، فقامت أنمشى من جديد ولكن في هدوء هذه المرة، أحاول الوصول إلى بر ولكن بدون فائدة يابوى، لا طريقة ولا حل والدنيا مثل خرم الإبرة وأنا الخيط يريد أن ينفذ منه في حلقة الطلام. الدموع تهطل مدرارة على خدي وأنا أحس من لهيب عليانها أن الله غاصب على هذه الأيام وأنها أيام نحوس بالنسبة لي ولن يرضى عسى سبحانه إلا بعد روالها وهو وحده يعلم متى تزول لكن العشم في رحمته قريب إذا بالولية داحلة تحمل بين يديها خرقة كالحة تقترب بها متى قائلة أن الحيران ماس على باب الله مثلاً وقد فتشوا عن ثوب قديم عندهم يمكن الاستغناء عنه فلم يجدوا لأن كل ثيابهم في الأصل قديمة ومعظمها حليج مما استغنى عنه آخرون لكن أهمهم الطيبة دخلت القاعة مرأت عجبتها مغطى بهذا الثوب فنظرت فيه فوجدته لا يزال مبالحا لتفطية المسد معرطت الأم في عجبتها

واسمعت - كثر خيرها - عن هذا الثوب فعمساه بجمع أو يقصى مصلحة

عصيا عنى تناولته يابوى، رحت أقلب فيه وأتحسر على حكم ارمس الجبان وفعل الأيام في. الثوب حش يابوى، ملء محبيات قطع الحبيب الماشف ورائحة النحالة والثراب وخراء القمل والبراعيث والصراصير الا أنه متماسك التسبيح وليس به إلا رقعة واحدة من ناحية الكتف وبقعة عريضة جدا من زيت الطعام شربت من الوسخ والثراب ما شربت ولا يزال ملمسها طريا كجلد الأفاعي لكسي لبسته يابوى، وضعته على كتفى وأدخلت أكمامي فيه وطرحته على بدني فاستقام كاسيا حتى ما فوق الركبتين نقييل قلت نحمد الله على ذلك، وقتت للولية سارجع بعد قليل وقولي لابطك ينتظرنى فسوف أميت عندكم سواد الليل.

الخامسة - الله أكبر لكن الليل كافر!

أخذت الباب لى وجهى ومصيت

تمكنت شطىء الليل وبقيت ماشيا لا أعرف لى وجهة أخرى،
حتى لاح لى من بعيد ضوء خافت محمر، كان يزداد احمرارا
وقالفا كلما تراجعت بيوت المدينة وأحاط الظلام كل شيء قد
عرفته يا بوى، تذكرت أننى أعرفه، أعرف أن هذا الضوء يقوم أمام
حصن على هذا الشاطئ يسكنه خفير وأولاده إذ أن هناك من
يمتلك هذه الأعدنة الكثيرة من طرح البحر قد زرعا أشجارا صغيرة
لا أحد يدرى ما هى بالصبط حتى خفيروا وجاء لها بماكينه مياه
وبهذا الخفير يحرسها، تذكرت أن اسمه نعم ذهب وأنه يحفر
هذه الأشجار وهذه المكينه منذ سنوات، فى النهار تراه مترددا
على أسواق السمك والفاكهة يداعب التجار ويتحدث معهم حديثا
وديا طيبا، وهو مشهور بينهم قلت لا مفر يعم ذهب! أنت الآن
الذى أمامى وقد حاءت الطومة فى المعطوية هذه المرة ولكن ماذا
أفعل! أنت على الآن تستطيع التصرف أما أنا فلا أستطيع شيئا
مطلقا! فدعنى أسرفك بالطيبة أو بالقصية بدلا من قتلك أو قتل
روح أخرى!

أخذت أداري بنفسى وأظهرها كلما اقتربت من حصن الرحل.
 كان صوت أم كلثوم يصدر مغميا هلت لئالى العمر - مع أن الظلام
 كان دامسا فلما حاذيت النخص من حانته الأيسر داريت جسدى
 فى ضلمه ونظرت فإذا بالراديو مازكة بصوت العرب معلق فى
 مسمار فى جدار النخص. وإذا بـ «عم ذهب» وزوجه وأولاده
 ناشمون على الشاطئ أمام الحصن كالسطيحة. هم يتبارزون فى
 التخيير كأنهم يهزمون بصوت أم كلثوم، همست قائلا معهنش
 ياسيدة العناء يالسة فىسوف أثار لك الآن ومددت يدي فاعلقت
 الراديو، فساد سكون كبير سرعان ما احتلته أصوات الصفادع
 والصراصير وصوت التخيير تحسبا للموقف صفقت بيدي
 تصفيقة واهنة قائلا بصوت أشد وهذا يا جماعة ياللى هما فلم
 يجاوبنى سوى التمهير، فتسللت على أطراف قدمي ودخلت
 النخص، لأرى ثياب الرجل ووجهه وأولاده معلقة على مسامير فى
 النحاش فلممستها كلها ولغفت فيها الراديو وكل شيء وجدته
 وتسللت خارجا أمشى على الشاطئ فى هدوء وسرعة شديدين
 وأنا أقول: استقر يارب.. حتى وصلت إلى دار صاحبي «ميمى»
 والفجر يقول: الله أكبر.

فى دخلتى كان صاحبي يتعارك مع أمه يوبحها على نومها
 والولية لا تزال تستنزل فصب السموات كلها على الذين فعلوها
 وعيششوها هذه الليلة الكلاء النخص التى دخل الحرامى فى
 أعقابها فقتشهم فقتشها طرقت الباب ففتحت لى وشهقت لما
 رأنى «لقت الحرامى» قلت «نعم» فذهب صاحبي وأقبل

مهرولا «كيف» دمعتهما معا إلى صحن الدار مقلقا أساب جلعى
 بالترباس، وقتت للولية وأنا أفك الصرة انكبيرة «هذه حلل وأطباق
 وواور بدلا من الذى صاع منك بأحله» لعل النخص يروى عنك
 وهذه ثياب لك أحسن مما سرق! أما أنت يا صاحبي فهذا ثوب لك
 أجود من الذى سرق. وهات فنتة صوعية باكمسام جراء لك على
 كرمك معى! أم هذا الجليب الصوفى المعنبر وهذا الثوب البويلين
 الحميم وهذا الصديرى الشامى - بكل ما فى حيوبه - وهذه الفنتة
 القطنية وهذا السروال وهذا النعاء وهذا الراديو وإنها جميعا لى
 ياخال! الله الله على الجد! والجد الله الله عليه!

«قل الولد وأمه فى نفس واحد» «حلل عنك يا عم» والله إنك
 لتشكر! ومطر الولد فى عيني قائلا بلهجة موروية عبر سالكة
 «علمت كيف يا أبو على» حاديت طهر كفى معك وشطحت فيه
 «لا شأن لك» أشغل أم بحلقة» «اعتدل الولد قائلا «شغل طمعا»
 شغل!»، ثم نهض من فورهِ فارتدى العانة ولجساب فظهر كأولاد
 الناس وإتفق فى الحال على أن تقطعها أمه من الذيل والجسبين
 مقدار ثلاثة قراريط، ثم خلعه ورمى به لأمه، التى تلقفته وفى
 الحال راحت تحت فى عقدة منديل رأسها عن ابرة الحياطة، وعدد
 صاحبي يتقب الصديرى بمطرات كالحة صابمة، حاصدة بعد أن
 سويت الصديرى على صلوعى فكانه على مقاسى بالصبط. ولقد
 راح قلبى يرقص تحت ثقل المحفظة الكبيرة التى كانت فى جيبه
 يابوى، أشبه بمحفظة تجار الحبوب والأقطان يابوى، وكنت أؤجل
 فتحها لا أعرف لماذا ياخال. بسرعة سويت الجليب البويلين على

جسدى ومن فوقه الجلباب الصوف ثم الحذاء قبدوت كشهنذر
التجار فى زمانه، رحت أخطو وأعود مسجريا المشى راملا فى ثعين
التياب فوجدته عاية المراد من رب العباد حقا ياسوى، وعذرت
الناس فى تكالبهم على ذلك وتذكرت قور أحد الأئمة لعله دأمر
«حذيفة» إذ يقول على لسان عمى الفقيه الكبير «تقمشوا ثمين
الثياب يحترمكم الناس»، يوما قال أحد المختصين الأذكياء على
عمى الفقيه «دعك من هذا ياسيدا فأبو حذيفة كان يروج للقماش
باعتباره تاجر أقمشة بالوراثه»، وشحط فيه عمى الفقيه وطرده
من مجلسه طبا ما قولك الآن يابوى فى أسى قد صرت متحيرا
لابى حذيفة فى هذا القول؟ صحيح أن الإمام أبا حذيفة لم يحل لنا
مشكلة الفلوس التى سمشتى بها هذا القماش الثمين ولكن الذى
صار مؤكدا لى الآن هو أن لبس القماش الثمين هو رغل المعيم
حقا، فاللهم أوعدنا به..

قطعت الحوش فدخلت التعريشة الكثيفة موهما أنسى سأفعل
مثما يفعل الناس، وجلست، وجلست فحلا على الملاقى بعد أن
حللت سروالى فإذا بى بالفعل كنت أريد ذلك فمضيت أعمل ثم
استهرت الفرصة وأخرجت الحفظة نلقب واجف ويد منتفخة
كأنى أسرقها الآن فقط، فتحتها وانتهكت جيوبها بسرعة فإذا هى
تعمل خمس ورفات مخمسين جيبها وسمع جيبها فتكة وحانم
فغنى مكسور وبعض أوراق صغيرة مطوية خرجت يدي ثلاث
حنيتها مطوية ثم أطنقت الحفظة فطرقت كسولاتها بلذة

وأعدتها إلى حبيب الصديرى لحت ظل صاحبى يتلصص على من
خلف باب التعريشة الصغير، ويحدث عن ماء فلم أجد ممسحت
مؤخرتى بطوبة وبهضت رابطا سروالى وخرجت إلى الحوش
ملاحقا صاحبى الذى كان يسرع ليعبى عن نفسه شهنة التجسس
على، قبحبت على ذراعه وبالأخرى عرصت له الحشيات قائلا
«وجهت فقرا» هذا كل ما وجدته حذو، وترعت حبيها أحضر
سمهرى القوام عريض المنكبين يقف على صدره وجه أبو الهول
فما رآه صاحبى حتى وقع معشيا عليه من الفرح، فصرت أدفعه
ببور الحذاء فى جيبه ودقنه ليفيق وهو مدمج فى لثمين يرمى
جثته يمينا وشمالا ويشق شقة طلوع الروح كلما فتح عييه
ورأى ورقة الجيب فى يدي دفعت باليمين فى صدره ومضيت
قائلا «دعنى الآن أذهب إلى حال سبيلى قبل أن يطلع النهار
فتمدث فى الأمور أمور»، فمضى معى نحو الباب متفائلة
والسروال وعابقتى، فمضت، ولحقت الولية بى عند الباب
فاحتضنتى وقبلى فى جيبى قائلة «مع السلامة يا ولدى» الله
يسهل لك ويفتحها فى وجهك ويبعد عك أولاد الحرّام،
فاستهدى قلبي خيرا بهذا الدعاء، وقلت والله أنها دعوة تسارى
عندى أضعاف ما أعطيت لها

وخرجت، فمضيت أحرم فى طرقات متوغة فى ير الجيرة
أمشى بحطوات ثابتة وثقة وإن كان قلبي فى صدرى كسندول
ساعة المسجد بإحال.

السادسة - الهروب من قرص الشمس!

أدركتني الشمس واقفا على محطة الجبيرة في انتظار قطار
الصعيد فبقيت ناعرا من قرص الشمس مزورا عه أحاول أن
أتلاشى رؤيته لوجهي حتى جاء القطار مركبته فظل القصر
يطردني من شباك القطار يترصدي من سمائه ويسرع فيسبق
القطار بأعماق، ويتطرد ليشده، فكانه يبحث بين عموم هؤلاء
الركاب عني وهدى، يشدد لهيبه، يحذر أنه سيستند معي ويشي
بي لركاب، يفصحنى الفصيح السمع كلما أجمته بإعلاق هذا
الشباك يابوي هب هلف من الجالسين أمامي وطلب رؤية المزارع
والخلاء وانضوه الصباحي الداهي الخلو، يعطيني الهلف دروسا
ومواعظ فافتح الشباك رغما عني وشيء الهوى في نفسي يقول
يا ولد إقصر أنشر ولا تتشاك في حياقات على الصباح فاحز
الشيطان وأوصل إلى أهلك على خير أعصمت عيني في وجه
الشمس وتذكرت الراديو مفتحة فامطلق صوته برقصة ساحرة
كان الكور بجميع أركانه يرقص ويمر مع شادية وهي تعنى
«يا نور عيني» وأكثر وأكثر شويه يا أغلى عدى م الدنيا ديه»
فتطلع وراءها الموسيقى هاتمة مشحولة وداغى سابح في بحر

ذاك وأمي تخضعتني معنية نفس الكلام على نفس الموسيقى، ثم
تعتيت لو أن البنت «حثة» بنت أبي سكين هي التي تفتني لي هذه
العنوة وصوت الكمساري يدخل في هذه المزيكا صائحا في علقة
«أنت ياخويه ياللي هيمان في الضيال بتقسم» النسي تبسم! لكن حين
التذكرة»، فصاحت مبتسما ووصعت يدي في حبيب الصديري
الصغير المعد للساعة فأخرجت التذكرة حديدية حصراء سميقة
فأحدها الكمساري وقرصها بالكاشة وأعادها إلى مساعدتها إلى
نفس الجيب وقد داخلتم مشوة إذ أدركت حلاوة أن يكون للمرء
صديري كهذا لأشياء كهذه فيا للآلهة يا ولد يا ولد أبي صيب والله
صرت الآن رجلا محترما ولو على قفا الآخرين يهر لك الكمساري
رأسه بالتحية ثم أب الكمساري دخل مع الهلب الجالس قبالي
في كلام وهديث فهمت منه أن هذا الهلب لم يطمع تذكرة ويريد
قطعها الآن وينالك الكمساري ويساومه والكمساري يقول له يا
بجم، تكيفت يابوي من حلاوة أن يكون مع المرء مفرد يهينها بدلا
من أن تهان نفسه عذت يا بوي سفرت من قرص الشمس
واقنعت أن له مهمات أخرى كثيرة وأنتي لست في حسابه
فأصططعت ممددا منصتا إلى صوت الراديو وكان في حبيب
الصديري علبة سجاثرها مفعصة هي بقايا سمانز «عم دهب»،
وكانت بعض سجاثرها مقلوبة على وجهها فرجحت أنه يعجزها
عن غيرها إذ هي محشوة بالمشيش لاذ، غير أنني لم أتذكر ذلك
ولم أنته إليه إلا بعد أن دخت أحر سيجارة من المقلوبة، سرح

دماعى مع الراديو، شيء مليح والله يابوي، مليح قوى قوى، هذا
الشيء المسمى بالراديو، يصدر بالفداء والكلام والموسيقى
ولقرأ والتشخيص والنسخة وكل شيء، قال الرسول عليه
الصلوة وأتم السلام من علامات الساعة أن يطق الحديد وما هو
ذا الحديد قد نطق وملا الدنيا ربطة وزمعلطية ولم تقم الساعة بعد
معنى تقوم القيامة؟ وما المقصود بهذه الساعة يابوي؟ إنها ساعة
القيامة بالطلع يا حال، وما القيامة يا حال؟ ما القيامة التي ينتظر أن
تحدث ويكون مطلق لحديد علامة من علاماتها؟ عقلتني يحدثني
يابوي أنها قيامة الحلق يقومون ليفعلوا شيئا كبيرا يا حال!
يقلون الذبي مثلا فيجعلون أعاليها أسافلها لنتنفس حق طال
انكتم أنفاسهم وليجرب آخرون انكتم أنفاسهم؟ وإن من يكتم
أنفاس الحلق يقوم الحلق عليه ذات يوم فيعكوا قيود السجن من
الهواء الذي استلبه فيمرح الهواء في فراعته الحميمة يعاقب الحلق
يست الزرع ترقص تروغ الشجر تنحتر الأنفاس تنزل غيثا يهمل
على الحلق بالحياة" في ظني يابوي أن الرسول عليه السلام قد
مدق وأن القيامة سوف تقوم حتما قسما عظما لكن حين يؤون
لاوان ليمطق الحديد - هذا الحديد الناطق - بكلمة السر الحقيقية
لتي لست أعرفها بالضبط يابوي.

شيئا فشيئا راح صوت الراديو يشحب وينداح ويهز،
وتذكرت أنه يعمل بالحجارة البطارية مما يباع لدى البياعين في
سوق العتبة وسوق غرة والدكاكين البندرية اعتمدت لما تذكرت أن

حجارة البطارية هذه ستكفنا كل يوم والثاني، وازدث غيظا لما تذكرت أنني لا أعرف كيف تنزع البطارية القديمة وتركب الجديدة. خفت أن تنفذ البطارية قبل وصولي إلى العيال فيصير الراديو مجرد صندوق غير ذي قيمة. أغلقته وركبته في حجري محلقا عليه بيدي واستسلمت للأفكار: ماذا ستعمل يا ولد؟ غدا أو بعد أن تنفذ وتبقى أنت على الحديدية وتعود ريمة لعادتها القديمة. شيء إلهي قال لي: يا ولد سلمها لله فليس من المعقول أن يعمل هو عقله بعقلك الصغير ويمسك لك على الواحدة، إنه الأب الحنون ولا بد أن يرضى عنك في يوم من الأيام ولكن بشرط أن تقدم أنت فروض الطاعة والولاء يا حسن كما يقول عمي الفقيه الكبير، وعموما فإنه سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الملك وإن شاء أن يعزك فسوف يفعل أو يذلك فالامر بيده، ولكن، معلش يارب.. معلش يعني بس في ذي الكلمة التي أوجهها اليك الآن بقلب صاف ونية خالصة: كيف أتوب يا بوى والفقر والعوز يلاحقاني أينما سرت؟ مر الفقر والعوز أن يحلا عني ويرحلا من تحت أقدامي! أو فمر أمي وإخواني أن يقللوا بطونهم ويدفنون عريهم تحت التراب الوجيع! أسدر أسرك إلى كل ثقب إبرة في جسدي أن يتنازل عن كل مطلوب وكل مرغوب! حينئذ - يارب - يصبح في مقدوري أن أقول لك أن توبتي نصوحا ونهاية عن كل فعل يفضيك أو يؤذي عبادك الصالحين! أنني واثق يارب أنك سبحانه قادر على كل شيء وما أظن أن هدائيتي أمر يصعب على قدرتك لكنه مفتقر إلى مشيئتك..

الدموع صارت تنهمر من عيني يا خال، انهمرت كما المطر حتى ارتجفت من شعور بالبرد القارس رغم اشتداد صهر القيقز الماشي لصق شباك القطار. كلما جفت الدمع يزداد انهيارا كأنه البشر الزلال كلما أخذت منه يفيض ويمتلئ. شيء إلهي في نفسي يقول: أبك يا ولد مشتهاك ولا تترك في مخازن الدموع قطرة واحدة دع كل المواجه التي ادخرتها في الحبس أمام الرجال وفي التلطم في سود الليالي تنز وتعصر كل قريحها فلربما يسكن الوجع إلى حين أو إلى الأبد..

وهكذا يا خال بدأ غسيل عيني بيجف شيئا فشيئا وبدت الدنيا أمامي زاهية مخضوضرة عليها يلعب الندى. فشعرت أن أرض الحباب قد هلت منذ بضع محطات سابقات فصرت أستششق ريح محطة «صدفة» التي تحمل في ثناياها ريح دارنا وأمي وأخوتي. قمت فسويت طوقي وأصلحت قفائي ونفخت حذائي وسحبت من الرف جعبة ورق مطوية على خمسة كيلو من فاكهة مصر الطيبة اشتريتها من فاكهي في قفا المحطة فملأت الجعبة بعنب ورماني وخوخ وتفاح مما يشتهي العيال ويسمعون. تابطت الجعبة برفق «خال، تماسكت في عامود الباب أتوقب رصيف محطة «صدفة» وهو يزحف داخلا تحت سلم الباب كأن الرصيف هو الذي يجري. لم أكن لأطبق صبرا حتى يقف القطار نهائيا، فما صدقت أن هذا لهات الرصيف وتناقل زحفه حتى رميت بنفسي مقلدا أولاد البندر، حين يفعلون ذلك يجعلون وجوههم في اتجاه سير القطار

حتى يمكنهم التماسك في الأرض، لكنني لاحظتها كنت معلقا على سلم الباب ملقيا ببصري في الاتجاه المعاكس الذي يخلفه القطار وراءه إذ أن عيني كانت ترقب الطريق الزراعي الذي سأرجع كل هذه المسافة لاسلكه إلى بلدي «كوم سعيد»، فلما لقيت بنفسى على الرصيف دفعتني الهواء المواجه بشدة وعنف فالتقي بي في الهواء بعيدا، لافاجا بنفسى منظرها على ظهري على مبعدة من سور الرصيف رافعا ساقي في الهواء ممدا ذراعي والالم في رأسي وظهري لا يطاق ياخال. صرخت من عزم ما بي وقلت آه ياعمري، لكني لا أدري كيف نهضت مسرعا كلمح بالبصر. لاري الأرض مبدورة غنبا ورمانا وخوفا وتفاها، وليس ثمة من راديو..

أخذت العلم وجهي وأشد في طوقي وأولول وأهلوس أصرخ لله ما يغيثني. جاء نفر من الركاب يهرولون نحوي بكل لهفة وبقايا صراخ وصياح، فلما رأوني واقفا على حيلي ظهر الاملثنان عليهم وصاروا يجمعون ما يمكن جمعه من فاكهتي وقد صارت كالكنافة يابوي، كنافة معجونة بعيد عنك. حاولنا وضعها في الجعبة لكن الجعبة كانت تفتقت وتهرأت. بحثوا عن جرنان مع أحد فلم يجدوا فكوموها أمامي على الأرض وانصرفوا، وقعت عيني فجأة على الراديو عند آخر الرصيف وقد صار إلى ثلاث قطع منفصلة وإن اشتبكت في بعضها البعض بأسلاك وبدت السماعة كقبضة العجين سرداء مخزومة مليئة بالفموض والمعان

كوجه النحوس التي تنصدي لي هذه الايام ظلما وعدوانا والله يابوي. وليت نحو حطام الراديو فرايت جوارها خرقة بالية كالحبة سرعان ماتعرفت عليها فاذا هي الثوب الخلق الذي سبق أن جاءتنى به الولية أم صاحبي «ميمي» من جارتها وكان غطاء للعجين، إذ أنني حين خلعتني في دار صاحبي احتفظت به بغرض الانتفاع به في لف شيء. قلت: ياما أنت كريم يارب، وانحنيت فجمعت أشلاء الراديو ووضعتها في الخرقة وقد داخلني شعور بأن أعرض أمره على سمكري البلدة علّه يتمكن من إعادة لحمه وتشغيله وعدوت على بقايا الفاكهة فجمعتها للفتها مع أشلاء الراديو في الخرقة التي كان مقدرا لها أن تلف جسدي نفسه في زنتي ولكن ها هي ذي تلف أشلاء ذنبي تزفني إلى الأهل خائبا أقول ياسابيل الستر كفاني ما لحق بي من الكسفة والمذلة وأشمئذي برهمانيتك الواسعة.

من حسن الحظ يا خال أن أحدا لم يتعرف علي في الطريق والكل يرد علي سلامي كالمأكينة: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته اتفضل يا أبو العم. الوحيد الذي تعرف علي حقا هو أمي يا بوي. فتحت لي الباب فشبهت فديت صدرها بالحيل صائحة بأشد عزم في قلبها ولدي. فرميت بنفسى في صدرها عابس الوجه كظيما. فما أن ردت وراءنا الباب حتي تفجرت باكيا. كأن كل بكائي داخل القطار كأن الزلازل تسبق انفجار البركان الذي يتعطف على الأرض الملائمة. لم أكن أدري أبكائي هذا أم بكاء

أمى.. لكننى كنت أوقن يا بوى أن مشهور الحياة وكلاكيح المر
 المتكورة بأحشائى وفوق صدرى قد انصهرت وذابت من لحظة ما
 لامس خدى صدر أمى.. بكيت نياية عن كل الحوادث المرعية التى
 وددت لو أحكيها لها ياخال، وعن كل الأخبار المؤلة التى طالما
 استشهرت لذة حين أرى حالها إذ تعرفها.. كان كل ما أريد أن
 أحكيه لها كثيرا يا بوى، معقد ومؤلم، فاكثفت بالبكاء كلما
 تصيدت أمى مناسبة تجرنى فيها للحديث عن مصابى وغيابى كل
 هذه الشهور بدون حس ولا خبر.. كنت فى بعض اللحظات أشعر
 فى أن أحكى لها يا بوى، لكن عبرة البكاء تكثفتنى عن الكلام فلا
 أكمل ولا أتكلم من الأساس..

إلى أن جاء يوم تأكدت فيه أن أمى قد تمكنت من ترجمة كل
 دمة دمعها ياخال، وبانت تعرف عنى كل شيء دون أن أحكيه
 لها بالكلام.. ولما تأكدت هى أن مخزون الدمع فى عيني قد نضب،
 بدأ دورها هى فى البكاء وما أفضح بكاء الأم عندنا ياخال، أمى أنا
 بنوع خاص ينبوع بكاء.. لم أر لبكائها ضريبا فى البر كله، تبكى
 اشهور وسنين خلت كان حالى فيها - وحالهم - يستحق البكاء
 الأليم.. تحلف اليمين ياخال أنها لم يشغلها عن الاستمرار فى
 البكاء سوى نجاح السمكرى العفريت فى لحم صندوق الراديو
 وتجميع عدته والمكرشة فى أسلاكه حتى وش ونطق وصار عال
 العمال ولكن بشرط أن نضع حجارة البطارية من الخارج فى

صندوق صغير خاص بها وموصول بالعدة بسلك ومربوط فى
 صندوق الراديو بحزام من الاستك، بات فرجة حقيقية نفخر بها
 على أهل الشارع كله وتلقى من أصواته العجائب والدهشات،
 حتى أن سحنة وجه أمى قد تغيرت والله ياخال وأنشدت بعد
 تهدل وكمرشة امتلات بدم الحياة من أنفاسى فى الدار بعد جفاف
 وتحرق، صارت كل يوم تتنازل عن شيء من همومها وتخشيها
 حتى جاءت لحظة صارت تتمايل فيها مع موسيقات الراديو
 الراقصة، ولولا الحياة لهزت جزعها، لكن الحياء والحق يقال يا
 خال لم يكن يمنعها من أن تغنى أحيانا مع الغنى.. تحلف اليمين
 ياخال أننى انحرقت قلبى حزنا عليها وعلى نفسى من أجلها.. أيقنت
 أن الولية - أمى - فى نفسها الفرح على أشده، وأخوتى البنات
 يعرفن ذلك ويحببته حتى شوشة الدماغ.. فمن تراه يكون ذلك
 الشيطان الرجيم الذى يحكم علينا جميعا بأن نشوق للفرح
 ونشتهي حتى الحزن الأليم حتى صار الحزن طبعنا وغيرنا فى
 ملذات النعيم غارق يلهو.. قلت فى نفسى: والله لأفرحتك يا أم ويا
 أخوتى مهما كان الثمن بافظ التكاليف، سوف أفرحتك أشد الفرح
 ولو على جثتى وجه الشيطان نفسه..

سلسلة أعمال خيرى شلبي

الكتاب الثانى

(الكومى)

وثانينا الكومى